

مبحث

في قضية الرمزية الصوتية

طبيعة العلاقة بين الكلمة وما ترمز إليه

تأليف

الدكتور البدر أوى زهران

أستاذ اللغويات بجامعة أسيوط

ورئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب بقنا

الطبعة الثالثة

١٩٩٣



دار المعارف

جميع الاسرار والرموز والرموز

تمهيد

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين - سيدنا
محمد و وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد

ما كان ينبغي أن يكون عنوان هذا الكتاب هكذا ، ولكن لأن الذي فجر
موضوعه هو « قضية الرمزية الصوتية » لذا آثرت أن أجعلها عنوانه ، غير
أن الكتاب في الواقع يكشف عن نظريات لغوية في التراث ، وضع أسسها
وحدد أبعادها السلف من علمائنا ، ويبين أصالة هذه النظريات ، ومراحل
التفكير فيها ، وكيفية الاستفادة منها ، فهو يقدم فكر السلف بما هو عليه من
عمق في مقارنة وتحليل وفق نماذج تطبيقية من خلال أعمال هؤلاء العلماء
تؤكد ما تراه بالحيل المعلى . .

وتبدأ قصته عندما قمت بتدريس مادة متن اللغة بجامعة أم القرى
بمكة المكرمة .

وكان من موضوعات تلك المادة نصوص من كتاب الخصائص لابن
جنى ، ونصوص أخرى من كتاب الصاحبى في فقه اللغة لابن فارس ، ونصوص
غير هذه وتلك من كتاب فقه اللغة وسر العربية للشعالبي وغير ذلك
الخ . .

وكان من نصوص كتاب الخصائص لابن جنى . .

باب في الاشتقاق الأكبر . .

وباب في أساس الألفاظ أشباه المعانى . .

وباب في قوة اللفظ لقوة المعنى . .

وباب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعانى ..

وباب في السلب .. ، الى آخره ..

وكانت المراجع وهى بين أيدي الطلاب : كتاب من أسرار اللغة للدكتور

ابراهيم أنيس ، وكتاب دراسات في فقه اللغة للدكتور صبحي الصالح ..

وكان الدكتور ابراهيم أنيس قد نظر الى أعمال ابن جنى في هذه

الأبواب وغيرها على أنها تمثل الرمزية الصوتية ، والى ابن جنى على أنه من

المؤمنين إيماناً قوياً بمبدأ الرمزية الصوتية وعاب عليه ذلك ، وبين أن قضية

الرمزية الصوتية مرفوضة من وجهة نظر الدراسة اللغوية الحديثة وقدم على

ذلك أدلته وبين مايرى في ذلك من رأى ..

وجاء الدكتور صبحي الصالح ووقف في الجانب المضاد واتخذ موقف

المدافع عن الرمزية الصوتية-من منطلق أنه يدافع عن السلف من علماء الأمة

الاسلامية متصوراً أن الرمزية من ابتكار هؤلاء العلماء ، فآخذ ينسب لها

الفضل ، وذهب الى أن الرمزية الصوتية فتح مبين في عالم اللغات ...

وجاء آخرون وقد استثيرت لديهم تلك الحمية ، وكتبوا على نحو

هذه كتب الدكتور صبحي الصالح وأسرفوا ... وراج الأمر .. وصرت تقرؤ

العجب .. ، ..

وتحولت القضية الى-وقوف مع-الرمزية-الصوتية-وعلماء السلف من هذه

الأمة ودفاع عن التراث والمقتضيات أو الى الوقوف ضد الرمزية وعلم-اللغة

الحديث ذلك الوافد الغريب علينا من بلاد الغرب ...

ولما وضعت النصوص أسمى موضع الدراسة والبحث ... تكشف الأمر

عن غريب ... النصوص في ضوء أفكار أصحابها بعيدة عما أثير بخصوصية

... وأن الأمر غير هذا وذاك .. وأن كل نص من تلك النصوص الذى

نسبت اليه لارمزية الصوتية يحمل نظرية لغوية أو يمسهم في بيان ابعادها

ومستوياتها في تكامل وتمثل الريادة والأصالة .. وأن استقادة اللغويين

الغربيين منها غير خافية .. وأن نظريات علم اللغة الحديث مستهدية أعمال

سلفنا ، ...

وأن بذور التقدم اللغوي تكمن وراءها. وأن التمهين في دراية تراثنا
تتم تحتمة الأمانة ويقرضه هياكلنا. . . وفيه مفتاح شموخنا. . .

وعلماءنا بريئون من تلك التهمة. . . ومن اتهمهم بها ظلمهم. . . ومن
جافح عنهم والصقها بهم كان ظلمه لهم أكبر. . . وأن من السلف من رفضوا
هذه النظرية وأن الغربيين في رفضهم لها أو في تأييدهم لا يخرجون عما هو
موجود عنينا. وفي تراث علمائنا.

لذا كان لزاما أن أعرض قضية الرمزية الصوتية. . . ، وأن أبين جنور
التفكير فيها. ومراحل تسلسلها عبر التاريخ منذ اليونان والرومان
ومروا بعلماء المسلمين. . . وموقف علماء المسلمين في القديم وفي الحديث
منها. وموقف الفكر الغربي الأوروبي منها. . . ، واستقل القسم
الأول من الكتاب بهذا. . .

كما كان لزاما أيضا وهو ما اقتضته طبيعة البحث أن أعرض النصوص
في ضوء فكر أصحابها وأن أوضح ما اشتملت عليه الأبواب من نظريات علمية
وأن أقرنها في منبعا الأصلي بما يقدمه المحدثون مبرزا جانب الأصالة
وأبعاد السبق وسره. . . ، مبينا لماذا توقفت أعمال المحدثين عند هذا الحد
من هذه النظريات على حين تقدم علماء المسلمين في مجال هذه النظريات.
وماذا يؤخذ على علماء المسلمين في مجال هذه النظريات. . . . وكيف يمكن تداركه
ومسئوليتنا إزاءه. وبيان ما توصل إليه السلف من خصائص للعربية
لا توجد في غيرها ، وكيف مكنهم ذلك من إعطاء مستويات من الدراسة ومراحل
فيها لم يصل لها الغربيون حتى اليوم. وجاء هذا في قالب تطبيقي يعتمد
على التحليل. . . وقد استقل به القسم الثاني من الكتاب.

واقتضت أمانة العلم ومسئوليته أن أقدم هذه الأعمال وتلك في كتاب
خاص بها لأن الأمر يتصل بالتراث. . . ، ومسئوليته أمام الله كبيرة ،
كما أن مسؤولية العلم ، وأمانة تبصير أجيال الأمة بالحقائق العلمية وماضي
أسلافهم دين نتوارثه. . .

وسوف تتكشف الحقائق في المستقبل وساعاتها تعظم البيلة ولا ينفع
السكوت. . .

والأعمال مطبوعة ومتداولة ولن يفيد أن تنسكت عن بيان الحق .. فحسوفه
يعزیه المستعمل إلى التقصير أو إلى الجهل وهو الأرجح ..

وأمر آخر فرض على المسارعة في إخراج هذا العمل وهو أن المادة تدرس
في كثير من جامعات العالم العربي ومن لسف أنها تدرس على هيئة نصوص
جامدة .. وقد تجدها مجموعة في كتاب خالية حتى من أى شرح اللهم الا من
بعض هوامش لقليل من الصعب من مفرداتها .. أما القضية الكبرى ..
وما اشتملت عليه النصوص من فكر ونظريات أصحابها العلمية .. فلا مكان
ولا مجال .. وكل ما قد يثار بخصوصها أمور تتصل بالرمزية الصوتية ..
وما أمونيا من قضيّة في نظر بعضهم حتى الطلاب منهم ..

وعى تدرس تحت عنوان « متن اللغة » ومقصودهم أن تعرض على
الطلاب متون لغوية قديمة حتى يكونوا على صلة بتراثهم .. فهي مسادة
متحفية .. تختص بالنصوص أو المتون الصعبة الغريبة على الطلاب ..
فقد تباعد عصر أصحابها وفكرهم .. بل ولغتها .. ولذا فالطلاب منفضون
عنها ..

واكتفى بعض الأساتذة بجمعها في كتاب ، وجعلها بين أيدي الطلاب ،
وبدل أن يحمل الطالب كتباً تراثية متعددة يصعب العثور عليها في معظم
الحالات .. صار يحمل كتاباً واحداً به النصوص المقررة مطبوعة وجاءت
على هيئة جيدة .. وفي هذا الكفاية .. وأحسن ما يكون بخصوصها في
بعض الحالات أن يردد بعض الطلاب بعض عبارات منها .. وقد يكون
ذلك في ضوء موضوع الرمزية الصوتية .. أو المناسبة الطبيعية بين اللفظ
ومدلوله

وهكذا اكتفينا من أعمال سلفنا بالشكل والقشر وضاع الجوهر مرتين :

✽ مرة عندما ضيعنا ما اشتمل عليه جهد علمائنا من فكر خلاق وعمل
مبدع ودرسنا القضية بعيدة عن جوهرها .

✽ ومرة ثانية عندما قدمناها نصوصاً مفردة دون الإشارة إلى ما

ما اشتملت عليه من مضمون علمي أو حتى دون التوضيح العام لأفكارها . .
بله بيان أبعاد نظرياتها . .

واكتفينا بقشورها وتركنا جوهر ما فيها لغيرنا يردده نظريات علمية
يتيه بها وفرضنا على عقول أبنائنا الضحالة والاضطراب والقلق . . ، . .
وما أقى أن يكون مصدر ذلك الجامعة حصن العلم ، وقلعة الحق والمعرفة .
وحسبى الله ونعم الوكيل . . عليه توكلت واليه أنيب .

الدكتور البدر اوى عبد الوهاب زهران

رأس البر - في أغسطس سنة ١٩٨٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يتناول هذا الكتاب موضوعا بالغ الأهمية - ألا وهو قضية العلاقة بين الألفاظ ومدلولاتها بصفة عامة ويعرض بالدرس والتحليل لما نسب لعلماء المسلمين ولابن جنى بصفة خاصة ، لا سيما وأن لغويين محدثين أثاروا القضية على نحو أساء الى فكر هذا العالم حيث فهموه فهما مخالفا لما أراد .. ، .. وحملوه هو تبعة فهمهم هم على حين أن ما أراده ابن جنى اليوم عند الغربيين نظريات ذات أبعاد مستقلة تسهم في خدمة معارف لغوية وعلوم مختلفة ، وبذل أن تنبث النظرية في تربيتها وتؤتى أكلها في بيئتها فتناولها اللغويون العرب المحدثون على نحو يدد معالمها .. ، .. وقد جاء هذا التناول من خلال فهم جلال الدين السيوطى على نحو لم يردده ابن جنى وأسرف جلال الدين السيوطى على نفسه فيما تراءى له من فهم وتطرف فيه ، وجاء محدثون بنوا على ما فهمه جلال الدين السيوطى ونسبوه لابن جنى دون بحث أو تحقيق في أعمال ابن جنى .. وهكذا جاءت آراؤهم ظالمة لفكر هذا العالم مضیعة لسيبته العلمى وراجت هذه الآراء وكثر تداولها وضاع الحق وبقي الباطل ، وبات من الواجب أن تجلّى هذه الحقيقة من خلال دراسة مستقصية متأنية ، ويكفى أن يكون هذا في حد ذاته حافزا لهذا البحث وهدفا من أهدافه .

فالذى حدث أن عالما من رواد الدراسة اللغوية الحديثة في اللغة العربية ، وهو الدكتور ابراهيم أنيس رحمه الله ، وجه فكر ابن جنى في هذه القضية على نحو ما فهمه جلال الدين السيوطى وأراد لاسيما وأن فهم السيوطى صادف هوى في نفس الدكتور حيث طبق في مجال العربية الرحب ما صنعه بعض علماء اللغة الغربيين مثل « بلومفيلد » Bloomfield ، وغيره على بعض أمثلة خاصة باللغة الانجليزية .

فقد اتخذ بلومفيلد من محاورة قراطيلس «Cratylus» لأفلاطون
«Plato» منطلقا لما أراد أن يفحص ويجزئ فيها ما يوضح بعدا من أبعاد
مدرسته « مدرسة الوصافين التجريبيين » ، ف جاء رأى بلومفيلد متفقا
مع منهجه في دراسة اللغة مقارنا مع مدرسته فيها ..

ووجد الدكتور ابراهيم أنيس في كلام جلال الدين السيوطى عن
ابن جنى فيما يشبه ما يتصل بهذه القضية منطلقه هو الآخر ليعلق من
خلال اقتناعه بوجبة نظر الدراسة اللغوية الحديثة على نحو ما تمثيها
مدرسة بلومفيلد وغيره آراءه في مجال أوسع .. لذلك لم يكن غريبا أن يأتى
حكم الدكتور أنيس على أعمال ابنى جنى وغيره من علماء العربية ممن أشار
اليهم جلال الدين السيوطى على هذا النحو الذى جاء عليه ولم يكن
غربيا كذلك أن يأتى فى المقابل دفاع مندمع عن علماء العربية القدماء ضد
ما قيل فى حقهم . فانبرى عالم وهو الدكتور صبحى الصالح وأخذ يدافع
ويشيد بما عابه العالم الأول وأخذ يؤكد فى دفاع قوى صحة ما نسبته
الأول دون تحقيق أو تدقيق فى أعمال ابن جنى ..

وهكذا راحت التهمة بين مهاجم ومدافع وتآكدت نسبتها وتداولتها الكتب
وتلقفها الدارسون بين مؤيد ومعارض وأصبحت حقيقة مستقرة فى قاعات
الدرس بالجامعات حيث تعرض بعض متون لابن جنى أو غيره مما هو خاص
بهذه القضية فى ضوء ما استقر ، وتدرس على هيئة نصوص جامدة يكتفى
فيها كما هو حادث (١) بشرح بعض المفردات - وفهم بعض المعانى الكنية
لنصوص قديمة « متحفية » دون أن تعرض من خلال فكر صاحبها عرضا
متكاملا يتلاءم مع حقيقة ما عليه الفكر اللغوى العربى من سبق وريادة فى
ضوء ما توصل اليه الفكر اللغوى المحدث من تقدم علمى وبذلك يرسم طريقنا
للتناول وأبعاد منيج للدراسة .

لاسيما وأن فهم ابن جنى جاء هنا مبنيا على عبقريته اللغوية

(١) على سبيل التمثيل مادة متن اللغة تدرس فى جامعة أم القرى على
نحو ما سبقت الإشارة الى ذلك وبها أبواب من خصائص ابن جنى ومن فقه
اللغة للثعالبي وغيرهما .

مؤسسا على حسه فيها ، واستلهاه روح اللغة وفهمه لها وقد وضع ذلك كله
الى أن يتهيب الطريق ثقة منه فيما توصل اليه وقد كانت ثقته فيها أنتهى اليه
قوية ، ودقته فيما حله متناهية . . . ، ولكن هذا وحده في نظره لم يكن
كانيا . . . من هنا فقد كان حرصه على أن يتخذ من اعلام علماء اليوربية
السابقين عليه سندا لما يقول وشاهد صدق على ما يرى . . . ، فجاء
مثلا بأقوال للخليل وسيبويه (٢) وبشهادة لابن على الفارسي . . .
وآخرين غيرهم . . .

وفوق ذلك فقد كان ينص على أنه يتبع منهج السابقين ويحذو
حذوهم في هذا . . . ، وأكثر من ذلك كله تطالعك في بعض المواضع أقواله
بأن : « الجماعة تلتقت مباحث هؤلاء بالاعتراف والقبول » . . .
وما ذلك عندي - الا لأن لابن جنى فكرة هي أبعد ببعيد من فكر معاصريه
وقد اتخذ من أقوال هؤلاء وأعمالهم منطلقا نحو تحقيقها . . . فراح يضع معالمها
ويثبت دعائمها . . . وينطلق فيها من بعد الى بعد . . .

وأراها عنده مستقلة رائدة غير مسبوبة . . . وهي عنده ذات أوجه
متنوعة ، وآفاق وأبعاد كل بعد منها هو نظرية مستقلة . . . على نحو ما هي
عليه اليوم في علوم الغرب . . . ولا يجب أن تقدم الا في هذا الضوء ليظل
للمتقدم سبق تقدمه ويترأى أمام الدارس استفادة اللاحق منه لاسيما اذا
كانت هناك أدلة ناطقة على ذلك . . .

ويكفى أن يكون هذا أيضا في حد ذاته حافزا وهدفًا آخر من أهداف هذا
العمل تقدم في ضوئه متون اللغة العربية لا سيما وأنها ضمن مقررات
دراسية على طلاب الجامعة .

وقد جاء عرض ابن جنى لما توصل اليه في براعة وحيلة منهجية جديدة
بأن يبصر بأبعادها الدارسون من خلف هذا السلف وقد كان هذا أيضا هدفا

(٢) قال الخليل : كانهم توعهوا في صوت الجندب استطالة ومد
فقالوا : صر - وتوعهوا في صوت البازي ثقطيعا فقالوا صرصر - الخصائص
ج ٢ ص ١٥٢ هـ

غير ما سبق من أهداف هذا العمل

كما كان للراى أن يغرد للقسم الثانى بتمامه لعرض بعض أعيال هؤلاء
السلف عرضا تحليليا تطبيقيا يظهر من خلاله دقتهم العلمية وحيطاتهم فى النهج
وعمقهم فى الدرس والفهم - ومن هنا فقد استقر الراى على أن يقع هذا الكتاب
فى قسمين كبيرين :

أولهما يعرض القضية عرضا عاما فى الفكر الفطرى القديم والحديث
وعند علماء الغرب وعلماء المسلمين على السواء .

ويعرض القسم الثانى القضية من خلال متون اللغة المتنوعة عرضا
تحليليا تطبيقيا يربط القارئ بالتراث ويطلع من خلاله على عبقرية العربية
وعبقريّة السلف من علماء هذه الأمة فى ضوء الدرس المحدث

ومن هنا فقد قسم الكتاب قسمين لكل قسم فصوله وأبوابه ومباحثه ،
وقدم له بهذه المقدمة وأعقبها بالخاتمة التى أجملت النتائج العامة - وحددت ما
تراه أمام البحث من توصيات ومقترحات وجاءت بعدها فهرس الكتاب .

واشتمل القسم الأول من الكتاب على ثلاثة فصول :

عرض الفصل الأول لقضية العلاقة بين الدال والمحلول . .

وعرض الثانى القضية من خلال الفكر الغربى المحدث - واتخذ فى ذلك
مسارين :

أولهما مسار الفكر اللغوى الفلسفى . .

وثانيهما مسار الفكر اللغوى الخالص . .

أما الفصل الثالث من قسم الكتاب الأول فقد درس القضية فى الفكر
العربى الإسلامى وعرضها من جانبين :

الجانب الأول : جانب الفكر الإنشائى فى القديم . . واتخذ لذلك مباحثه
الخاصة به .

والجانب الثانى : جانب الفكر العربى الإسلامى فى الحديث . . واتخذ فى
ذلك مباحثه الخاصة به كذلك .

وجاء القسم الثانى من الكتاب بمثابة عرض تحليلى تطبيقى لبعض
المتون اللغوية من التراث التى يتبين من خلالها عن طريق التحليل والدرس
النظريات التى توصل اليها علماؤنا القدماء ودورها الريادى فى الدراسات
المحدثة وعرض الأبواب التى دار من حولها الجدل والتى تدرس ضمن مادة
متن اللغة • ومنها من الخصائص : باب تصائب الألفاظ لتصاقب المعانى -
بالإضافة لنصوص المزهرة الخاصة بالقضية - وعرض كذلك باب
فى أساس الألفاظ أشباه المعانى - وباب فى قوة اللفظ لقوة المعنى ، وباب
فى السلب ، وباب فى تلاقى المعانى على اختلاف الأصول والمباني •

ثم عرضت فصول مختلفة من كتاب فقه اللغة وسر العربية للثعالبى -
وكذلك بعض الفصول من كتابه سحر البلاغة وسر البراءة •• وكل ذلك فى
ضوء ما يتصل به من دراسات محدثة •

فالى القسم الأول من أقسام الكتاب : -

قسم الأول

عرض عام للقضية

الفصل الأول

طبيعة العلاقة بين الكلمة وما ترمز إليه

تثار بين الحين والحين بعض القضايا على صعيد البحث اللغوى عبر عصور التاريخ ٠٠٠٠٠ وقد تكتسب أهميتها مما تتضمنه من قيم ، وما يثيرها به المفكرون من معان ، ويضيفون حولها من أفكار تظل محتفظة بأهميتها ، ولا تنطفئ ، جذوتها ٠٠٠

ومن بين هذه القضايا تلك القضية التى نحن بصددتها ٠٠٠٠٠ وقد أفاد الدرس اللغوى العربى التقليدى من هذه القضية بشكل أو بآخر كما أفاضت المباحث العربية التقليدية الأخرى منها كذلك على نحو ما سيأتى مفصلا وكذلك أفاضت الدراسات العربية المحدثه منها سواء فى المجال اللغوى أو الفلسفى أو غيرهما ٠٠

ومن تمام القول فى هذه القضية أن نتناولها فى عرض عام نشير فيه الى ما أثير بخصوصها من أفكار ، وما دار حولها من مناقشات ٠٠٠ مما هو خاص بما نحن بصددده .

وكيف وصلت الى الفكر اللغوى الغربى التقليدى أو المحدث ٠٠ وكيف استفيد منها . وعلى أى وجه جاء التفكير فيها ٠٠٠٠٠

ومن تمام القول أن نشير الى ما أثير بخصوصها من قبيل أين جنى على ساحة الفكر وليكن منذ عصر اليونان .

القضية منذ عصر اليونان

أثيرت هذه القضية منذ اليونان وما قبلهم (١)

فمنذ القرن الخامس قبل الميلاد أثار علماء اليونان هذه القضية ، حيث كان قد شاع في بلاد اليونان من قبل أفلاطون نظريتان :

● الأولى : تبناها هيرقليطس «Héracrites» (٢)

● والثانية تولاهما ديمقريطس «Démocrites» (٣)

وقد كان هيرقليطس مغرما بتحليل الأسماء والمسميات غراما شديدا
إيمانا منه بما كان قد استقر في يقينه من أن الاسماء تعطي من لذن الالة
(سبحانه وتعالى) لذا فهي عنده جاءت وفقا على المسميات - (النظرية
التوفيقية وما هو خاص بها بنشأة اللغة) - (٤)

اما ديمقريطس فكانت نظريته على العكس من نظرية هيرقليطس .. حيث
كان يرى أن علاقة الاسماء بالمسميات علاقة تواطئية اصطلاحية .. (٤)
.. لأن الشيء الواحد عنده يتقبل أسماء متعددة كما أن الشخص الواحد
نفسه يظل هو هو على الرغم من تطوره .. أو تغيره .. أو حتى تنازله
عن اسمه .. - (ولذا فنشأة اللغة عنده نشأة تواطئية اصطلاحية) .

(١) اشار بلومفيلد Bloomfield في كتابه اللغة (Language) الى ما ذكره
« هيروديت » المؤرخ اليوناني - عما صنعه فرعون مصر أو ملكها « أبسماتيك »
مما له صلة بهذه القضية - كما أشار غيره الى مثل ذلك . ومن المفيد قراءة
كتاب اللغة لبلومفيلد الفصل الأول :

Language By Leonard Bloomfield - Chapter 1 The Study of
language P.P. 3-20

(٢) ٥٧٦ - ٤٨٠ - ق . م .

(٣) القرن الخامس قبل الميلاد .

(٤) معنى ذلك أن القضية هنا ذات شقين يجب أن تناقش في ضوءهما
شق فيما نحن بصدده - وآخر خاص بنشأة اللغة - ووجود نظريتين ازاء
تلك النشأة : النظرية التوفيقية - والنظرية الاصطلاحية .

وحاول أفلاطون (Plato) ان يعالج هذه القضية علاجاً شاملاً يضع في اعتباره النظر لها من كلا جانبيها .. فانشأ محاورته المعروفة « قراطيلس » (Cratylus)

- : « محاوره قراطيلس » (Cratylus) لأفلاطون

ناقش أفلاطون في محاورته هذه القضية مناقشة أحاطت باطرافها وذلك على النحو التالي : -

أجرى أفلاطون حواراً بين قراطيلس - وهرموجينيس (Harmogenece) - وهما من تلامذة سقراط . وجعل قراطيلس (Cratylus) يعبر عن وجهة نظر ائهرطقليين .

أما هرموجينيس فقد جعله يعبر عن وجهة نظر الديمقريطيسيين . وكان رأى قراطيلس (Cratylus) (٥) أنه يوجد في الطبيعة اسم صحيح لكل كائن في الحياة .. / .. وأن التسمية ليست كلمة يطلقها بعض الناس على شيء ما .. بعد الاتواطىء .. لكن ثمة في الطبيعة عند اليونانيين وعند غيرهم سواء من البرابرة أو الآخرين أو حتى الناس كلهم طريقة صحيحة للتدليل على الأشياء ..

وبعد أن تنالم الأسماء يقودنا الى عالم الأشياء .. / ..

ونفنا متى عرفنا حقيقة الاسم عرفنا جبراً حقيقة المسمى .. / ..

وهكذا ينقشنا عالم الكلمات الى عالم الماهيات .. / ..

أما هرمو جينيس فقد عبر عن وجهة نظره بأن الاسم الذى نطلقه على الشيء هو الاسم الصحيح .. / .. فنحن نغير أسماء عبيدنا دون أن يكون الاسم الجديد أقل حظاً في الدقة من السابق .. ، .. والطبيعية لاتأخذ عنى عانتقياً أن تطلق أسماء خاصة على أشياء خاصة .. / .. وانما الاسماء وليدة التكرار والمادة عند الذين يزاولونها ..

(٥) سميت المحاوره باسم قراطيل (Cratylus) ولهذا دلالة سوف تتضح فيما بعد .. ، ..

ومعناه أن الكلمات لا تظهر بأطن المادة.....

وأن عالم الأسماء لا يقودنا الى عالم الأشياء..... ولا يسوقنا الى عالم
اللامعيات.....

• ويجعل أفلاطون سقراط يتبل على تلميذه وهما يتحاوران •

وحينئذ يطلب هرموجين منه أن يفصل بينهما فيما هما فيه متحاوران
ومختانسان ٠٠/٠٠

ولكن سقراط في تواضعه المهود يعتذر بقوله : انه غير كفاء لأن يكون
حكما ٠٠/٠٠ ولكنه على استعداد لأن يشارك في الحديث ٠٠/٠٠

٠٠/٠٠ ومن ثم يأخذ في التحليل والتدليل مخاطبا هرموجين أولا
ثم قراطيل ثانيا ،

..... ويرفض سقراط أن تكون الاسماء وليدة الاتفاق العابث
ويرى أنه يجب ان يكون بين الاسم والمسمى محاكاة
.....

- غير أنه ليس معنى هذا أنه يقف في صف قراطيل -

- انه لا يستمر طويلا على موقفه هذا -

..... وانما يعود فيتساءل : أليست في اللغة متناقضات ؟ !

وأليست في اللغة أخطاء ؟ !

ألا تشير بعض الاسماء الى الضحين ؟ !

فاذا كانت الأسماء من لدن الله فان القوة الالهية لا تخطئ

فمن أين يأتي الخطأ ؟ !

أليست الألفاظ هي جالبة الفساد ؟ ! وهي جالبة الخطأ ؟ !

لذا ينبغي أن ننطلق من الأشياء لا من الكلمات التي تشير اليها
.....

وذلك لأن الكلمات لا تستقر انها دائمة التغير ... على ان الحقيقة ثابتة
لا تتغير ولا تتبدل ...

— ولكن ليس معنى ذلك • أيضا • انه مع هرموجين • —

هو ليس مع هذا • وليس مع ذلك • فكل واحد منهما عنده قد جانبية.
الصواب •

ثم هو يتابع في تسلسل توضيح فكرته ...
ويبين ان علينا ان نبحث عن حقيقة الاشياء ...
ثم يتساءل : وماذا نعني بحقيقة الاشياء ؟
ان الاجابة على هذا تحتمل وجهين : —

* الوجه الاول : هل حقيقة الاشياء تبدو في الوجه الذي تظهر به لكل.
فرد وفقا لاحساسه هو بها • • • • • جريا على مذهب « بروتاجوراس »
(Protagoras) (٦) الذي يرى ان المعرفة أساسها الاحساس وبناء عليه
تتعدد أوجه الحقيقة تبعا لتعدد احساس الناس بها •

* الوجه الثانى : أو ان حقيقة الاشياء لها وجه واحد هو الوجه الذى يراه
كل انسان على نحو ما يذهب الى ذلك أو تديديم (Etuthydeme) (٧) •

ويتابع سقراط حديثه رافضا مذهب بروتاجوراس • • وذلك لأن معنى
قبوله أن يصير كل الناس حكماء • • وهذا مالا نجده • •

وكذلك يرفض مذهب أوتيديم والا فمعناه ألا فرق بين الأخيار والأشرار • •
وهذا الأمر لا يصح أن يكون • • • • •

(٦) من فلاسفة اليونان ٤٨٥/٤١١ ق م •

(٧) من فلاسفة اليونان من القرن الخامس ق م • وهو أحد أبطال
أفلاطون في محاوراته • • • • •

وعليه فانه يرى أن للموجودات جوهر ثابت بصرف النظر عن الصورة التي يراها عليها الانسان أو التي تبدو بها ٠٠٠٠٠ ويرى أن الذي يقتضيه العقل هو أن الأشياء تسمى بحسب ما تستلزم طبيعتها ، وأن يطلق عليها ما يناسبها من الأسماء ويشبه سقراط عملية التسمية بالحياسة وكما تستعمل آلة الحياكة أو المكوك في فك الخيوط المتشابهة كذلك تستعمل الأسماء في تعليم الناس وتوجيههم وجهة الحق ٠٠٠٠٠

ومثلما أن آلة الحياكة والمكوك المستعمل فيها من صنع الانسان (النجار) فكذلك الاسم هو من وضع الواضع ٠٠٠٠٠ وإذا كان على صانع المكوك (أى النجار) أن يعطى المكوك الشكل المناسب لنوع العمل المرغوب في تأديته فكذلك على واضع الاسم أن يجعله مناسباً للشئ الذي يطلقه عليه ٠٠

وحنا يتبادر سؤال :

ومن ياترى سيكون حكماً - ليحكم بان الشكل الذي صنع عليه المكوك جاء مناسباً ؟ ٠ أو أن الاسم الذي أطلق على الشئ جاء وفق المطلوب ؟ ٠

والاجابة : أن الذى سيستخدم هذا أو ذاك سيكون هو الحكم ٠ والمتكلم هو الذى سيقبل الاسم الذى سمى به الشئ أو سيرفضه ٠

ولذلك وجب على واضع اللغة عند وضع الاسماء أن يبتدى بآراء جماعة المتكلمين ٠٠ ومعناه : أن ليس كل انسان قادرا على أن يصنع الاسماء ٠٠ وانما الامر مقصور على من يستطيع ادراك ماهية الشئ ٠٠٠٠٠ وعلى من يستطيع أن يعطى للاسماء صياغة مقبولة في قالب مناسب من الحروف والمقاطع الصوتية ٠٠٠٠٠

وخلاصة رأى أرسطو الذى هو رأى أفلاطون : -

نستطيع أن نكتبن مما سبق أن أرسطو له موقفه الخاص : وعندها أنه ليس هو موقف التوفيق بين الرأيين على نحو ما يرى ذلك بعض الباحثين (٨) ٠

(٨) أنظر في فلسفة اللغة : كمال يوسف الحاج - في جوهرية اللغة من ص ١٥/٥٩ ومحاضرات في علم النفس اللغوى : د. حنفى بن عيسى من ص ٣١ / ٣١ ٠

وذلك لأنه يرى أن الالفاظ من وضع واضح .. غير أن الواضح أوتى
مقدرة خاصة وحسا مينا ... ومقدرة يستكنه بها حقيقة الاشياء ..
فيأتى وضعه متفقا مع جوهرها ..

وعنده أن بين الاسم والمسمى محاكاة ... غير أنها تاتى انطلاقا من
عالم الاشياء ومن المسميات لا من الاسماء فجوهر الاشياء ثابت لايتبدل ،
والاشياء تسمى بحسب مايستلزمه طبيعتها ...

وبعد أن تطلق الاسماء على المسميات تقوم باداء دورها في تعليم الناس
وتوجيههم وجهة الحق ...

ومع أن الواضح أوتى هذه المقدرة على حقيقة استكناء الاشياء المسماة ..
ومعرفة ماهيتها فهو أيضا الهم البراعة اللغوية في اختيار القوالب المناسبة
لها من حيث الالفاظ بل ومن حيث الاصوات الملائمة .. وكذلك من حيث
المقاطع .. ، ..

وفوق هذا فهو قد وهب الحسى الذى يستلهم به روح جماعة المتكلمين
الذين يستعملون ما وضع من اللفاظ اللفظة .. ، ..

فهم الذين يقبلون .. وهم الذين يرفضون ..
فعلاقة الاسماء بالمسميات نتيجة اتفاق عابث .. ولكنها علاقة وطيدة
بمعنى أن الأول وقف على الثانى .. ولا سيما اذا ما جاء الاسم موضوعا على
شاكلة الحسى معبرا عن ماهيته ..

وفى ضوء هذا نستطيع أن نفهم كيف أن حكمة وضع الاسماء هى تعليم
الناس وارشادهم الى وجه الحقيقة ...

أما فى حالة ما اذا لم يطابق الاسم المسمى فقد يوقعنا هذا فى الخطا ..
لذا لا ينبغي أن نركن دائما الى الاسماء .. لأن وضعها قد يكون مبنيا على

خطأ في ادراك ماهيتها . : لذا وجب أن يكون مرجعنا دائماً إلى الأشياء في ذاتها (٩) ٠٠٠٠٠

وصفة ما نخلص به من رأى هنا هو أن أفلاطون في محاورته ان كان يفكر بعض ما يراه قراطيلس (Cratylus) في بعض نواحيه الا أن عواء معه ٠٠٠٠٠

* وانظر معي : المحاوره تسمى محاوره قراطيلس

* وكل ما ترتب عليها من آثار في مجال الدرس والعلم لاسيما في عصرنا هذا ارتبط بهذا المعنى « العلاقة الطبيعية بين الاسم والمسمى » ففي مجال الدرس الفلسفى اللغوى تخرج نظرية مرتبطة بهذه المحاوره تعرف باسم نظرية « الاسمية في المعنى » (Naming theory of meaning) ويعد أفلاطون أول من صاغ هذه النظرية الاسمية في المعنى « ارتباط الاسم بالمسمى بطريق أو بآخر » .

– وكذلك عندما انتقلت إلى الفكر اللغوى المحدث ناقشها بلومفيلد (BloomField) تحت عنوان قراطيلس (Cratylus) – وبنى رأيه فيها انطلاقاً من خطأ الارتباط بين الاسم والمسمى ٠٠٠٠٠ وبين أن هذا الفهم لم يكن وفقاً على اليونان وحدهم وإنما امتد إلى تلامذتهم من الرومان ٠٠٠٠٠

(٩) يمكن قراءة موضوع محاوره (Cratylus) لأفلاطون : (Plato) في المراجع الآتية : –

في فلسفة اللغة : كمال يوسف الحاج – الفصل الأول : في جوهرية اللغة من ص ٥٩/١٥ والفصل الثامن : في أنطولوجية اللغة من ص ١١٩/٦٠ – وقراء محاضرات في فلسفة اللغة . د . محمود فهمي زيدان .
– وقراء محاضرات في علم النفس اللغوى د . حفنى بن عيسى – الفصل الأول : لمحة تاريخية من ص ٢٩/٢١ – والفصل الثنى : اللغة ومشكلة المعرفة من ٢٩/٣١ – وفي كتب غير ذلك – أما في المراجع الفرنجية فيمكن قراءة :

* Louis Mériadiér; Platon, Cratyle - (Budé 1931) PP. 49-50-

* Leonard BloomField; Language, Dialogue Cratylus (Plato, 427 - 348) P.4

- وأما بخصوص الفكر اللغوي العربي فقد اتخذت بعدين :-

- أحدهما في التراث يحدده جلال الدين السيوطي ويوضحه ويخلص أبعاده ويحاول أن يربط بين توقيفية اللغة وبين ماصدر عن علماء المسلمين •

- وأما الآخر فقد اتخذ مساره في الدرس اللغوي الحديث ويوضح أبعاده واتجاهاته موقف الدكتور إبراهيم أنيس وما ترتب عليه •

وسوف تناقش الفصول القادمة ما ترتب على هذه المحاور من آثار في مجالات الدرس الغربي - والاسلامي - كلا على حدة •

الفصل الثاني

القضية في الفكر الغربي المحدث

اتخذت تلك القضية في الفكر الغربي المحدث مجالات واتجاهات وقامت عليها نظريات لها أبعادها ومساراتها رافهم هذه المجالات :

- مجال خاص فيما نحن بصدد الحديث عنه .
- ومجال آخر خاص بنشأة اللغة .

أما المجال الأول فقد اتخذ مسارا خاصا بالدراسات الفلسفية اللغوية ومسارا آخر خاصا بالدراسات اللغوية الخالصة

المسار الأول : في الفكر اللغوي الفلسفي :-

ففي المسار الأول : مسار الدراسات اللغوية الفلسفية صيغت نظرية الاسمية في المعنى (Naming theory of meaning) وقد نادى بها فثجشتين (Wittgenstein)

ثم عاد فعدل عنها ووجه اليها نقدا ، وأقام على أنقاضها نظريته الجديدة : وهي نظرية الاستعمال أو الاستخدام اللغوي

ونظرية الاسمية في المعنى (Naming theory of meaning) هذه ترتبط ببعض الفلاسفة مثل : أوغسطين ، وهوبز ، وهي نظرية أفلاطون . ولذا فهم يعدون أفلاطون أول من صاغ نظرية الاسمية في المعنى . ونجد أبعادها عندهم على النحو الذي جاءت عليه عند أفلاطون . فهي تحدد عندهم في النقاط الآتية : -

لكي تكون اللغة الصحيحة دقيقة محددة يجب أن تتألف من أسماء ..

وعندما نسمى شيئا ما يجب أن نتجه إليه لنراه وندرك أن هذا هو المسمى بهذا الاسم :

كلما ارتبط الاسم بالمسمى بتكرار التسمية في جمل مختلفة نبدا التعرف على الأشياء.

- يتضمن هذا أننا ندرك الأشياء أولا مستقلة عن استخدام اللغة ثم نربط كلا منها باسم بعد ذلك - قبل أن يتعلم الطفل كلمة ما ولتكن خبزا أو ماء أو متعدا مثلا فإنه يراه فعلا ثم يعطيه اسما - لذا فاللغة لا تؤثر على خبرتنا ، ولكن يمكن أن تؤثر في قدرتنا على توصيل المعلومات للآخرين ، نالكلمات تسمى الأشياء - كما تذهب هذه النظرية أيضا الى : -

✽ أن لكل كلمة معنى واحدا محددا ثابتا ، ويظل هذا المعنى مرتبطا بالكلمة ، وحينما لا يكون محددا نقول : ان المعنى غامض يلزم تحديدة .

✽ ان القضايا التي تؤلفها (١) تصور الواقع تصويرا دقيقا على أساس أن الوظيفة الوحيدة للغة هي تقرير وقائع أو وصف خبرات فعلية ...

ويصور كل جزء من الجملة جزءا مقابلا لما بالعالم من أشياء وقائع وبهذا المعنى تكتسب الجملة معناها وصدقها .

وقد وجه المحدثون الى هذه النظرية انتقادات متعددة منها : -

ان التعبيرات التي تشير الى شيء واحد تتساوى في المعنى لكن هذه التعبيرات ليست مترادفة .. اذن النظرية خاطئة وقد بين فريجه أن هناك تمييزا بين معنى الاسم وإشارته (٢) .

(١) المتصود القضايا المنطقية ، والفلسفية - أو حتى القضايا العامة التي تأتي نتيجة لتراكيب لغوية عادية ..

(٢) أنظر : في فلسفة اللغة . د . محمود فهمي زيدان من ص ١٠٧ وما بعدها . وقرأ : الفصل الخامس : نظريات المعنى من ص ١٣٩/٩٥ - وأنظر : -

Wittgenstein; Philosophical Investigations - Pt. I.S.1-

Borgmann, The Philosophy of Language P.19

Martinus Nijhoff the Hague 1974.

ودعم فيتجنشتين رأى فريجة هذا بموقف آخر هو التمييز بين معنى الاسم وحامله (٣) .

وتعد انتقادات فتجنشتين لهذه النظرية - جزءا من نظريته الجديدة في المعنى فمما وجهه الى هذه النظرية :

اننا لاننكر اننا نتعلم معانى بعض الكلمات حين نشير بالكلمات الى اشياء بعينها . . لكن ليست كل الكلمات تؤدي هذه الوظيفة

واننا لانتعلم دائما معانى الكلمات بالاشارة فهناك كلمات كثيرة ليست اسما لى شىء

أضف الى ذلك أن اللغة لاتسمى اشياء فقط . . بل وليست وظيفتها الوحيدة هي تقرير وقائع وانما للغة وظائف أخرى لا حصر لها . .

بالاضافة الى ما سبق فان :

هذه النظرية تخلط بين الاسم وحامله . . كما ان معنى الاسم ليس مسمما . . وانما نسمى هذا المسمى حامل الاسم

الكلمات في اللغة ليست أسماء فقط - ، وكذلك بالغة كلمات لاتشير الى شىء واحد بعينه . . كما أن للكلمات وظائف أخرى كثيرة غير التسمية

بل حتى الكلمة التي نعتبرها اسما لها معنى غير ما تشير اليه . .

ومن هنا كانت عبارة فتجنشتين التي بنى عليها نظريته الجديدة :

« لا تسأل عن المعنى ، وانما اسأل عن الاستخدام » . .

Frege G., Sense and Nominatum, in readings (٣)
in philosophical Analysis ed. by Feigl and Sellars.

(٤) في فلسفة اللغة (السابق) - وأنظر

Katz, Linguistics Philosophy P86 - Allen and Unwin London
1972.

(٢) المسار الثانى : - فى الفكر اللغوى الخالص : -

أما المسار الثانى هو خاص بالدراسات اللغوية الخالصة فقد حدد أبعادها رائد الدراسات اللغوية الحديثة فرديناندى سوسير فى دراسة مفصلة لذا فقد عرضنا له فى شئ من التفصيل . كما أوضحه كذلك بجلاء موقف اللغوى الأمريكى المحدث يلوميليد على نحو ما جاء عنده بطريق مباشر عندما عرض محاوره قراطيلس (Cratylus) وغير عفين العالمين على نحو ما أوضحنا : -

تلقضية دن وجهة نظر رائد علم الأنسة الحديث . فرديناندى سوسير :-
أفرد فرديناند دى سوسير فصلين يتعامهما من كتابه : محاضرات فى علم اللغة العام (٩) Cours De Linguistique général - لا يتصل بالموضوع الذى نحن بصدده .

جعل الفصل الاول لطبيعة العلاقة بين الاسم والمسمى : وجعل عنوانه :
طبيعة العلامة اللغوية (Nature du Signe) وناقشة تحت عنوان المصطلحات الثلاثة :

١ - العلامة اللغوية .

٢ - الدال .

٣ - المحلول (١٠) .

وأفرد الفصل الثانى للتحدث عن تغير العلامة اللغوية واستقرارها (١١)

(٩)

Ferdinand De Saussure, Cours De linguistique général —
Public par, Charles Bally et Albert Sechehaye — Payot, Paris —
1955 —

(١٠) اقرأ القسم الاول : اسس عامة - (السابق) :

Première partie — Principes généraux

Chapitre premier — Nature du signe linguistique PP 97 — 113—

1. signe, signifie, signifiant — PP 97 — 103 —

(١١)

Chapitre II — Immutabilité et mutabilité De Signe—PP104-113

ونجدد بنا أن نوضح العلامة اللغوية'عنده قبل أن نعرض لآرائه بالتفصيل .

- مصلح العلامة اللغوية Signe عنده مخالف لما هو شائع فقد يفهم بعضهم العلامة اللغوية على أنها الكلمة أو الصورة الصوتية - ولكنه يعنى بها غير ذلك - أنه يعنى بها تجميع الفكرة والصورة الصوتية .

فالمصطلح يجعل العلامة اللغوية ذات جانبين جانب الفكرة (Concept) وجانب الصورة الصوتية (image acoustique) - على أن نفهم أن مقصوده من الصورة الصوتية ليس هو الصوت المادى الفيزيائى الخاص، ولكن الطابع النفسى للصوت أى الانطباع الذى يحدث عندنا نتيجة له .

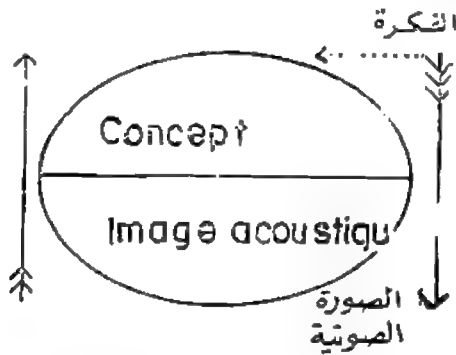
فالعلامة اللغوية كيان نفسى له جانبان نفسيان متحدان فى العقل برابط جمعى .

الجانب الاول الفكرة التى تتكون فى العقل عن الشئ نفسه - والجانب الثانى الصورة الصوتية التى تحدث فى العقل نتيجة للاصوات المنطوقة نفسها الخاصة بالشئ - ويحدث بين الفكرة والصورة الصوتية فعلا اتحادا توحيديا العقل برابط جمعى - فالعلامة اللغوية هى توحيد الفكرة والصورة الصوتية ثم هو يرى أن اعتبار اللغة قائمة من الكلمات يتطابق كل منهما مع الاسم الذى يدل عليه فكرة مفتوحة للنقد والمناقشة من جوانب متعددة انما تجعلنا نفترض أن الربط بين الاسم والشئ عملية سهلة . . . وهذا خلاف الواقع . . . ، . . . حقا الحدث اللغوى ثنائى الكيان . . . وهو يتشكل بتجميع مصطلحين وهما عنصرى الحدث وهما نفسيان ومتحدان فى العقل برابط جمع العلامة بينهما فالذى يحدث هو توحيد بين الفكرة والصورة الصوتية على حين لا يحدث توحيد بين الاسم والشئ الدال عليه . . ثم ينطلق فى مناقشة موضوعية مستفيضة يخلص منها الى اعتباطية العلامة اللغوية (L'Arbitraire Du Signe)

وتظهر آراء دى سوسير فى صورة أوضح عندما يلقى أضواء أكثر توضح مقصوده من الصورة الصوتية .

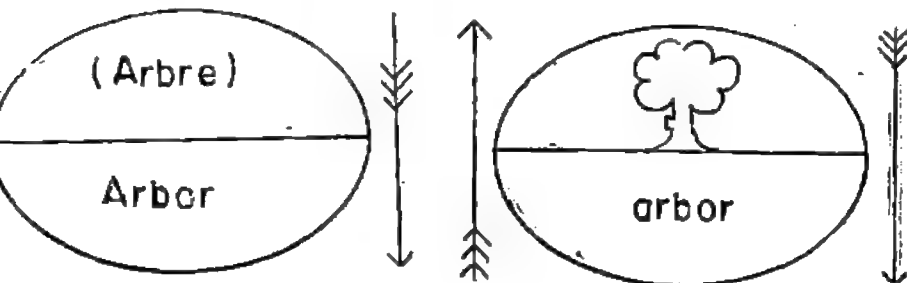
... ، ... مصطلح الصورة الصوتية يتضح عن طريق مقابلته بقريته المصطلح الآخر (Concept) أضرب الى ذلك أن الميزة النفسية للصور الصوتية عندنا يمكن أن نلاحظها في وضوح ذلك عندما نقلوا عن ظهر قلب قطعة شعرية وأفواها مقلدة من غير أن يحرك الواحد منا شفثيه أو لسانه ... معنى ذلك أننا نحرك الصور الصوتية الموجودة في العقل والمتحدة برابط جمعي مع الفكرة التي تقابلها عندما استدعيها عن طريق أحد العنصرين - فبين العنصرين وحدة متألّفة وكل منهما يستدعي الآخر .

نظامية لغوية كيان شغى له جانبان يمكن تمثيله بالشكل الآتى :

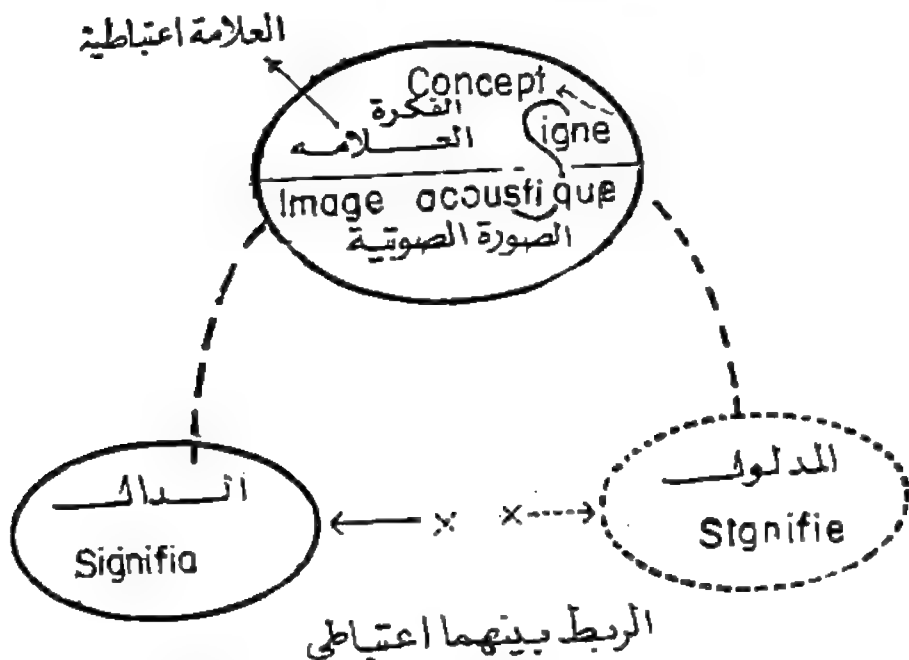


العنصران بينهما وحدة متألّفة متحدان في العقل برابط جمعي وكل منهما يستدعي الآخر ... ، ... على سبيل المثال (شجرة Arbor) سميت علامة يميل الواحد هنا الى نسيان أن : (شجرة Arbor) سميت علامة لانها تحمل مفهوم شجرة arbre - بالاضافة الى حقيقة أن فكرة الجانب الحسى تتضمن الفكرة كلها .

ويختفى الغموض عندما نشير الى المفاهيم الثلاثة المستخدمة هنا بثلاثة أسماء كل واحد منها يحقق ويناقض الآخرين - كلمة Signe تعنى الكل . والفكرة Concept - نضع بدلا منها Signifie المألول . والصورة الصوتية Image acoustique نضع بدلا منها Signifiant للدال . فالمصطلحان الاحسيران لهما فائدة الدلالة على التناقض (التعارض) الذى يفرقهما عن بعضهما وعن كل ما يشكلان جزءا منه .



والعلامة اللغوية **Signe** لها ميزتان أساسيتان وتوضيح
هذين الأساسيين توضع الاسس الرئيسية لكل دراسة من هذا النوع :-
- الاساس الاول : الطبيعة الاعتباطية للعلامة (١٢) .



ان الترابط بين الدال (Le signifiant) والمُدلول (Signifié) اعتباطي (Arbitraire) ولان العلامة هي الشكل المتحقق من تجمع الدال والمُدلول فالعلامة اللغوية اعتباطية ...،...

فمثلا فكرة أخت «Soeur» في اللغة الفرنسية هي على سبيل المثال لا يرتبط بتتابع أصواتها (S.O.R.) بآية علاقة قرابة داخلية - وان هذا التتابع الصوتي يمكن تهويله بشكل مساو بأى تتابع آخر مشابه له في أى لغة . . مؤكدا الاختلاف داخل اللغات ، والوجود التسوي للغات المختلطة .

وكذلك مدلول كلمة ثور «boeuf» يحمل كدلالة عذيه b-o-f
 في جانب من جانيه و o — k — s (Ochs) من الجانب الآخر .

(15)

Premier principe, L'Arbitraire du signe — PP 100 — 101 — 102

- وهذا بدوره يجعل الترادف من عوامل تأكيد اعتبارية العلامة اللغوية - فاعتبارية العلامة من الوضوح الى درجة انه لا يجادل احد في هذا الشأن ..

وان كل حالات التعبيرات المستعملة في المجتمع في مختلف أعرافه (institutions) قائمة على اعتبارية العلامة - التقاليد الاجتماعية - قوانين أنظمة الشفرة - (Codes) - الطقوس الدينية - الاشارات البحرية - اشارات المرور وقواعده ٠٠,٠٠ الى آخره

- فالصينيون مثلا الذين يحيون امبراطورهم بانحنائهم على الارض تسع مرات - هذه علامة قائمة على الاعتبارية كذلك .

ان علم العلامات (Semiology) عندما يصبح علما سيكون همه الرئيسي دراسة مجموعة الانظمة القائمة على اعتبارية العلامة - وان كل حالات التعبير المستعملة في المجتمع قائمة على أساس اعتبارية العلامة التقاليد الاجتماعية بمختلف انواعها وكل أعراف المجتمع المختلفة .. ، ..

واللغة ليست الا نظاما واحد سيميولوجيا (Semiology) من بين أنظمة المجتمع المتعددة لهذا كانت اللغة الاكثر تعقيدا وعالية من كل أنظمة التعبير والاكثر تميزا .. ، .. هي التي ستمكن علم اللغة من أن يكون النموج المتنازع لكل فروع علم العلامات .. ، ..

ولكننا عندما نستحضر كلمة رمز (Symbol) - ونجدما تستعمل لما يساوي - العلامة اللغوية - أو بتخصيص اكثر ما سميناها الدال (Signifiant) - ونعلم أن احدى مميزات الرمز Symbol الا يكون كلى الاعتبارية - فاننا نسلم ببذا لان هناك بدائية الرابط الطبيعي بين الدال والمدلول ..

أن رمز العدالة الذي اختير له كفتا الميزان لا يمكن استبداله بأي رمز آخر .. بسبب استقراره .

وهذا بدوره يبين أن كلمة اعتباطي تتطلب مضمونا وهو أن المصلح يجب ألا يقتضى ضمنا أن اختيار الدال متروك كلية للمتكلم - بدليل أن الفرد لا يملك القدرة على تغيير العلامة عندما تكون قد استقرت داخل المجتمع اللغوي - فاعتباطية الدال لا تنفى وجود صلة ما مع الحلول ٠٠٠٠٠

ونعرض ظاهرتين تبدوان في ظاهرها اعتراضين على مبدأ الاعتباطية ولكنهما في جوهرهما ترسيخ لهذا المبدأ وهذا الأساس :

١ - تقليد أصوات الطبيعة (les Onomatopées) قد تؤخذ كدليل على اثبات أن اختيار الدال ليس دائما اعتباطيا - ولكن صيغ تقليد أصوات الطبيعة ليست عناصر عضوية في بنية النظام اللغوي - أضف الى ذلك أن عددها ضئيل جدا إذا ما قيس بالشكل العام لنظام اللغة ٠٠٠٠٠ . وفوق هذا وذاك فلنضع أمثلة من أصوات تقليد الطبيعة في ضوء التحايل اللغوي - ولتكن أمثلة من اللغة الفرنسية مثلا كلمة «glas» قرع الناقوس .

وكلمة «Fouet» سوط .

فيذه الكلمات وما هو على شاكلتها ذات رنين متتابع تحاكي الاصوات التي تدل عليها ولكن عندما نعود بالدرس الى بعيد لنبحث عن أصلها ونجدها في صيغها اللاتينية فنجد مثلا أن : Fouet مشتقة من Fague = تسجرة الزان ونجد glas مشتقة من Classicum = صوت البوق .

نما نسب اليها من تقليد لاصوات الطبيعة جاء نتيجة لتطور صوتي تصادفي وأمثلة أخرى وثيقة الصلة بتقليد الاصوات الطبيعية على سبيل

المثال : glug - glug

tick - tick

tock - tock

لو حققنا البحث لوجدناها محدودة في عددها .
وهي فوق ذلك مختارة أيضا بطريقة اعتباطية نوعا ما ٠٠٠٠٠

وذلك لانها اصوات تقريبية فقط - وتقليدات اصطلاحية لبعض الاصوات
والخليل على ذلك أنك عندما تقارن بعض التقليدات الاصطلاحية في
الانجليزية والفرنسية على سبيل المثال نجد في الانجليزية bow - bow
والفرنسية Oua - Oua

بالاضافة لكل ما سبق فان هذه الكلمات عندما تدخل لغة ما فانها تخضع
الى حد لنفس التطور الصوتي والصرفي .. ، الى آخره .. - الذي
خضعت له الكلمات الاخرى .

٢ - نوع ثان : الكلمات التي تعبر عن الدهشة او التعجب

(Les exclomations)

كلمات هذا النوع مرتبطة تماما بتقليد الاصوات الطبيعية . ويمكن
تناولها على نفس أسسها :

- يجد الباحث فيها تعبيرات تلقائية ، ويجد تيجنتها صالحة للتكلم
بالتوى الطبيعية ولكن عندما نجدها في دقة نقبين أنه لا يوجد رابط دقيق
بين عدولها والادال عليها .. ، ولو قارنا لثنتين اثنتين حول هذه
النقطة لرأينا مدى اختلاف مثل هذه التعبيرات من لغة الى أخرى .. مثال
ذلك من اللغتين الانجليزية والفرنسية .

المعادل الانجليزي للصيغة الفرنسية
Ouch هو

أضف الى ذلك أن كثيرا من الكلمات التي تعبر عن الدهشة - أو كلمات
العجب أو التعجب كانت في الاصل كلمات لها دلالات خاصة :

وهكذا انتهى دى سوسير الى أن : صيغ تقليد اصوات الطبيعة .

وصيغ الدهشة والعجب ..

● أهميتها ثانوية ..

● كما أنها من حيث الاصل الرمزي الى حد ما هي مفتوحة للتفسير
وتأبلة للنقاش ..

أما الفصل الخاص بتغير العلامة واستقرارها Immutabilité et Mutabilité Signé فقد عرض فيه أولا للتغير .

وشرح فيه في تسلسل موضوعي أن التغير العام أمره مستحيل ، وأن الامكانيات النظرية للتغير أمرها مقبول .

كما أوضح أن الطبيعة الاعتبائية للعلامة هي في الحقيقة التي تحمي اللغة من أى محاولة لتعديلها . فلا يوجد سبب مثلا لتفضيل كلمة boeuf على Ochs - ولا كلمة Soeur على Sister - هكذا . الخ .

وأن أى مجتمع لغوي لا يعرف أكثر من أن اللغة ميراث من الأجيال السابقة وأن على الإنسان أن يتقبلها كما هي . وأن حالة اللغة القائمة نتاج القوى التاريخية .

وأن عامل اللغة التاريخي هو الذى يسيطر على اللغة ويمنع أى تغير واسع مفاجئ فيها . فالأجيال منصهرة وتعاقبها ليس تعاقبا مركبا بعضه فوق بعض وإنما هو تعاقب تداخل وانصهار . مع حقيقة أن تكيف اللغة وتعديلها ليس مرتبطا بتتابع الأجيال .

وإننا لو بحثنا كيف تنتقل الأعراف الاجتماعية الأخرى وحدثنا مدى الاتساع أو الضيق الذى تتمتع به بقية الأعراف الاجتماعية لعرفنا سر استقرار اللغة عندما يظهر في كل نموذج وجود نسبة مختلفة ما بين التقاليد الثابتة والحدث الاجتماعى الحر . بالإضافة الى وجوب تذكر المحاولات الجذولة في تعلم اللغة الأم هذا فضلا عن أن تعدد العلامات اللغوية أمره ضرورى لتشكيل اللغة وأن هذا التعدد عائق مبهم للتغير اللغوي فالعلامات غير متناعية . بل ان نظام الكتابة نفسه يتضمن ما بين عشرين الى أربعين حرفا . . .

وفوق هذا وذاك فإن لعنصرى الوزن الاجتماعى - والزمن - أهميتهما فاللغة يستعملها للجميع يوميا في كل لحظة على العكس من بقية الأعراف والأنظمة الأخرى التى يستعملها عدد محدد فقط من الأفراد خلال فترة محددة

من الزمن على حين أن اللغة تستعمل في كل الأوقات بواسطة كل الناس.
لذا فاللغة أمل عرضه للتغير لأن عنصرين معا يقيدانها عنصر الزمن وعنصر
الوزن الاجتماعي وهما عنصران متلازمان ..

وعندما تحدث عن الثبات Mutabilité

أوضح أن الزمن الذي يؤكد استمرارية اللغة هو الذي يعالج سرعة أو
بطء تغير العلامة اللغوية .

وأن أساس التغير قائم على أساس الاستمرارية ، والعلامة عرضة للتغير
لأنها تخلد نفسها بنفسها والتغير في الزمن يأخذ أشكالا متعددة ..
• هناك تغيرات صوتية تتعلق بالبدال

وتغيرات في المعنى تتعلق بالفكرة المحلول عليها .

وهذه بعض الأمثلة : فقد أصبحت لفظة يقتل (necare) اللاتينية
يغرق (noyer) بالفرنسية

فكلامها تغير : الصورة الصوتية والفكرة - ولكنه من غير المفيد الفصل
بين جزئي الظاهرة انه أصبح من المقرر أن نضع في عين الاعتبار الكل -
فالربط بين الفكرة والعلامة قد ضاع - وأصبح هناك تغير في العلاقة ..

مثال آخر من الألمانية :

أصبحت اللفظة الألمانية القديمة : dritteil - ثلث .

في الألمانية الحديثة : drittel - لقد بقيت الفكرة هنا

نفسيا ..

وتغيرت العلاقة في اتجاهين :

١ - تغير الدال في منظوره المادى صوتيا .

٢ - وتغيرت صيغته النحوية أيضا .

ان فكرة الجزء Teil - لم تدم طويلا dritteil تعد كلمة بسيطة -

فإنك تغير دائم في العلاقة -

مثال ثالث من الانجلو سكسونية : قدم (Fot) بقيت كما هي على حين أن جمعها (Foti) أصبح (Fet) - الانجليزية الحديثة (Feet) وإن تغيرات صيغ الجمع وتعددها في اللغة العربية دليل على ذلك .

بصرف النظر عن التغيرات المفهومة ضمنا . هناك شيء واحد مؤكد ، هناك تغير في علاقتها . تطابقات نشأت بين المادة الصوتية والفكرة .

إن اللغة غير قادرة على حماية نفسها من القوى التي تغير العلاقة بين المادول والدال .

وهذه نتيجة هامة من نتائج اعتبارية العلامة .

خلافًا للاعراف الأخرى التي تقوم كلها بدرجات مختلفة على العلاقات الطبيعية بين الأشياء فكليا تملك التكيف الضروري للمعاني المطلوبة لبلوغ الغاية - حتى موضوعة الملابس ليست كلية الاعتبارية فهي تنحرف قليلا عن الظروف المفروضة بواسطة الجسم الانساني ..

أما اللغة فهي غير محددة بشيء في اختيار المعاني لأنه لا شيء يمنع تجمع أي فكرة مهما كانت مع أي تتابع للأصوات مناسب .
ثم هو يتخذ من موقف ويتبنى (whitney) (١) تأكيداً لما يذمب فويتننى يرفض أن تكون العلاقة بين الصوت والمادول طبيعية - Nutral

ويراها اعتبارية - وعنده أن الدالة ترتبط بالمفهوم الذي تدل عليه بالاصطلاح Conventional - والارتباط بينهما ذهني فقط .

ولو كان الارتباط طبيعيا Natural أو داخليا Internal؛ أو لازما Necessary

(١) وتينى (D. Whitney) - ١٨١٧ - ١٨٩٤ م - عالم لغوى أمريكى أثر في دوسوسير وقد كانت لويتننى إهتمامات بالسندسكريتية - وله مؤلفات منها « الكلام ودراسة الكلام » - أبرز فيه مفهوم القانون اللغوى - والنظام اللغوى والبنية اللغوية - وأثرت هذه المفاهيم في دوسوسير فدفعته إلى التفكير في الدراسة الوصفية وعلم اللغة الوصنى ... الخ ..

لوجب أن يتبع كل تغيير في المفهوم تغيير في الدليل (٢) •

فهو يقول ان ويتنى يلح باستمرار على الطبيعة الاعتبائية للعلامات -
وحو يضيف ان ويتنى بهذا العمل يكون قد وضع علم اللغة في مجاله الصحيح •

وان اعتبائية العلامة تستلزم نظريا الحرية في تأسيس أى علاقة بين
المادة الصوتية والأفكار - والنتيجة أن كلا عنصرى العلامة يحافظ كل واحد
منهما على حياته الخاصة الى درجة غير معرونة بأى وجه •• ولكن التطور
حتمى ولايوجد أى مثال للغة واحدة يدفع هذا التطور أو يقاومه •

ان للاستمرارية دورها في التغيير فالزمن يغير كل شىء ولايوجد سبب
لاخراج اللغة عن هذا القانون العام •

ان لجماعة المتكلمين *Masse Parlante* ضرورته لتحقيق اللغة بعكس
بنية الظواهر ، فان اللغة لاتوجد منفردة عن الحقيقة الاجتماعية ان طبيعتها
الاجتماعية لحدى ميزاتها الدلخية (٢) •

ان تعريفنا التام يجعلها في مواجهة كيانين متلازمين •



(١)

The life and growth of language : Henry King & Co London

(875; P. 48.

• الدلالة اللغوية عند العرب ص ٢٢٢ •

(٢) اللغة والكلام : اللغة كلام ينقصه التكلم - انها المجموعة الكلية

للعادات اللغوية التى تسمح للفرد بان يفهم وبأن يفهم • وجماعة المتكلمين
ضرورية لتحقيق اللغة •

اللغة وجماعة المتكلمين . مع ادخال فعل الزمن - فالزمن مقرون بالقوى الاجتماعية .

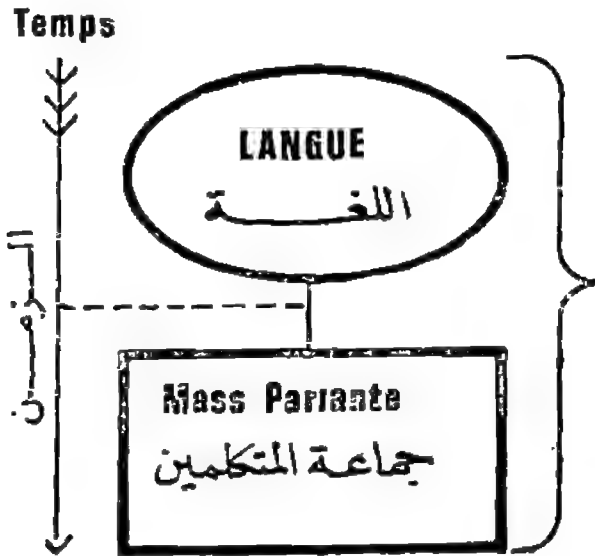
وإذا أقصى الزمن فان الحقائق اللغوية ستكون ناقصة .

وإذا لم نضع في عين الاعتبار جماعة المتكلمين . فان تكون هناك لغة .

فتصور فردا معزولا يعيش قرونا متعددة - فمن المحتمل ألا تلاحظ تغيرا الزمن لا يؤثر في اللغة .

كذلك اذا أخذنا جماعة المتكلمين من غير اعتبار الزمن فسوف لانرى تأثير القوى الاجتماعية التي تؤثر في اللغة .

لتمثيل الحقائق الفعلية علينا أن نضيف لرسمنا الأول علامة تدل على مرحلة الزمن .



لزمن يسمح للقوى الاجتماعية لتحديث تأثيرها - فالاستمرارية بالضرورة تتضمن التغير درجات متنوعة من التغيرات في العلاقة بين الحلول والذات .

تعليق بلومفيلد على محاوره قراطيلس :

يعلق بلومفيلد على محاوره قراطيلس لأفلاطون (٥) :

بأن هذه المحاوره تعطينا لمحة أولية عن قضية طال الخلاف فيها بين القياسيين (Analogists) الذين يعتقدون أن اللغة طبيعية (Natural) وأن قواعدها منتظمة (There fare at bottom regular) ومنطقية (Logical) - وبين أصحاب التشذيد (The Anomalists) (٢) الذين ينكرون هذه الاشياء ويشيرون الى السواذ (Irregularities) في التركيب اللغوي (Linguistic Structure) (٦) .

ثم يضيف : غير أن القياسيين اعتقدوا أنه من الممكن تتبع أصل الكلمات ومعناها الحقيقي بالنظر في أشكالها (Their shape) . وسما البحث في هذا الاشتقاق (Etymology) .

- وبينهم من موقف بلومفيلد هذا - ومن أعماله أيضاً أنه يرى أن منهجهم هذا لا يوصل الى شيء - دليله أنه يقول بعد هذا :

ونستطيع أن نصطنع لهذه النظرية أمثلة توضحها

مثال ذلك : كلمة بلاك بيرد طائر أسود (Black bird) : تتكون من Bird, Black ويسمى بها نوع من الطير وهذا النوع من الطير انما سمي بهذا الاسم من أجل لونه الاسود - وهذه حقا تسمية صادقة تصحق على هذه الطيور ، فهي طيور وهى سوداء

(الواقع أن بلومفيلد يريد أن يتخذ من تحليله لهذا المثل منطلقاً ويريد أن

(٥) اقرأ كتابه اللغة

Language, by Leonard Bloomfield, Chapter 1. The study of language PP. 4,5 - (In his dialogue Cratylus, Plata (427. 347B.C.) discusses the origin of words , etc

(٦) يقصد ما يوجد في بنية اللغة بصفة عامة سواء في منرداتها (Words) أو عباراتها (Phrases)

يستطرد منه ليصل في ضوء تحليله الى خطأ هذا الاتجاه تماما - لذلك
فيقول :

وعلى نفس هذا المنهج أكان من الممكن أن يستنتج علماء اليونان أن ثمة
علاقة (Some deep-seated Connection) بين ثمرة من نوع الفراولة أو
الثوت - وبين الأوزة لاتحاد الاسم (A goose, A goose berry)
ثم هو يضيف : أن اشتقاقا يمكن أن يقر مثل هذه العلاقة أو يحاول أن يوجدها
أو يبرر لها اشتقاق خاطئ، ٠٠٠٠٠ لأنه لا صلة ولا وجه شبه بين هذه وتلك
الا علاقة الشبه الشكلى فى الاسم فقط ٠٠٠٠٠

ويضرب بومفيلد غير هذا المثل أنواعا أخرى من الامثلة تؤكد وجهة
نظره هذه على صورة أوضح ..

ثم هو يضيف أن التحليل فى كل اللغات لا يسمح بذلك ولا وجود به .

فيقول مثلا : -

وهكذا نجد فى اللغة الاغريقية (Greek) ومثلها اللغة الانجليزية امثلة
كثيرة من الكلمات تستعصى على هذا النوع من التحليل الذين يتصورنه
- فمثلا :

كأمة (Early) أى مبكرا - تنتهى بمثل ما تنتهى به كلمة
(Manly) - بمعنى الرجولة - نسبة الى الرجل - أو رجولى ، -
فالألحقة (Ly) مضافة الى (Man) - فإذا جردنا الكلمة من تلك
اللاحقة بقيت (Man) بمعنى رجل - ولكن اذا جردنا الكلمة الاولى من
اللاحقة (Ly) فماذا يتبقى ان الذى يتبقى (Ear) هل تعطى نائدة -
انها بقية غامضة لا تفيد ..

وكذلك كلمة أخرى مثل : Woman : بمعنى امرأة - انها تلتقى مع
كلمة مثل - man : بمعنى رجل - ولكن ما دور المقطع (wo) - فى هذا -
ان ذلك المقطع هو الذى يفصل بين دلالة هذه الكلمة ودلالة الكلمة الأخرى من
الناحية الشكلية الصوتية - ولكن ما قيمة هذا المقطع الاول (Wo) فى التحليل
الاشتقاقى . انه لا دور له - ولا دلالة له كذلك ..

وعلى هذا النحو تقابلنا صعوبات في تحليل الكلمات - القصيرة -
أو البسيطة - التي هي أقل من السابقة . فكلمات مثل : رجل Man
- وولد Boy وحسن Good - وروء Bad

وكلمة مثل يأكل : (eat) - وأخرى مثل يجرى (run) - كلمات
على هذا النحو ومثلها كثير لا يعين فيها التحليل الاشتقاقي على إعطاء علاقة
بين الكلمة (الرمز) : - وما تشير اليه . . ، . . ولكن علماء اليونان
ومثلهم تلامذتهم من علماء الرومان (١) كانوا في مثل هذه الحالات بلجنون
الى حدس وتخمين . .

ومن ذلك أنهم قالوا : ان الكلمة اليونانية (Lithos) ومعناها الحجر
(Stone) مشتقة من العبارة (Lain their phrase) الجرى الكثير
(to run to much) لان هذا هو ما لا يقطعه الجرى (٨) .

وفي النهاية ينتهي بلومفيلد الى أن هذه الاشتقاقات
تطلعنا على كل حال على أن علماء اليونان كانوا قد أدركوا أن الصور الكلامية
(Speech - Forms) تتغير بطبيعتها على مر الزمان .

ومنهمو كلام بلومفيلد أن صور الكلام تتغير - وأنها قابلة للتفسير لانها
غير ثابتة على حين أن المسميات لا تتغير - وكذلك المعاني ثابتة لا تتغير . .
أي أنه لا توجد علاقة طبيعية ضرورية - أو منطقية عاقية بين الاسم
والسمى أو بين الدال والمدلول . .

(٧) تتلمذ الرومان على علماء اليونان في الدراسات اللغوية - حيث
كانت قد أخذت تسهم في الدرس اللغوي منذ القرن الثاني قبل الميلاد -
ر اقرأ : اللغة لبلومفيلد السابق) .
وقد وضع الرومان نحو اللغة اللاتينية على غرار النحو اليوناني -
(السابق أيضا ، ص ٦/٥ وما بعدهما) .
(٨)

A Latin example of this sort has become proverbial; Lucus
a non Lucendo, a grove (Luncus) is so named on account of its
not being light (Luncendo).

يؤكد ذلك عنده التحليل الاشتقاقي - وتغير الاسماء ، وأن الاسم كما يقولون كالزنبق لا يثبت على حال ..

وخلاصة ما يراه : أن العلاقة الطبيعية بين الاسماء والمسميات أمرًا مرفوض عنده ..

وأن التحليل الاشتقاقي لا يوضح أي شيء في هذا المجال - وأنه لا طائل من ورائه .. ، .. وإنما هو دليل على أنه لا علاقة ولا رابطة عقلية ضرورية بين الاسم والمسمى ..

خلاصة القضية في الفكر الغربي المحدث :

تبين لنا من مسارها في الفكر اللغوي الفلسفي :

* أنها مرفوضة ..

وأن انتقادات كثيرة وجهت إليها ..

بل إن من بين من اعتنقوها ، ونادوا بها ، من عملوا على هدمها .. على نحو ما كان من فتجنشتين - حيث أنه عدل عنها بمد أن نادى بها .. ووجه إليها نقداً وأقام على انقاضها نظريته الجديدة التي خلاصتها : « معنى الكلمة هو استخدامها » ..

وذلك لأنه يرى أن معنى الكلمة ليس له ثبات أو تحديد .. ومعناه أنه يرفض أن معنى الاسم يقود إلى المسمى .. أو أن عالم الكلمات ينتلنا إلى عالم الماهيات .. ، وأنه ليس بين الاسم والمسمى محاكاة تأتي من عالم الاسماء إلى عالم الأشياء ، ، ، ..

وفتجنشتين يعد رائد الفلسفة اللغوية لذلك فقد ذهب إلى أن : اللغة لعبة وليست حساباً منطقياً جامداً .. لكل كلمة معنى محدد ، ولكل جملة معنى محدد - ولكل الجمل وظيفة واحدة .. وإنما تتعدد معاني الكلمة بتعدد استخداماتها وتتعدد حسب السياق الذي ترد فيه .. وأن بين تعدد

الاستخدامات للكلمة والجملة تشابها أسريا (١٦) ..

وان الكلمة مطاطة تتسع وتضيق استخداماتها حسب الظروف
والحاجات ..

وان اللغة ليست كالرجل الصارم الذي يعرف دائما ماذا يريد . .
ويتصرف دائما طبقا لقاعدة محددة .. وانما هي رجل فضفاض متفائل له
مناحي نشاطات متعددة يتلاعب بما لديه من أدوات دون صرامة .. أو خطة
محكمة . .

وخلاصة ما يراه هو : ألا تسأل عن المعنى .. وانما اسأل عن الاستخدام
.. فمعنى الكلمة ليس غير طريقة استخدام الناس لها أو طرق استخدام
الناس لها في حياتهم اليومية ..

أما مسارها في الفكر اللغوي الخالص فقد تبين منه :

أنها مرفوضة ..

وقد اتخذ لطريق رفضها وجهات متعددة ..

فبلومفيلد يؤكد بالتحليل الاشتقاقي أنه لا توجد علاقة عقلية
ولا رابطة ضرورية بين الاسم والمسمى - هذا من جانب ومن جانب آخر يشير
إلى نقطة هامة أوضحها دوسوسيير وهي أن الصور الكلامية (Speech - Forms)
تتغير بطبيعتها على مر الزمن - وأنه منذ عهد اليونان والرومان كان هناك
ادراك ووعي بهذه الحقيقة - وإلى مثل هذا أشار دي سوسيير في علاجه
في مبحث التغير والثبات ..

(١٦) أى مثلما بين أفراد الأسرة في العائلة الواحدة من أوجه تشابه في
بعض السمات واختلاف في بعضها الآخر كذلك الكلمات .

وأننا عندما نقتبع بالبحث والتحليل اللغات المختلفة فسوف لا نجد ثمة علاقة بين الاسم والمسمى .. وأن الأمثلة على ذلك كثيرة نجدها في الكلمات المركبة كما نجدها في الكلمات البسيطة .. وأن الانجليزية والاغريقية عنده مثلان واضحا على ذلك ...،،،،، فموقف بلومفيلد واضح ، أفكاره محددة ..

لما دوسوسير فمنهجه التحليلي كان مقنعا لكثير من اللغويين من بعده وقد احتذاه بعضهم وقد أقيم عليه منهج لعلوم مستقلة - وقد انتشر علم السيميوطيقا (علم العلامات) بسرعة مذهلة في أمريكا وأوروبا الغربية ، وفي الاتحاد السوفيتي وقد وجدت مدارس مهمة اهتمت بهذا العلم - في : « تارتو » ، « باريس » وفي « ليننجراد » و«أوربينو» . وفي ألمانيا الشرقية ، وفي المجر ... الخ ..

فونكوت الجمعية العالمية للسيميوطيقا في باريس ١٩٦٩ م - وتصدر عن هذه الجمعية دورية فصلية تحت عنوان « سيميوطيقا » يحررها باحثون من أهم العواصم العلمية في العالم : -

مثل « جوليا كرسيفا » - و « جان كلود كوكيه » من فرنسا و « أومبرتو أكو » من إيطاليا - و « لوري لوتمان » - سوفييتي .. وغيرهم .. تحت رئاسة « سيبوك » الأمريكي والسيميوطيقا متهمة بدراسة :

الاتصال والدلالة عبر أنظمة العلامات في علوم مختلفة وفي تطبيقاتها وممارستها
الحالية فهي تخصص في الاتصال الآلي Cybernétique
والاتصال الحيواني Zoo Sémiotique

وتصل الى أكثر أنظمة الاتصال الانساني تعقيدا وتركيبا الى لغة الأساير واللغة الشعرية .. مثلا مستعملة في هذه المجالات المختلفة :

علم اللغة - والأنثروبولوجيا - والرياضة - والمنطق الرياضي - والعلوم الطبيعية والاجتماعية والفلسفة - وفلسفة اللغة - فدوسوسير فتح بمبحثه هذا آفاقا واسعة انطلق نحوها الباحثون في كل اتجاه واستفادوا منها ألفوا فيها وقدموا فيها أعمالا ومناهج متعددة ...،،،،،

كما قدم اميل بنفنست كتابه سيميولوجيا اللغة (١٧) .

وخلاصة رأى دى سوسير في هذه القضية أنها مرفوضة لاعتبارات منها :
أن اعتبار اللغة قائمة من الكلمات تتطابق مع قائمة من الأشياء التي تدل
عليها أمر غير مسلم به وينتقض من عدة جوانب . . . وأن الربط بين الأسماء
والسميات اعتباطى . .

وأن الطبيعة الاعتباطية أهم ما يميز العلامة اللغوية . . بل ان حالات
التعبير المختلفة المستعملة في المجتمع قائمة على اعتباطية العلامة - وأن
علم العلامات الذي دعا اليه عندما يقوم سوف يكون عمه الرئيسى دراسة
مجموعة الأنظمة القائمة على اعتباطية العلامة . . وفلا قد تحقق قيام هذا
العلم . .

ثم هو يرى أن الاعتباطية ليست كلية لأن هناك بدائية الربط الطبيعي
بين الدال والحلول وأن بعض الرموز عندما تثبت لا يمكن استبدالها مثل
رمز العدالة الذي اختيرت له كفتا الميزان . . مثلا وغير ذلك . .

وأن الكلمات التي جاءت تقليدا لأصوات الطبيعة Onomatopées
ليست عناصر عضوية في بناء النظام اللغوى وأن ما نسب الى بعضها من
تقليد لأصوات الطبيعة جاء نتيجة لتطور صوتى تصادف وأن بعضها أصوات
تقريبية وتقليديات اصطلاحية لبعض الأصوات بدليل أنها تختلف من لغة
الى أخرى . .

ومثلها في ذلك الأصوات التي تعبر عن الدهشة والعجب exclamations
وقد تكون بعضها تعبيرات تلقائية - وأختلافنا من لغة الى أخرى دليل
على أنها اصطلاحية تقريبية أضف الى ذلك ان كثير من أمثلتها كانت
في الأصل كلمات لها دلالات خاصة ثم تطورت .

(١٧) أنظر تعريفا به - وترجمة له بقلم سيزا قابس مجلة فصول المجلد
الأول - العدد الثالث .

وأقرأ : السيميوطيقا مفاهيم وأبعاد أمينه رشيد . وسيميولوجيا
المرح سامية أحمد أسعد .

وفوق كل هذا فان هذه وتلك ذات أهمية ثانوية - كما أنها من حيث الأصل الرمزي . مفتوحة للمناقشة وغير مسلم بها ..

كما أنه اتخذ من تغير العلامة واستقرارها منهجا شرح من خلاله اعتبارية العلامة ، فاعتبارية العلامة تحمى اللغة من أى محاولة لتعديلها - فلا يوجد سبب لتفضيل أحد الدالين على الآخر عندما يشيران معا الى مدلول واحد وأن عنصر الزمن وعنصر الوزن الاجتماعى يجعلان العلامة اللغوية أقل عرضة للتغير لأن العنصرين معا متلازمان وعاملان على تقييدها ...

وأن الزمن الذى يؤكد استمرارية اللغة هو الذى يمالج سرعة أو بطء تغير العلامة اللغوية وأن التغير يأخذ أشكالا متعددة فقد تكون بعض التغيرات صوتية خاصة بالدال وبعضها الآخر معنوية خاصة بالمدلول عليه .

وأن اللغة غير قادرة على حماية نفسها من القوى التى تغير العلامة بين الدال والمدلول ..

وهذه من أهم نتائج اعتبارية العلامة .
فاللغة غير محددة بشئ، في اختيار المعانى لأنه لا شئ يمنع تجمع أى فكرة مهما كانت مع أى تتابع للأصوات مناسب .

فاعتبارية العلامة تستلزم نظرية الحرية في تأسيس أى علاقة بين المادة الصوتية والأفكار .

والواقع أن فرديناندى سوسير رائد وإن لم يكن نتاج عصره فحسب فقد كان جماع الثقافة السابقة عليه هضميا ووعاها وأفرزها من خلال عقل فاهم في ثوب منهج علمي لذا جاء أثره فيمن جاءوا بعده قويا نافعا ومازال حتى اليوم ..

فقد استفاد دى سوسير بوعى من ويتنى Whitney - وفهم أعمال غيره ممن سبقوه وسخرها فيما أراد وفق منهج علمي فجاءت على النحو الذى نرى .

فهو ينص صراحة على استفادته من ويتنى (Whitney) - ويقول : إن

ويقتنى كان يلح باستمرار على الطبيعة الاعتبارية للعلامات - ويضيف بأن
ويقتنى بعمله هذا يكون قد وضع علم اللغة في مجاله الصحيح -

ونحن نضيف بأن هن بين علماء العربية القدماء من أصلوا هذا الأساس
وعمقوه في التراث العربي ، وهو تراث مباح ينهل منه علماء الغرب ما شاءوا
دون حرج أو قيد - وقد جاءت نصوص علماء العربية في ذلك صريحة على
أيدي كثير منهم في مواطن متعددة .

ومن ذلك على سبيل التمثيل ما يظالمنا في شرح الجاربردي لشافية ابن
الحاجب حيث جاء : - (١)

اعلم أن للشئ في الوجود أربع مراتب :
الأولى حقيقته في نفسه ، والثانية مثاله في الذهن :
وهذان لا يختلفان باختلاف الأمم - لأنها بحسب الحقيقة لا الوضع .
والثالثة اللفظ الدال على المثال الذهني والوجود الخارجي .
والرابعة الكتابة الدالة على اللفظ .

وهذان يختلفان باختلاف الأمم كاختلاف العربية والفارسية - والخط
العربي والخط الهندي .

باختلاف دلالة الآخرين فأنها بالوضع إذ لا علاقة بين المعاني والألفاظ
على الأمر العام ، ولا بين الألفاظ والنقوش الموضوعية ، ولذلك جاء الاختلاف -
والمراد بالجاري على اللفظ المطابق من غير زيادة ولا نقص .

كما قال الغزالي رحمه الله في مقنمة المستقصى لكل موجود أربع وجودات

وجود في الأذهان . ووجود في اللسان .
وجود في البنان . ووجود في الأعيان (٢) .

وجاء في شرح البقري لتعريف ابن الحاجب للخط بأنه تصوير للفظ بحروف
مجائه .

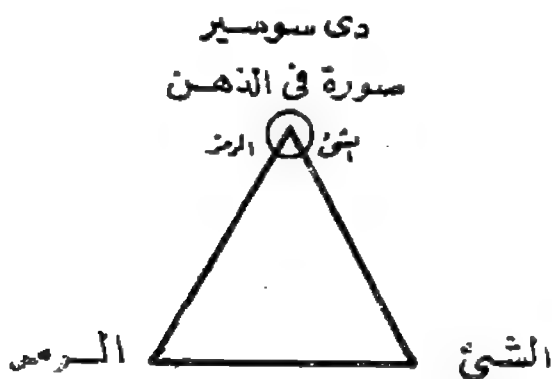
(١) مجموعة الشاميه من علمي الصرف والخط تحتوي المجموعة على مقنن
الشافية وشرحها للجار بردي وخاشية الجا بردي لابن حميمة ح ١ ص ٣٧٠
وما بعدها - وج ٢ ص ٣٤٣ وما بعدها .
(٢) انظر السابق .

أعلم أن وضع اللفظ -لأداء المعنى الحاصل في الذهن المطلوب الشعور به- للمستمع إذ لا فرق على ما في الذهن ووضع الخط لأداء اللفظ المقصود فهمه لنا طريقه ، فإذا أردت إيقاظك أحداً على ما في ذهنك من المعاني تكلمت بالفاظ وضعت لياً •

وإذا أردت تأدية ألفاظك كذلك إلى أحد غير شفاة نقشت النقوش الموضوعية لتلك الألفاظ فقطالغ تلك النقوش وتفهم منها تلك الألفاظ وتلك المعاني - ولا علاقة - بمقابلة بين المعاني والألفاظ على الأدر انعام ولا بين الألفاظ والنقوش الموضوعية ، وهن ثم جاء اختلاف اللغات والخطوط كالعربية والهندية والتركية إلى غير ذلك • (١)

ويتأمل الباحث عمق فكر علماء المسلمين في تلك القضية مع ما تليسه من وضوح ويؤله أن ننسب مثل هذا لعلماء الغرب وهو مأخوذ من عندنا - فلشيء في الوجود حقيقة ثابتة مقررة لا يختلف بشأنها أحد كما أن صورته الذهنية عند الجميع واحدة كذلك فلا اختلاف في حقيقة الشيء ولا في صورته الذهنية لأن هذين بحسب الحقيقة لا بالوضع •

أما اللفظ الدال على المثال الذهني والوجود الخارجي فهذا يختلف باختلاف الأمم وإلى هنا وعند هذه الأفكار فقط تنتهي نظرية دي سوسير وحدود المثلث الثلاثة التي وضعها •

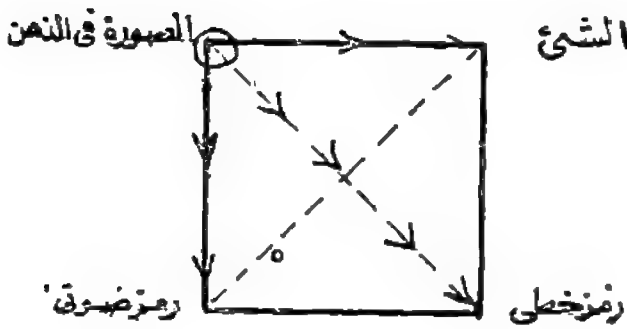
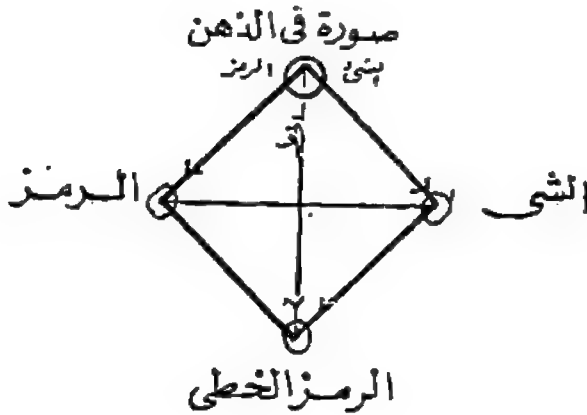


فهذه الوجودات الثلاثة على حد عبارة الغزالي وجود العيان ووجود الذهن ووجود البيان أو للسان •

(١) حاشية ابن البقرى على الراية مخطوط قراءات م ١ الليثية المصرية العامة للكتاب - قسم المخطوطات •

فإذا أراد مرید أیتاف أحد علی ما فی ذهنه من المعانی تکلم بألفاظ وضعت
لهذه المعانی •

وإذا أراد تأدیة المعانی بغير شفاه نقش الموضوع أيضا لتلك الألفاظ
أذن فالتسلسل قائم فالخط مبنی علی اللفظ أى أن المربع الدلالی متصلبیل فالشیء
القائم فی الوجود له وجود فی الذهن ترتب علیه وجود فی اللفظ وترتب علی وجود
الرمز المنطقی وجود الرمز الخطی •



فالألفاظ وضعت لتصوير المعانی الخاصة بالاشياء •
والنقوش (الخطوط) وضعت لتأدیة نفس المعانی

فهذه الأفكار لاشك أفاد منها الغربيون - وكذلك استفاد منها دوسوسير

بإتريق مباشر أو غير مباشر •

ثم نجد في أعمال اللغوى همبلت «Humboldt» - (١٨٣٥) نقاطا أفاد منها دوسوسير في القضية . وإن ما جاء في كتاب اللغة طبيعتها وتطورها وأصولها Language - Its nature, development, and origin لأوتو يسبرسن (Otto Jespersen) في الفصل العشرين Chapter XX منه تحت عنوان الرمزية الصوتية ليلقى ضوءا كاشفا على ذلك - ولا سيما في المبحث الأول منه (١٨).

فمما ذهب إليه همبلت في ذلك بأن الألفاظ ومعانيها قد تختفى على مر الأيام وبالتالي قد يأتى عليها حين من الدهر تبحو فيه غامضة - يلقي ضوءا على ما صنعه دى سوسير في الفصل الخاص بتغير العلامة واستقرارها ودور عنصر الزمن في ذلك - وإن كان قد أضاف إليه عنصر جماعة المتكلمين - كذلك ما ذكره همبلت من أن اللغة تدل على الأشياء بالأصوات التى تدل عليها تارة بنفسها ، وأخرى بالمقارنة مع غيرها يترك انطبعا في الأذن مماثلا للتأثير الذى تتركه الأشياء على العقل (١٩) فإن ذلك يلقي ضوءا أيضا على ما صنعه دوسوسير من تنقيد للعلاقة الطبيعية بين الدلائل والأول - لاسيما وإن مادفيج (Madvig) (- ١٨٤٢ م) قد أوضح بالأمثلة والأدلة القاطعة وأورد مئات الكلمات من الفصيحة الهندية الأوربية التى تتناظر في معناها الكلمات التى استدل بها همبلت وتخالفها في الأصوات (٢٠) - وفوق ذلك فقد أوضح مادفيج بأننا لو قارنا هذه الكلمات ببعض ما أورده همبلت لتبين بجلاء خطأ فكرة الرمزية الصوتية أو العلاقة الطبيعية بين الألفاظ ومدلولاتها (٢١) .

(١٨)

Language — Its nature, development and origin by Otto Jespersen Chapter XX Sound Symbolism — I — Sound and Sense
PP 396 — 397 —

ومن المفيد قراءة الكتاب الرابع بتمامه Book IV - تحت عنوان :

The Development of language Book IV

أما الفصل العشرون - فصل الرمزية الصوتية فهو كله عام في هذا الصدد من صفحات ٣٩٦ الى ٤١١ .

(١٩) السابق ص ٣٩٦ / ٣٩٧ -

(٢٠) أنظر كتاب : من أسرار اللغة . د . ابراهيم أنيس ص ٧٦ .

(٢١) يسبرسن السابق ص ٣٩٦ .

ويورد يسبرسن كذلك ما قدمه نيروب «Nyrop» مما هو خاص بهذه القضية مما يتصل بالتغير الدائم لدلالات الكلمات • وبأن الدال الواحد يمكن أن يدل على دلالات متنوعة والاسم يمكن أن يشير إلى أسماء مختلفة (٢٢)

ثم يورد يسبرسن بعد ذلك مباحث متعددة خاصة بالرمزية الصوتية يعبر فيها عن وجهة نظره الخاصة إزاء هذه القضية •

خبو يعرض في مبحث خاص (٢٣) إلى أن اثبات المناسبة الطبيعية بين الألفاظ ومدلولاتها في كل الكلمات وفي كل اللغات في جميع الاوقات من المستحيلات (٢٤) ولكنه مع ذلك لايعدم أن يكون هناك علاقة منطقية تشير إلى الرمزية الصوتية في بعض الحالات بين بعض الكلمات ومعانيها ••

ثم يعرض مباحث متعددة يفرد كل مبحث منها لجانب من جوانب تلك العلاقة التي يراها طبيعية وتشير فيها إلى ما بين الألفاظ ومعانيها من صلة منطقية •

وباختصار فإن الفصل الذي خصه لدراسة الرمزية الصوتية Sound Symbolism عنده يعرض فيه اثني عشر مبحثاً تأتي على جوانب هذا الموضوع بأكمله كما يقرأى له •

تتلى المبحث الثالث مثلاً الذي يجيء عنده تحت عنوان (Direct Imitation) يعرض للتقليد المباشر للأصوات التي تعد عنده بمثابة المحاكاة لأصوات

(٢٢) يسبرسن السابق ص ٣٩٧ • استفاد الدكتور ابراهيم أنيس من فكرة نيروب هذه ومن أعمال يسبرسن وهو يناقش ابن جنى مما هو خاص بهذه القضية في نظرة وعرض له ••

(٢٣) السابق ٣٩٧ - الفصل السابق مبحث ٢ •

Chapter XX - 2. Instinctive Feeling P397

Yes, of course it would be absurd to maintain that all words at all times in all languages had a signification corresponding exactly to their sounds, each sound having a definite meaning once for all.

الطبيعة كالأصوات التي تصدر عن الأدوات المعدنية مثل Clink خشخشه أو Clang طنين - و Clank قعقة و Splash صوت رش المياه - والطرطشة - و Sizzle - صغير أو أزيز - Bubble خريير المياه - ومن بين أصوات الحيوانات Roar زئير الأسد ، و Bleat ثغاء الغنم .

أما الأصوات الـ انسانية فمثل Sneeze العطس - Snore الشخير - و Snigger الضحك و Whisper صغير و Smack قمطق - و Grumble تنجرجر . . وغير ذلك مما يمكن أن نسميه الأصداء Echiosme - أو ما يعرف بمحاكاة أصوات الطبيعة Onomatopoeia .

وفي أبحاث الرابع الذي جاء عنده تحت عنوان

ORIGINATOR OF THE SOUND

عرض لمصدر الصوت الطبيعي وبين أنه يمكن أن يطلق على مصدر الصوت نفسه أو على من يصدر منه هذا الصوت .

وضرب على ذلك أمثلة متنوعة (godon)

فالفرنسيون مثلاً يطلقون على الانجليز (a god — damn) لأن هذه العبارة تدور على السنة الانجليزية فأطلقها عليهم الفرنسيون - وفي الصين يطلقون على الجندي الانجليزي (a-says or I-says)

وفي اليابان (Iava) يدعى الفرنسي (orang- deedong , orang' man')

وفي أمريكا يدعى (ding - dong)

وخلال حرب نابليون كان يدعى الفرنسيون في أسبانيا (dindones)

من (dis - done) - والاستراليون كانوا يسمون الفرنسيين (wi - wi)

وهكذا أطلق على طائر (Cuckoo) هذا الاسم لأنه يصدر عنه .

وفي البحث الخامس الذى جاء تحت عنوان (Movement)

أوضح أنه من الطبيعى أن يعبر بالصوت عن بعض الحركات التى تصدر ويكون بينها وبين الصوت مناسبة فبعض الحركات تصدر محدثة صوتا مادنا فطبيعى أن يأتى الاسم مناسباً للصوت فأنفعال مثل :
bubble, splash, clash, crack, peck

وكلمات تتصل بما يصدر عن الإنسان من حركات مثل to bang the door
- أطرق الباب بعنف - أو to tap or rap at a door أطرق الباب بخفه
(with slighter sounds)

وكذلك من :افعل to hack, to cut, chop off, break up hard earth
وكذلك نجد في الكلمات التى تعبر عن الحركة ذات الصوت المرتفع معظم
الكلمات التى تبدأ بـ حرف F L - مثل : FL : Flow, Flay
وكذلك توجد علاقة طبيعية بين الحدث والصوت في كلمة to tickle
بمعنى الوخز الخفيف

وفي البحث السادس الذى جاء عنده تحت عنوان

Things and Appearances

تحدث عن وجود صلة طبيعية بين ارتفاع النغمة - (الأصوات ذات
الذبذبة العالية) (Sound with very rapid vibrations) والضوء وعكسه
بين النغمات المنخفضة والمظلمة ..

كما أن الحرف (l) يترك إحساساً بأنه أكثر ملاءمة لكلمة Light (الضوء)
والحرف (u) لكلمة Dork (الظلمة) . ويبدو الأمر واضحاً بمقارنة
وميض - glimmer بصيص و glitter لمعان بكلمة gloom ظلمة

- في قولنا : لم يخفف من ظلمة الليل إلا سطوع مصباح الشارع .
«The gloom of night, relieved only by the gleam from the
street — lamp»

وفي المبحث السابع الذي جاء عنده تحت عنوان (States of mind)

– بين كيف : تحدث مناسبة بين الكلمات والحالات العقلية والنفسية .

فكلمة *gloom* التي تعنى الظلمة يمكن استعمالها لتعبر عن الغموض والابهام ، وقد مثل تودين Dowden لذلك بقوله :

« الاخبار الطيبة كانت في حاجة ماسة لتسلط الاضواء على الغموض الذي احاط بالشيء » (١) .

«The good news was needed to cast a gleam, on the gloom that encompassed shelley»

ويقدم قائمة من الكلمات الرمزية ذات الأصوات المعبرة عن الكراهية والنفور والمهانة .

blunder, bungle, bung, clumsy, humdrum, humbug, slum sluch, slubber, sloves, much, mud, muddle, mug.

وفي المبحث الثامن الذي جاء عنده تحت عنوان Size and Distance

يتابع حديثه عن حرف العلة (i) وكيف أنه بضيقه *Narrow* ولينه *Thin* يمكنه أن يعبر عما هو صغير وضعيف أو عما هو مهذب ورقيق – وأن مثل هذه الصفات يعبر عنها هذا الحرف في لغات مختلفة .

غير أن ستيفن أولمان يعرض هذه الفكرة بنوع خاص ولا يقره على ما يذهب اليه بخصوصها (٢٥) .

وفي المبحث التاسع الذي جاء عنده تحت عنوان

Length and strength of words and sounds.

تحدث عن أن الصيغ القصيرة والمتورة أكثر مناسبة وملاءمة من الطويلة لتعطين الحالة النفسية والعقلية وأن الانسان قد يستعملهما للطلب أو للامر أو للاستغاثة أو الاستعطاف والتوسل .

وأن اللغة التي ليس لها سوى صيغة واحدة للامر يشفعون طلبهم بنغمة ناعمة – أو بإضافة كلمة مثل *Please* في الانجليزية و *Bitte* في الألمانية –

(٢٥) اقرأ دور الكلمة في اللغة الترجمة العربية د . كمال بشر ص ٨٤/٨٥.

كما أن تطويل الكلمات بمقاطع مشتقة لا معنى لها في حد ذاتها قد يعبر عن حالات عاطفية ونفسية .

كما أن تطويل الأصوات المنفردة وتقويمها تحت تأثير المشاعر القوية من أجل تكثيف التأثير للكلمة (المنطوقة كقولنا It's very cold بنطق (ه) يشكل مطول - أى بمددا -

وعندى أن كل هذا أيضا لا يخرج عن رأى أرسطو الذى هو رأى أفلاطون ومحاورته المعروفة « قراطيلس » (Cratylus) حيث قد شبه عملية التسمية بألة الحياكة فإذا كان النجار يعطى الملوكة الشكل المناسب لنوع العمل المرغوب تأديته فكذلك واضع الاسم يجعله مناسباً للشيء الذى يطلقه عليه وأن الذين يستخدمون هذا أو ذاك هم الذين يحكمون عن مناسبتة لما وضع له ، فهم الذين يحكمون على أن الاسم الذى أطلق على الشيء جاء وفق المطلوب أو لا وهم الذين يقبلونه أو يرفضونه ، ومعنى ذلك أن الجماعة اللغوية المستعملة للكلمات هى التى تقبل أو ترفض وهى التى تطور وهى التى تعطى المقدرة الخاصة والحس المعين وتستكنه حقيقة الشيء وتحسن أن الوضع متفق مع الجوهر وأن بينهما محاكاة ولكن هذه المحاكاة عنده تأتى انطلاقاً من عالم الأشياء ومن المسميات فجوهر الأشياء ثابت لا يتبدل والأشياء تسمى بحسب ما يستلزمه طبعها فالجماعة اللغوية لها حسها فى اختيار القوالب المناسبة من حيث الالفاظ والأصوات الملائمة والمقاطع وهم الذين يستعملون ويقبلون ويرفضون فالعلاقة على الرغم من اعتباريتها ومن أنها على حد عبارته نتيجة اتفاق عابث إلا أنها علاقة وطيدة لاسيما إذا جاء الاسم على شاكلة المسمى معبراً عن ماهيته فى رأى هذه الجماعة ومن هنا يحس كل أصحاب لغة أن بين بعض الأسماء والمسميات مناسبة أو

رمزية ولكنها فى الواقع وقف على هذه الجماعة وخاصة بها وأن هذا إزاء قدر محدود من اللغة ويمثل نوعاً معيناً منها هذا الذى ذكره يسمبرسن وحظه دوسوسينيرا والخليل بقوله: كأنهم توهوا فى صوت الجندب استطالة ومد فقالوا صر، وتوهوا فى صوت البازى تقطيعاً فقالوا صرصر وأشار إليه ابن جنى وقاله أن الجماعة تلقته بالقبول وبسببه يعرض الباحثين فى القديم أو الحديث .. ، ..

وقد علق ستيفن أولمان على هذه الامثلة التي أوردها يسبرسن بقوله :
بأنه ليس من السهل أن نسلم بمثل هذه الافتراضات أو أن نصل الى رأى
قاطع بخصوصها كما أنه يمكن أن نورد أمثلة على العكس منها ونشذ
عنها وعن هذه القاعدة .

وأن النهم الجيد لفكر دوسوسير في هذه القضية على غذا الذهو الموجود في التراث
الاسلامى وهو الذى تمخض عنه هذا العلم الجديد علم العلامات (Semiology /
Semiotics) فانه تشا بسبب ما وضعه دى سوسير في الفقرة التى بين الحريين
العالميتين .

وكذلك ما أثيرته فلسفة بيرس C.S. Pierce عندما راج تيار التفكير
الفرنسى بعد الحرب العالمية الثانية وعندما نادى بأن العلامات التى تتألف منها
ثقافة من الثقافات ما هى الا اصطلاحات تحكمية اعتباطية (٢٦) ظير علم
العلامات على غذا الذهو المعروف .

أما ستيفن أولمان : Stephen Ullmann فقد تعرض لهذه القضية في
أكثر من مصنف من مصنفاته ومن خلال عرض قضايا عامة ففى كتابه
(words and their uses) (٢٧) عندما تحدث عن المعنى البسيط (٢٨)
عرض للقضية تلقائيا - فالمعنى عنده في أحد تعريفاته : « علاقة متبادلة بين اللفظ
والمدلول وهى علاقة مباشرة واضحة في أبسط المواقف أى حين تكون بين
لفظ واحد ومدلول واحد (٢٩) ... إلخ .

ثم يتابع مبينا أننا نكتسب معانى هذه الكلمات في طفولتنا المبكرة
بعارق التعلم إذ لا يوجد في اللفظ ما يفنى عن المدلول .. بالاضافة الى عدم
وجود أية علاقة ظاهرة بين الكلمة - وبين ما تدل عليه ..

(٢٦) كان هذا المبدأ من الواضح في أنه في صورته التى اذاعها (بارث)
كان يهدف الى زعزعة ثقة (الثقافة البرجوازية) في نفسها - ابان فترة ازدهارها
المتزايد .. والى تشجيع الأبناء على رفض قيم الآباء .

(٢٧) ترجمة الدكتور كمال بشر تحت عنوان « دور الكلمة في اللغة » .
(٢٨) أنظر االباب الثانى - المعنى والغموض - الفصل الأول : المعنى
البسيط من ص ٧٠ - وما بعدها . ترجمة . د . بشر .
(٢٩) أقرأ السابق ص ٧٠ .

فهو بصدد عرض قضية عامة عرج على جزئية وأخذ يشرح أبعادها -
فأشار هنا الى أن هناك شيئين يعارضان افتراض وجود أية صلة طبيعية بين
الدال والمحلول :

لشيء الأول يتمثل في تنوع الكلمات واختلافها في اللغات المختلفة .
والثاني يتبلور في الحقائق التاريخية - فلو كانت معانى الكلمات كامنة
في أصواتها لما أمكن أن تتغير هذه الكلمات في لفظها ومدلولها تغيرا يستحيل
ربطه بالوضع الاصلى لها .
ثم يضيف أن هناك كلمات معبرة ووصفية الى حد ما بالصيغة نفسها -
والاصوات فيها دلائل من دلائل المعنى - وأن في استطاعة الأجنبى الذى لايعرف
مدلول هذه الكلمة أن يخمن هذا المدلول تخمينا دقيقا الى حد ما على حين
لايمكنه البتة أن يخمن معنى كلمة مثل منضدة - من الصوت وحده -
أضف الى ذلك أن الكلمات التى تحاكي أصوات الطبيعة - هى فى الحقيقة
كلمات متشابهة الى حد بعيد فى لغات مختلفة - فالطائر المسمى كوكو
Cuckoo هو فى الفرنسية Coucou وفى الألمانية Kuckuck وفى الهنغارية
Kakuk وفى الإغريقية القديمة Kokkux

وفى دراسة تفصيلية يبين أن كلمات اللغة تتكون من مجموعتين مجموعة
تقليدية عرفية Conventional - وكلمات مولدة - وهذه الأخيرة ذات أنواع
ثلاثة (٣٠) النوع الأول منها فقط وهو الذى يطلق عليه التوليد الصوتى هو
الذى فيه محاكاة أصوات الطبيعة سواء فى تقليد صوت لصوت أو ترجمة
الحركة ترجمة بيانية دقيقة بوسائل صوتية - وهذه وتلك تدخل تحت
مصطلح - تقليد أصوات الطبيعة أو محاكاتها «Onomatopoeia»

معنى ذلك أنه يريد أن يبين أن هذه الكلمات محدودة حيث ان جزء
اللغة الأكبر يتكون من مجموعة الكلمات التقليدية العرفية وأن الكلات المولدة
توليدا صوتيا تعثل جزءا واحدا من أنواع التوليد الثلاثة - التوليد الصوتى

(٣٠) توليد صوتى - وتوليد نحوى - وتوليد معنوى - أقرأ السابق
من ص ٧٢ وما بعدها .

– والتوليد النحوى والتوليد المعنوى – وفى هذا ما يؤكد أن هذا النوع فى ضوء البحث هو محدود العدد – ولكن موقفه من هذا النوع المحدود فى عدده يتأثر تأثيرا كبيرا بموقف أوتو يسبرسن حيث نجده يطبق مباحثا من عند يسبرسن تطبيقا كاملا فمبحث رقم (٣) عند يسبرسن الذى جاء تحت عنوان Direct Imitation (٣١) تأثير به تأثيرا بالغناء وكذلك مباحث أخرى عند أوتو يسبرسن تأثر بها ولا سيما المبحث السادس الذى جاء تحت عنوان «Things and appearances» (٣٢) والمبحث الثامن الذى جاء تحت عنوان Size and distance - (٣٣) والمبحث التاسع الذى جاء تحت عنوان «length and strength of words and Sounds» (٣٤) وغير ذلك . .

ولكن تحليل فرديناند دى سوسير لظاهرتى محاكاة أصوات الطبيعة – والدعشة كان تحليلا علميا مقنعا لذلك لم يخرج أولمان بصفة عامة عن المجال الذى رسمه دى سوسير فى هذا .

فنجده مثلا وهو بصدد الحديث عن التوليد المعنوى والنحوى يقول أن « نقطة التحول فى التركيب المولد من الناحيتين النحوية والمعنوية لابد أن ترتد فى نهاية الأمر الى بداية تقليدية » (٣٥) أى الى صيغ ليست تقليد أصوات طبيعية .

أى أنه يتبع منهج دى سوسير عندما عاد يبحث عن أصل الكلمات التى تقلد أصوات الطبيعة فوجدما فى صيغها اللاتينية مشتقة من كلمات لا تحاكي أصوات الطبيعة فمثلا – glas قرع الناقوس مشتقة من Classicum بمعنى صوت البوق . . . وFauet بمعنى سموطمشتقة من Fagus بمعنى شجر الزان – ومعناه أن ما نسب لمثل هذه الكلمات من تقليد أصوات الطبيعة جاء نتيجة لتطور صوتى تصادفى . هذا منهج دى سوسير إزاء هذه الظاهرة .

(٣١) أنظر أوتو يسبرسن .

Language its nature, development P. 398.

(٣٢) السابق ص ٤٠٠ –

(٣٣) السابق ص ٤٠٢ –

(٣٤) السابق ص ٤٠٣ –

(٣٥) دور الكلمة فى اللغة د . بشر – (السابق) ص ٧٣ –

ومن هذه النقطة التى رسمها دى سوسير تقترب اعمال اولمان بعد ذلك
فمثلا وهو يتحدث عن خصائص الأصوات المولدة نجده يقول :

« ومن الخصائص المشتركة بين أنواع التوليد الثلاثة أن دوافعها ثابتة
— من الجائز مثلا أن تفقد الكلمات قوة المحاكاة والتقليد فيهما — فالكلمة
اللاتينية Pipionem كانت مولدة بطريق التقليد الصوتى — ولكن الكلمة
الانجليزية Pigeon المنحدرة عنها ليست كذلك — والكلمات المركبة والمشتقات
قد يأتى عليها هى الأخرى زمن نشعر فيه بأنها مولدة بدافع أو باعث (٣٦) »

ثم هو يضيف : « وبالرغم من أن أدراك الباعث على توليد الكلمات قد
يكون واضحا فى كثير من الحالات — فالغالب أن يعتمد هذا الإدراك على
عوامل منعمقة فى الذاتية كاعتماده على طبع كل من المتكلم والسامع وعلى درجة
احساسهما وثقافتهما العامة — بل وعلى مزاجيهما كذلك كما يعتمد على طبيعة
السياق وخصائصه فالكلمات الباهتة الخالية من الإشعاع والإحياء خلوا تماما
فى السياقات العزلية المحضة ربما تكشف نجاة عن مصادر غير متوقعة من
الإحياء وقوة التعبير فى المواقف الانفعالية والشاعرية » (٣٧) »

أى أنه يضيف الى التصانيفية الصوتية عند دى سوسير العوامل التى
ذكرها هنا :

ثم هو يضيف موضحا بعد ذلك بقوله الآتى :

« ويظهر ذلك بصورة أوضح عندما يعود الشعراء الى استغلال امكانيات
الأصوات وقدرتها على الإحياء بالمعنى ومحاكاته فالملاحظ أن المعنى دائما يعظم
شأنه ويرقى إذا ما صاحبه المؤثرات الصوتية والتوقيعية الخالصة » (٣٨) »

ثم هو يضيف كذلك أيضا موضحا :

« وفى أماكن أخرى كثيرة قد تستغل الأصوات الموحية بمعانيها أو

(٣٦) السابق ص ٧٥

(٣٧) السابق ٧٥

(٣٨) السابق ص ٧٥

المحاكية للأصوات المعبر عنها استغلالا يقصد به أحداث التأثير الدرامي كما في البيت التالي من ورعاية أندروماك Racine لراسين حيث يسمع أورست Orestes فحيح الأفاعى في ثلجاء وقد أصابته لوشة من الجنون فيصيح :

Fourqui sont ces serpents qui sifflent sur vos têtes :

لأجل من هذه الأفاعى التى تفح فوق رؤسكم .

ثم يزيد وقد اشتمل البيت كما ترى على مجموعة من أصوات (S) التى تشبه صفير الأفاعى ثم هو يضيف بعد ذلك أيضا قوله :

• وقد تؤدي شدة التأثير بالباعث الصوتى على توليد الكلمات أو الأصوات الى ما يكاد يكون اعتقادا غامضا فى وجود مطابقة خفية بين الصوت والمعنى - ولقد ابتدعت عدة نظم دقيقة ترمى الى بيان القيمة التعبيرية الفنية المتصلة بالأصوات المختلفة وأشهر هذه النظم ذلك النظام الذى وضعه العالم الرمزى الفرنسى رمبو Rimbaud والذى ربط فيه بين كل صوت من أصوات اللين بلون معين فالحركة (a) عنده سوداء و (e) بيضاء و (i) حمراء ، الخ (٤٠) ثم يضيف مثلا آخر من التطارف عند بعضهم فيقول :

• ان بعض الشعراء قد حاولوا ربط الصورة الكتابية بمدلولها • ومن هذا القبيل ما يراه كاتب فرنسى حديث من أن الكلمة (Locomotive) ان هى الا وصف لصورة ثلقطار وشكله كاملا بمدخلته وعجلاته ، (٤١) •

ثم يعقب على كل الذى سبق مباشرة بقوله :

• هذا التكلف فى التفسير ليس الا مثلا متطرفا للميل الطبيعى فى الانسان الى البحث عن الأسباب والنواعث حيث لا أسباب ولا بواعث ظاهرة - أما خارج ميدان الأصوات فهذا الميل يعبر عن نفسه فى صورة تلك الغريزة المعروفة بغريزة حب البحث عن أصول الكلمات والربط بينها (Etymology instinct) (٤٢)

(٣٩) السابق ٧٦

(٤٠) السابق ص ٧٩

(٤١) السابق ص ٨٠

(٤٢) السابق ص ٨٠

وكل هذا عنده نوع من التفسير المرفوض الذى يعلق عليه بقوله :

• والأمثلة على هذا النوع من التفسير المرفوض كثيرة مشهورة (٤٣) .
ثم يضرب أمثلة بعد ذلك على كثير من التعبيرات والصيغ الدخيلة
المرفوضة التى جاءت نتيجة لسوء فهم ولربط خاطئ ببعض مفردات اللغة
العمومية (٤٤) .

ثم ينتهى من الأمثلة والتحليلات الى أنه قد يتم تحليل كلمات بسيطة
على طريقة الاشتقاق المعكوس الذى توهم أنها مشتقة من مادة لم يكن لها
وجودا فى الأصل (٤٥) .

ثم هو بعد ذلك ينتبى الى الحديث عن ذكر الخلاف بين علماء اللغة
المحترفين حول الأهمية التى يمكن أن نعلقها على تقليدية الكلمات أو توليدها
فى تركيب اللغة .

وبين أن بعض العلماء يميل الى أهمية التقليدية مع التذليل من شأن
التوليد فى هذا المضمار - وأن هؤلاء ينتفون مع ما تقوله جوليت على لسان
شكسبير .

ماذا فى اللفظ ؟ أن ما نسميه وردة سوف يحتفظ برائحته الزكية فيما
لو سميناه باسم آخر .

وأن هناك آخرين منهم الأستاذ يسبرسن Jespersen - يرون أن
التوليد عن طريق المحاكاة والتقليد بوساطة الصوت له دور ذو أهمية وحيوية
بالغة - ولقد جمع يسبرسن مجموعة ضخمة من الشواهد ليدال بها على أن
الحركة (١) قد هيئت بصفة خاصة للتعبير عن الصغر والقلّة .
ثم يعاق بعد ذلك على موقف يسبرسن هذا بقوله :

• ومنهما يكن لهذه الأمثلة من وقع وتأثير فاته من الصعب أن نصل الى
رأى قاطع فى مثل هذه الافتراضات - كما أنه يمكن أن نورد أمثلة تشذ عن
هذه القاعدة (٤٦) .

(٤٣) السابق ص ٨٠

(٤٤) اقرأ الأمثلة فى السابق ص ٨٠/٨١/٨٢

(٤٦) السابق ص ٨٤/٨٥

(٤٥) السابق ٨٢

المجال الآخر وهو مجال نشأة اللغة :

القضية في أصلها على نحو ما كانت عليه عند اليونان وعلى النحو الذى أثارها عليه أفلاطون خاصة بنشأة اللغة ، ووجود نظريتين إزاء تلك النشأة :

(١) . النظرية للتوفيقية .

(٢) . النظرية الاصطلاحية .

ويتحدث ستيفن أولمان عن هذا المجال ويوضح كيف اتخذ مساره في الفكر الغربى الحديث ، يقول :

« ولقد وردت إلينا تخمينات وافتراضات شتى – علمية وغير علمية ، منذ أيام الاغريق القدماء تتعلق بأصل اللغة ونشأتها – وقد ركزت بعض هذه الافتراضات كل اهتمامها على رمزية الأصوات ويرى أصحاب النظرية المعرونة بنظرية bow-wow أن الكلمات كانت في الأصل تقليدا لأصوات الطبيعة كما هي حالها الآن في لغة الأطفال .

أما النظرية المسماة بنظرية pooh-pooh فقد تتبعت الكلمات حتى أوصلتها إلى الصرخات والأصوات الانفعالية .
بينما تفترض نظرية ding-dong وجود علاقة خفية بين الصوت والمعنى .

وقد حاول بعض الباحثين كالسير ريتشارد باجيت Sir Richard Paget أرجاع الكلام الانسانى الى الاشارات والايماءات وربطه بها – بالرغم من أن هؤلاء الباحثين لايزالون يميلون الى الاعتقاد بأن العامل الأول في نشأة اللغة انما هو الحاجة الى التعبير والافصاح عن الذات .

ولم يقتصر الأمر على هذه الافتراضات بل لقد سيقت إلينا آراء أخرى كثيرة تقابل النظريات السابقة – ولكن بالرغم من هذا كله ليس في استطاعتنا أن نصل إلى نتائج نهائية في هذا الشأن » (٤٧) .

وقد تناول أوتو يسبرسن otto Jespersen هذا الموضوع بتفصيل

في كتابه Language its nature, development & origin في الفصل الواحد

والعشرين تحت عنوان The origin of speech (٤٨)

ونتناول هذا الموضوع من الزوايا الخاصة بما نحن بصدده .

نظرية أن اللغة الهام أو وحى من الله :

اللغة وحى الهى ، والكلام الهام من الله هبط على الانسان فعلمه النطق

وأسماء الأشياء ، ، ، .

وذعب الى هذا رأى في العصور الحديثة طائفة من العلماء منهم

دوم فرانسوا لامى Dom Francois Lami (٤٩)

في كتابه فن الكلام L'art de parler – والفيلسوف دويونالد (٥٠)

Louis - Gabriel - Ambroise De Bonald في كتابه التشريع القديم

Législation primitive

وغيرهما وحجة أصحاب هذه النظرية أن

في اللغة من الكمال ما يعجز الانسان عن ابداعه – فالله الذى خلق الانسان هو

الذى وحيه لغة الكلام ليعبر عن أفكاره ، وعلمه الأسماء كلها . (٥٠) .

Otto Jespersen, language its nature, development (٤٨)
and origin, chapter XX1 - The origin of speech P412,442.

(٤٩) هو الأب لامى – ولدبمنترو Montireau من أعمال فرنسا

١٦٣٦ م وتوفى بسان دينى Saint Denis سنة ١٧١١ – وعمل بتدريس

الفلسفة في كثير من المعاهد الدينية – ونشر آراء الفيلسوف ديكرات في هذه

المعاهد – (علم اللغة – د - على عبد الولد وافق ص ٩٧) -

(٥٠) اسمه لويس جبرائيل امبرواز دويونالد Louis - Gabriel -

Ambroise De Bonald ولد في مدينة ميو Millau من أعمال فرنسا سنة

١٧٥٤ وتوفى بها سنة ١٨٤٠ وله مؤلفات كثيرة في السياسة والفلسفة – وكان

متعصبا للنظام الحكومى الملكى الخاضع للتنفيذ الدينى الكاثوليكي (السابق ص ٥٦) -

(٥١) هذا ما يتوله دو بونالد وهو من الالهيين ويتمسك بما جاء في سفر

التكوين « والله خلق من الطين جميع حيوانات الحقول وجميع طيور السماء –

ثم عرضها على آدم ليرى كيف يسميها وليحمل كل منها الاسم الذى يضعه

له ، فوضع آدم أسماء لجميع الحيوانات المستأنسة ولطيور السماء ودواب

الحقول – أنظر الفقرتين ٢٠/١٩ من الاصحاح الثانى من سفر التكوين .

ودى بونالد من المفكرين الفرنسيين في القرن الثامن عشر – ويرجع اتجاهه

الى النزعة التوقيفية الى أنه ممن اشتغلوا بقضايا الكلمة على الصعيد

للاهوتى . .

ورد على رأى دويونالد هذا فلاسفة العصر وقالوا : ان الله يهب اللغة للإنسان كاملة - لأن الطفل يتعلم الكلام شيئاً فشيئاً - ولو كانت ملكة اللغة كاملة لما لاحتاج الطفل الى التعلم .

فأرجع هذا الرأى الى القول بوجود قوة خاصة أو غريزة لغوية .

وهذا يمثل نظرية أخرى - وهى نظرية الغريزة . .

ويرى دى دونالد صاحب النزعة التوقيفية ان علاقة اللغة بالفكر من العضلات الانسانية التى تدرس مع بقية معضلات الانسان - ولكن معضلة اللغة فى نظر دى دونالد هى معضلة الانسان الأساسية وهى من صميم الكيان البشرى وهى فى صميمه والى صميمه ولذا فقد اعتبرها قلب الفلسفة كلها . . ويرى دى دونالد ان العلاقة التى تربط الكلمة بالفكرة علاقة وحدة صديقيه لأن الفكرة والكلمة جسم واحد فلا يحدث نكر دون أن تحدث لغة ولا تحدث لغة لا تكون ذاتها فى الأصل فكراً . .

وليست اللغة عنده توائمية من خلق ارادة البشر . . لأن الناس لايمكن أن يتفقوا على أن تكون لهم لغة فتكون لهم لغة فالانسان لايقدر على خلق شئ دون أن تكون لديه فكرة واضحة وصريحة خاصة به . . ولتى يحصل الانسان على هذه الفكرة الواضحة لابد أن تكون لديه لغة يعبر بها عنها إذن فاللغة واجبة الوجود لمنشأ اللغة ذاتها . .

ومعناه أن اللغة ليست من عمل القوى البشرية وانما هى هبة من لدن الله سبحانه وتعالى .

فالانسان أعطى قوة النطق منذ أن سوى أنساناً . . وهذا أن تحركه حركته الأولى كما أنه يرى أنه من الخطأ أن نقول ان الفكر سابق للكلمة لأن الفكر ذاته كلمة والانسان لا يفكر الا لأنه كائن لاغ فنحن نتحدث الى أنفسنا عندما نفكر وحدنا - وحوارنا فى قرارتنا حوار لا ينقطع لأن فى هذا القرار فكر لا ينقطع

فالفكر تعبير وراء الشفتين الصامتتين . . . والفكر حديث باطنى والكلام تفكير بصوت عال

ومن نتائج نظرية دي بونالد هذه :

أن كل ماعرفه الانسان ودهته به من اخلاق وآداب واجتماع وسياسة واقتصاد . . . الى آخره عرفه بعد أن أعطى اللغة من لدن الله سبحانه
ويبدون اللغة لا يكون الانسان الا خواء قبل اللغة وحدها حدثت المعرفة . . فكانت الحقيقة (٥٢) .

والنظرية الثانية : هي نظرية التواطؤ والاختراع :

وتقرر أن اللغة ابتدعت واستحدثت بالتواضع والاتفاق ، وقد ذهب هذا المذهب في العصور الحديثة الفلاسفة الانجليز آدم سميث Adam Smith وريد Reid ودوجلستيوارت Dugald Stewart

وقد كانت النزعة التوقيفية عند دي بونالد في القرن الثامن عشر تقابل النزعة التواطئية التي ذهب اليها لوك (٥٣) Loke في القرن السابع عشر - حيث ان لوك كان قد لاحظ ان بين اللغة والفكر روابط متينة وفي رأيه ان العلاقة بينهما علاقة من الداخل وليست علاقة خارجية ونحن لانستطيع أن نتضى على هذه العلاقة ونفصل بعضها عن بعض . . كما لاحظ أن الصلة متينة بين التعبير والتفكير

قال لوك بالتواطئية والاعتباطية ويقترب رأيه من رأى أفلاطون وأرسطو . . غير أن لوك يرجع تلك الصلة المتينة أو هذه العلاقة القوية بين الفكر واللغة الى كون الانسان اجتماعيا ويميش في بيئة اجتماعية . . وقد فرضت عليه هذه البيئة التعاون عن طريق التقاعم بالتخاطب اذا كانت اعضاء

(٥٢) أنظر : في فلسفة اللغة . كمال يوسف الحاج .

واقرا لديبونالد الفصل الأول والثاني والثالث من :

Législation Primitive :

(٥٣) يعتبر لوك من اكابر فلاسفة الانجليز في القرن السابع عشر - وقد خصص لمعضلة اللغة فصولا طويلة في كتابه الضخم « بحث في الادراك البشرية » . . .

اقرا في فلسفة اللغة (السابق) ص ٤٥/٢٤ .

واقرا الفصل الثالث من :

Essay concerning human understanding.

النطق عند الانسان هي الوسيلة التي يتمكن بها من التعبير عن أفكاره
للآخرين ... وهذا هو مصدر اللغة وباعثها ...،... عنده ...

ويمكن ايجاز رأى لوك في توقيفية اللغة على النحو الآتي : -
ان القدرة على الكلام غرست أصلا في الانسان ...،...،...

فنحن نندفع للكلام بسليقتنا ... ولكن ذلك عنده لايغنى أن اللغة
توقيفية ولكن معنى عنده انها اصطلاحية وذلك لأن الانسان يتواطأ مع غيره
من الآخرين في وضع المفردات .
ويرى لوك أن الكلمة تدل على المعنى
وأن المعنى لا يأتي من الشيء المادى

فالحجر لا يعنى الكلمة الدالة على الحجر ، وانما الدال على الحجر هو
الذى يعنى ...،...،...

وان الذى يعنى فى الكلمة هو الفكر ...،...،... والانسان هو مصدر الفكر ...،...،...
ومعناه أن الكلمات رموز لأفكارنا ...،...،... انها اشارات حسية لها ...،...،...

فالكلمات لا تعنى أشياء بقدر ما تعنى أفكارا ...،...،...

وعلاقة الكلمات بالباطن لا بالخارج ...،...،... علاقتها بعالم النفس لا بعالم
الأشياء والطبيعة ...،...،...

وان الكلمة مهما تكن لها علاقة بالشيء الذى تعنيه ومهما تكن علاقتها به
قوية .. ومما تكن علاقة الكلمة بالفكرة التى لدينا عن هذا الشيء ضعيفة
فنظل علاقة الكلمة بالباطن وعالم النفس ...،...،... فان غاية الكلمة هي الترويج
عن النفس أو التخفيف ...،...،... ونقل الإنكار للآخرين فى نطاق الحياة
الاجتماعية ...،...،...

فالعلاقة اذن حاصلة بين الكلمة والفكرة لا بين الكلمة والشيء ...،...،...

فالعلاقة الثانية لا وجود لها لأن الأفكار هي التى تعنى لا الأشياء الخارجية .
ومعنى ذلك أن الانسان هو الذى يعطى المعانى للكلمات ...،...،... لأن

هناك حاجة الانسان الى التعبير عن أفكاره ٠٠٠٠٠ كما أن هناك حاجته الى التحدث الى الآخرين والتعبير لهم ٠٠

مما يفيد أنه لا يوجد ربط حتمي بين الأفكار وجرس الحروف لأنه لا توجد علاقة جبرية بين مانعبر عنه ونفكر فيه ٠٠٠٠٠ ولو أن هذه العلاقة كانت موجودة لتكلم الناس جميعا لغة واحدة ٠٠٠ ولأثارت الكلمات نفسها في أذهان كل الناس المعانى نفسها ٠٠

ان الكلمات فى حد ذاتها لا تعنى شيئا ٠٠ انما هى تعنى ما نريده نحن منها أى أنها تعنى ما نعنيه نحن اذن فهى وليدة التواطؤ ٠٠٠٠٠

ولكن لوك يبدى ملاحظة حول التواطئية وهى :

أن هذه التواطئية ذات قاعدة ٠٠٠٠٠ : فوضع الكلمات يتطور من الحسى الى المجرد ٠٠٠٠٠ ومن المنظور الى غير المنظور ٠٠٠٠٠ ومن الخاص الى العام ٠٠٠٠٠

وبتحليل المفاهيم المجردة نجد أن معانيها ترجع الى أوضاع حسية (٥٤) .

وقد رد على أصحاب هذه النظرية بان :

اختراع اللغة ليس كاختراع المصطلحات أو الرموز فى الجبر والكيمياء ٠٠ وأن التواطؤ يقتضى تقدم العلم كما أن الاختراع يقتضى أن يكون الانسان قادرا بطبيعته على الكلام ومعناه ان منشأ اللغة يتوقف هو نفسه على وجود اللغة من قبل أن توجد ؟ ! (٥٥) .

(٥٤) قدم د . كمال يوسف الحاج تحليلا يرجع فيه المفاهيم المجردة الى أوضاع حسية اقرأ السابق ص ٢٤/٢٥ -
واقرا الفصل الثالث من :

(السابق) Essay concerning human understanding.

(٥٥) وقد رد على أصحاب هذه النظرية رينان فى كتابه أصل اللغة
Renan, 'L'origine du langage وأرنست رنيان Ernest Renan

من أشهر علماء اللغة وهو مؤرخ وفيلسوف ولد ببلدة تريجييه Tréguier
بفرنسا عام ١٨٢٣ وتوفى بباريس عام ١٨٩٠ درس اللغات الشرقية واللاهوت =

وهكذا نرى أن جوهر محاوره أفلاطون هو الذى تدور عليه بين المحدثين من الغربيين نظريات نشأة اللغة حتى النظرية الثالثة هي تعديل في النظرية الأولى نظرية الإلهام .

النظرية الثالثة : نظرية الغريزة » نظرية ماكس مولر : Max Muller (٥٦)

والفرنسى ارنست رينان والذى ساق ماكس مولر الى هذا رأيه في أصل مواد اللغة - قال ان اللغات تنقسم لثلاثة أقسام :

١ - اللغات الهندية الأوروبية .

٢ - اللغات السامية .

٣ - اللغات الطورانية .

وتقرر النظرية أن الفضل في نشأة اللغة يرجع الى غريزة خاصة زود بها جميع أفراد النوع الانسانى - وأن هذه الغريزة تحمل كل فرد على التعبير عن كل مدرك حسي أو معنوي بكلمة خاصة به وأنها متحدة عند جميع الأفراد في طبيعتها ووظائفها وما يصدر عنها - وأنه بفضل ذلك اتحدت المفردات وتشابهت طرق التعبير عند الجماعات الانسانية الأولى .

وقد اعتمد ماكس مولر في تأييد هذه النظرية على أدلة مستمدة من البحث في أصول الكلمات في اللغات الهندية الأوروبية - فقد ظهر له أن مفردات هذه

= والتاريخ والفلسفة واللغة العبرية وتولى تدريسها في كثير من المعاهد وعين عضواً بالأكاديمية الفرنسية ومديراً للكلية دوفرانس Collège de France وله نحو خمسين مؤلفاً في التاريخ العام وتاريخ الديانات وفي اللغات والأخلاق والفلسفة واللاهوت والسياسة وغيرها .

(٥٦) ولد ماكس مولر ببلدة ديسو Dessau من أعمال ألمانيا عام ١٨٢٣ وتوفي بأكسفورد عام ١٩٠٠ - وهو ابن الشاعر جليوم مولر - تخرج من جامعتي ليجز وبرلين ثم رحل الى باريس حيث حضر دروس الأستاذ برنوف Burnouf في اللغة السنسكريتية ثم ذهب الى إنجلترا واستقر بأكسفورد حيث عين أستاذاً بجامعة لها للأدب واللغات الحديثة ثم استأذ للقواعد المتأرنة - ومن أشهر مؤلفاته دروس في علم اللغة ظهر عام ١٨٦١ - ودروس حديثة في علم اللغة ظهر عام ١٨٦٤ .

اللغات جميعها ترجع الى خمسمائة اصل مشترك - وأن هذه الأصول تمثل اللغة الأولى التي انتشبت منها هذه الفصيلة وظهر له من هذه الأصول أنها تدل على معان كلية - وأنه لا تشابه مطلقا بين أصواتها وما يدل عليه من فعل أو حالة .

قال ماكس مولر : ليست المواد التي كشفنا عنها بالتحليل الدقيق - وجعلناها عناصر مقومة لأنواع اللغات المختلفة أصوات نداء - أو أصواتا يقلد بها الإنسان أصوات الطبيعة - وإنما هي نماذج صوتية متولدة من غريزة ملازمة للفكر البشرى - أن في العالم الطبيعي قانونا كليا يقرر أن كل مضروب يرن - وأن كل جوهر يحدث صوتا خاصا به وأن الإنسان أيضا يحدث أصواتا وهو لم يكن في البدء كالحيوان معبرا عن مدركاته بأصوات تقليدية فحسب بل كان أيضا ذا ملكة لفظية تعبر عن تصورات عقله - ولم يبدع الإنسان هذه الملكة بنفسه ، لأنها غريزة فطرية وضرورية .

Guillaume Schlegel

ويرى ماكس مولر - مع جيوم شليجل

أن اللغات تنقسم ثلاثة أنواع :

- اللغات وحيدة المقاطع كالصينية .
- ولغات التلاصق كالتركية .
- ولغات الاشتقاق كالعربية واليونانية .

وأن لغات الاشتقاق ناشئة عن لغات التلاصق - ولغات التلاصق ناشئة

عن اللغات الوحيدة المقاطع .

ويرفض جمهور العلماء هذه النظرية لأن التعليل بالغريزة لا يوضح

جيدا .

ولأن هذه النظرية مخالفة لمسلمات علم الاجتماع ، وعلم النفس .

ولو كانت اللغات البدائية مؤلفة من ٥٠٠ كلمة أولية لكانت قدرة الإنسان

الأول على التجريد عظيمة جدا وهذا مخالف لمسلمات علم النفس - وأن لغات

الأمم البدائية منعمة بالألفاظ المشخصة والكلمات الحسية فليس فيها لفظ يدل

على معنى الحيوان أو النبات ولا يدل في الوقت نفسه على حال من أحواله .

وان مفردات هذه اللغات تدل في الغالب على صور الموجودات واطضاعها
وحركاتها المختلفة فهي فقيرة في الألفاظ المجردة غنية بالألفاظ المشخصة .
يقول ريبو عن اللغات الأولية :

« ان هذه اللغات تقف عند أبسط المشابهات ، وتقتصر على نبلوغ التعميم
الواسع - يؤيد ذلك ما نجده فيها من الأفعال والأسماء والصفات القريبة من
الحس ، ، ، »

كما يقول أيضا : ان في لغة قبائل أمريكا الشمالية ألفاظا خاصة للدلالة
على السنديانة السوداء والبيضاء والحمراء ، وليس فيها كلمة واحدة للدلالة
على معنى السنديان العام - ولا لفظ يدل على معنى الشجر عامة ان في لغة
سكان البرازيل الأصليين ألفاظا مختلفة للدلالة على أقسام الجسد ، ولا لفظ
فيها للدلالة على الجسد كله وأكثر شعوب (الأوتيانوسيا) يستعملون ألفاظا
مختلفة للدلالة على ذنب الكلب ، أو ذنب الخروف ، ولا لفظ عندهم للدلالة على
الذنب عامة - وكذلك لا لفظ في لغتهم للدلالة على معنى البقر الكلى مع ان فيها
ألفاظا مختلفة للدلالة على البقرة الحمراء والبيضاء والسمراء ، فالأسماء
المشخصة كثيرة ، أما الصفات فقليلة لأنها تدل على معان مجردة مثال ذلك أن
القبائليين Tasmaniens لا يحسنون وصف الكيفيات إلا بنسبتها الى
الأشياء المحسوسة - فاذا أرادوا وصف الصلابة قالوا كالحجر . . . واذا وصفوا
الطول قالوا كالساق واذا عدوا وضعوا العدد بعد المعدود كان العدد صفة من
صفات الشيء فهم لا يعرفون التعدد المجرد ولا يفتصلون العدد عن المعدود فاذا
أرادوا الأشياء قالوا تجار عشرة رجال ، وجاجات خمسة طيور بدلا من أن يقولوا
عشرة تجار وخمس دجاجات ، (٥٧) .

لذلك يرى المحدثون من علماء اللغة أن المواد اللغوية (الأصول الخمسمائة)
التي كشف عنها ماكس مولر ليست لغة الانسان الأول - وإنما هي بقية
لغة راقبة انتقلت من طور الى آخر - فلم تبلغ هذه الدرجة من التجريد الا بعد
أن استبدلت بالمعاني المحسوسة والألفاظ المشخصة مفاهيم عامة مجردة .

Rebot : Evolution des idées générales, P 110. (٥٧)

واقرا علم النفس . د . جميل صليبا الفصل الحادى عشر الاشارات والرموز
واللغة - من ص ٥٠٥ وما بعدها .

ولم تصل إليها الأمم الانسانية الا بعد أن ارتقت عقلياتها ونمض تفكيرها
ويذهب بعضهم الى أبعد من هذا فيقرر أنها مجرد أصول نظرية وأنهلا
لم تكن يوما ما موضوع لغة انسانية (٥٨) .

أما النظرية الرابعة - فهي نظرية التطور التدريجي

وهي تقرر أن اللغة الانسانية نشأت من الأصوات الطبيعية (التعبير
الطبيعي عن الانفعالات وأصوات الحيوان - وأصوات مظاهر الطبيعة -
الأصوات التي تحدثها الاطفال عند وقوعها كصوت الضرب والقطع والكسر ..
وسارت في سبيل الرقى شيئا فشيئا تبعا لارتقاء العقلية ...
وذهب هذا المذهب معظم اللغويين المحدثين وعلى رأسهم العلامة وتيني
Whitney (٥٩) .

وظهرت في ذلك نظريات متعددة عرضها أتو يسبرسن في تفصيل وسوف
نعرض لها بعد أن نشير الى موقف ليبنتز .

ليبنتز : رفض ليبنتز التوقيفية والتواطئية وما واتخذ موقفا خاصا ...
وذلك لأنه كانت لديه رغبة في ايجاد قاعدة ايجابية ليبحث اللغة كعلم صحيح .
مبنى على أسس علمية ... وله منهج يتسم بالدقة ولذلك فقد كان رايه أن
مثل هذا يتطلب أساسا منيحا استقرائيا لا يتقيد بنظريات ذاتية معروفة مسبقا
ولذا يعتبر ليبنتز هو الذي أرسى دعائم علم اللغة بمعناه العلمى الموضوعى -
فقد وضع التخطيط الذى وجه كل من أتى بعده من الباحثين في اللغة .
فقد كانت قضايا اللغة قبل ليبنتز تعالج على أساس غيبى دون استناد الى
معطيات واقعية مدروسة مجردة .

ولكن ليبنتز أراد أن يجعل علم اللغة علما شبيها بالانيزياء والكيمياء
والرياضيات ، وكان غرضه أن يبتعد عن النظريات العامة التى لا تركز على
واقع صريح شامل - وإنما تنبثق من ميول ذاتية - غالبا ما تتحكم فيها

(٥٨) يرى هذا سيس Sayce وبريال Bréal أنظر السابق .
وعلم اللغة د . د على عبد الواحد وافى ص ١٠٣ -
(٥٩) من أشهر مؤلفاته : حياة اللغة - ظهر عام ١٨٧٥ - واللغة ودراساتها
ظهر ١٨٦٧ -

البيئة أو الثقافة أو القربية أو المزاج أو الظروف الشخصية - فان الذاتيات لاتزودنا بقاعدة علمية ايجابية صارمة .

ويرى ليبنتز أنه علينا أن نحسن قراءة اللغات - فإذا كانت اللغات بمثابة كتاب فانه علينا أن نقرأ أولاً ثم نفهم لا أن نفهم أولاً لنقرأ ثانياً - فإن الفهم المسبق يحجب عنا الواقع الموجود ، وربما يجعلنا لا نقرأ الا ما نريد ففهمه - وفي هذا تغيير للواقع اللغوي ، علينا أن نقرأ في كتاب اللغات وعقولنا صحيفة بيضاء ندون فيها ما نجد مما يجب تدوينه .

اللغات أقدم تركة خلفها التاريخ الانساني .. فاللغات أقدم شاهد على حقيقة البشر - لهذا يحسن بنا أن نحسن السماع لهذا الشاهد الناطق .

ويرى ليبنتز أن أحسن طريقة وأصحها لاستنطاق هذا الشاهد :
على اتباع الأساليب الاحصائية التي شاعت اليوم في معظم العلوم .
ومعناه أنه علينا أن نحصى عدد اللغات الكائنة في العالم .. وأن نقيم عليها درساً بين ماضيها وحاضرها نكشف عن مستقبلها - فان تطور اللغات لا يأتي عفويًا ولكن تسير وفق نواهيس معينة لا يمكن معرفتها الا بعد البحث والاستقصاء شأن ما يحدث في بقية العلوم .

فمتى قمنا بدراسة احصائية للغات العالم ودرسنا كل لغة على حدة ، ثم درسناها بالنسبة الى غيرها من اللغات استطعنا أن نجعل من اللغة علماً .
اذذاك نصل الى نتيجة حاسمة في معرفة نشأة اللغة وعلاقتها بالفكر ..
وللاجابة على مثل هذه الأسئلة لاتأتى من أول الطريق وانما تأتي في نهايته .. عملنا اليوم يجب أن يذخر في استقراء الوقائع اللغوية ، وفي استنطاقها واحدة واحدة قبل التسرع في اعطاء الجواب تعسفياً ..

ولقد قام ليبنتز نفسه بأول عمل احصائي في هذا الميدان - جمع الوثائق وطرح الأسئلة المتعددة على اصناف الناس مئات بل ألوف من الناس كالمبشرين والسفراء والقناصل والسافرين - بل حاول طلب معونة الأمراء والملوك مثل بطرس الكبير في سبيل جمع ما يتوفر لديهم من قواهيس ودوائر معارف وكتب لغة من نحو وصرف الخ ...

بدأ بذلك الطريق الذي يصبح به علم اللغة علماً له طابع العلمية بمفهومه الحديث ...

أما النظريات التي عرضها أوتو يسبرسن فتملح إليها على النحو الآتي :

النظرية الأولى : -

١ - نظرية Bow-wow (٦٠) - هذا صوت نباح الكلب - وأصحاب هذه

النظرية يرجحون أن نشأة الألفاظ الأولى كانت

تقليداً للأصوات الطبيعية التي يسمعها الإنسان

ويتخذ منها أسماء لمصادر هذه الأصوات .

نصرت نباح الكلب هذا اتخذ رهزاً يعبر ويدل على نفس الحيوان . .

ويتصور أصحاب هذه النظرية أن الإنسان الأول سمع عواء الذئب وزئير

الأسد ومواء الخ الخ .

فانتخذ من تلك الأصوات الحيوانية المختلطة أعلاماً للحيوانات

نفسها وهكذا بقية مظاهر الطبيعة وما يطق عليها اسم اقتراباً أو

نظرية تقلد الأصوات الطبيعية .

وهكذا يسمع الإنسان أولاً أصوات الطبيعة فيتخذ من تلك الأصوات

أعلاماً للأمشياء أنفسها من حيوانات وغيرها من مظاهر الطبيعة التي تسمع لها

الأصوات - وبذلك تكررت لديه مجموعة كبيرة من الكلمات تعد في رأى أصحاب

هذه النظرية من آدم مذرذات اللغات الانسانية

ثم هم بعد ذلك يتصورون أن الكلمة في تطورها لا تقف في دلائقها عند

حدود مصدرها الأصلي إلى آخر قد لا تكون له صلة بذلك المصدر . .

كما أنها قد تتعدى معناها إلى معنى جديد لا يهت إلى المعنى الأول بصلة وثيقة

كذلك

ويحترض ماكس مولر على هذه النظرية (٦١) ويتكلم على أصحابها

بأنها تقف بالفكر الإنساني عند حدود حقائق الحيوانات - وتجعل اللغة

الإنسانية مقصورة النشأة على تلك الأصوات النظرية الغريبة لأن وراء هذه

الأصوات سوراً حقيقياً تبدأ من عنده لغة الإنسان ذات الدلالات المتميزة

الإنسانية .

(٦٠) أوتو يسبرسن السابق .

Language its nature, development & origin chapter XX1

Former Theories P 413, 414

المبحث الثاني وعنوانه .

(٦١) السابق ص ٤١٤ .

وكذلك عارضها رينان وتكلم عليها بقوله : « ليس من المعقول أن الانسان
وهو ارقى المخلوقات يقلد أصوات مخلوقات أدنى منه وأحط ليستنبط من تلك
الأصوات المبهمة الغامضة كلمات لغته الراقية السامية » .

غير أن الدكتور ابراهيم أنيس يؤكد هذه النظرية ويحاول أن يرد على
المعترضين . (٦٢) ودو مثالا يستشهد دن العربية بما جاء في قوامسها :
مثل : النباح منائف صغار بيض مكية تجدل في القلائد .

ومن النحيب بمعنى صوت الأفعى - فحفح - صحح المودة وأخلصها .
وفي مادة الثغاء أى صوت الغنم : أتيتهم فما أثنى - ما أعطى شيئاً .
وفي مادة رغاء الأبل أى صوتها - أن الترغية معناها الاغصاب .

ثم هو يقول صراحة لا يصح أن ننساق مع بعض المعترضين على هذه
النظرية في تهكمهم عليها بأنها تقف بالفكر الانسانى عند حدود حقائق
الحيوانات . . .

ثم يضيف : فالمعترضون يفترضون في هذا النوع من الأصوات عتقا ولا تصلح
لأن ينحدر منها تلك الدلالات الانسانية السامية ولكن الواقع يبرهن على أن
كثيرا من كلمات اللغات الانسانية قد اتخذت عن تلك الأصوات الغرزية المبهمة
ثم سمت في تطورها ودلالاتها وأصبحت تعبر عن الفكر الانسانى والا فكيف
نتصور أن كلمة الخيل يشتق منها الخيلاء - والجبانة بمعنى الصحراء يشتق
منها الجبن - وأن من سفهت الطعنة اسرع منها الدم وجف تجيء السفاهة الى
غير ذلك من تلك الدلالات المجردة التى انحدرت اليها من المحسوسات ، يمكننا
اذن أن ندرك أن الكلمات المستقاة من الأصوات الطبيعية قد تتطور في دلالتها
حتى تصبح معبرة عن الدلالات الراقية المجردة في الذهن الانسانى .

ثم هو يضيف أن الانسان الأول حين بدأ عملية التقليد لم يجعلها مقصورة
على أصوات بعينها فقد كان يقلد أصوات الحيوان وأصوات أخيه الانسان
وأصوات الطبيعة ويتخذ من كل هذه الأصوات كلماته وألفاظه . . . وأن مهارة
الانسان ظهرت في أنه أنتقل بتلك الأصوات المبهمة الى دلالات واضحة مشتركة
بين أفراد النوع الانسانى وجعلها تعبر عن مصدر الصوت أى عن الحيوان
المنبعث عنه ذلك الصوت . . .

والواقع الذى أراه أن لهذه النظرية دورها فى نشأة اللغات الانسانية بصفة عامة وإن كان هذا الدور محدود يوضحه مايراه بغض المعترضين عليها من أن اللغات لا تكاد تشتمل الا على قدر ضئيل من تلك الكلمات التى تقلد أصوات الطبيعة (onomatopoeia) أضف الى ذلك أنها تختلف باختلاف اللغات (٦٣) .

النظرية الثانية : -

ويدلق عليها : Pooh-Pooh (٦٤)

وهذه النظرية تتخذ من النوع الثانى من الكلمات المحاكية للطبيعة وصى التى يطلق عليها اسم عبارات العجب والدهشة (Interjection) منطقاً لوضع أسسها وإرساء دعائمها فأصحاب هذه النظرية يرون أن اللغة الانسانية بدأت فى صورة شهقات وتأوهات صدرت عن الانسان بشكل غرزى عن حالاته الوجدانية من فرح وغضب ودهشة وألم وعجب وغير ذلك من انفعالات قوية . . وأصحاب هذه النظرية ينادون بما نادى به دارون (Darwin) فيما هو خاص بتطور الكائنات الحية - فقد نادى دارون بأن الانسان لا يعدو أن يكون تطوراً لأرقى الأجناس من الحيوان (٦٥) يستوى فى ذلك التطور الجسمانى - والتطور الفكرى والعقلى . . ومن هنا فقد كان دارون ينكر أن الانسان هو المخلوق المتميز بالفكر والنطق ، وإنما أشركه معه أيضا بعض الحيوانات الراقية مع تفاوت فى درجة التفكير أو النطق - والفرق بين الانسان والحيوان فرق فى الدرجة فقط - فأصوات الانسان تعددت وتنوعت على حين أن أصوات الحيوان ظلت محدودة - ولذلك ربط دارون بين النشأة اللغوية للانسان وبين تلك الأصوات الانفعالية الغريزية مثل الآهات وأصوات التعجب والدهشة وجعلها كلها الأساس الأول الذى استمدت منه اللغة الانسانية نشأتها . .

كما حاول دارون الربط بين الأصوات وبين ما يحدث من أعضاء النطق من تقلص أو انبساط من الناحية الفسيولوجية . . فقرر أن الشعور بالازدراء أو الضيق يصحبه فى العادة صوت نفخ من الفم أو الانف - ولذا ينشأ صوت

(٦٣) وأنظر ما قاله دى سوسير بهذا الخصوص .

(٦٤) أنظر أوتو ييسبرسن السابق ص ٤١٤ .

(٦٥) اقرأ ييسبرسن السابق ص ٤١٤ .

مثل Pooh أى عنوان النظرية ومعناه التافه باللغة الانجليزية وهو بالعربية أف Pooh-Pooh (أف - أف) .

أما فى حالة ما أن المرء يفغرفاه وينفخ عينية وياخذ نفسا عميقا ... ثم دو ندما يزفر هذا الهواء الذى تنفسه فان الفم يعيل الى الاستدارة ثيلا ... ويولد هذا الوضع للشفتين صوت يشبه صوت الضمة وهى حين تطول قد يتصل بها صوت يشبه الياء وينشأ عن هذين الصوتين معا صوت oh تأوه - وهو صوت يحدث من جمهور المتفرجين حين يفاجأون بمنظر بالغ الدهشة ... ولكن فى حالة التآلم فان أعضاء الجسم تنقلص بما فى ذلك الوجه وتأخذ الشفتان وضعا يناسب صوت الفتحة (A) ويؤدى هذا الوضع الى احداث صوت Ah أو Ach - وهى التى نقولها فى العربية آه .

وابدى المتعرضون على هذه النظرية آراءهم ومنها أن هذه الأصوات تصدر عن المرء بطريقة لا ارادية فجائية وأنها معزلة عن الكلام الذى يميزه أنه يصدر من الانسان بطريقة ارادية أى أن هذه صورة سلبية للكلام وذلك لأنها تصدر عنه فى الحالة التى يعيا فيها عن الكلام أو حين يرفض الكلام ويأباه - ويضاف الى ذلك أن كثيرا من تلك الأصوات تشتمل على عناصر صوتية لا نكاد نسمعها فى كلام البشر مثل أصوات اللين الميموسة ومثل clicks التى تنشأ من الشهيق أى فى أثناء دخول الهواء الى الفم والرنهتين (٦٦) .

ويعلق أوتو يسبرسن فى النهاية على هذا بقوله : أن تلك الأصوات عرقية تختلف باختلاف الشعوب والأمم وتختلف من لغة الى أخرى فصوت الدهشة فى الألمانية يكون au وعند الجوتلاندر aus وعند الفرنسى ahi وعند الانجليزى oh وربما ow

وقد كتب كيبلنج Kipling فى احدى قصصه يصف احدى الشخصيات بقوله : ان هذا الرجل ليس من الانغان لانهم هناك سيكون بصوت Al ! Al وكذلك لا أظنه هنديا لانهم هناك سيكون بصوت oh ! Ho انه يبكى على طريقة بكاء الأوربيين انه يقول ow ! ow (٦٧) .

(٦٦) اقرأ السابق ص ٤١٥

(٦٧) اقرأ السابق ص ٤١٥

واقرا دلالة الالفاظ د. انيس ص ٢٣/٢٤ .

الانظرية الثالثة :

نظرية ding-dong (٦٨) : -

يرتبط أصحاب هذه النظرية بين ما ينطق به الانسان من أصوات وبين ما يدور في خلد من أفكاره . . وعلى نحو ما قال ماكس مولر بأن لكل جسم صوتاً يتميز به . . .

يرى أصحاب هذه النظرية أن كل أثر خارجي يتأثر به المرء يستلزم النطق ببعض الأصوات وهذه قوة أو قدرة اختص بها الانسان منذ الخليفة - ويرون أن سر هذه القوة غامض كأنما هو أمر سحري لا تدرك له كنهها - أى أنهم يتصورون أن المرء يرى الأشياء أو الحوادث فيتأثر بها ويتبع هذا التأثير أن ينطق بصورة آلية بأصوات أى أن الألفاظ لا تعدو أن تكون صدى لتلك المؤثرات الخارجية . . وإن كان أمر الصلة بيننا يغيب عن أذهاننا .

وقد بنى أصحاب هذه النظرية نظريتهم على تلك الظاهرة العامة التى نلاحظها فى الأشياء المحسوسة من أن اصطدام أى جسم أو الدق عليه يولد صوتاً معيناً يتميز به هذا الجسم فى غالب الأحيان - فالصوت الصادر عن الحديد يخالف الصوت الصادر عن النحاس أو الفضة وهكذا . . . والآثار الخارجية التى يتأثر بها الانسان بحيث كل منها رنيناً خاصاً فيتمدد الرنين بتمدد الآثار الخارجية ومن هنا تتعدد الألفاظ وتتعدد الأصوات المشتقة عليها . .

النظرية الرابعة (٦٩) : -

نظرية : The yo — he — ho

وخلاصة هذه النظرية أن النطق الانسانى أول ما نشأ نشأ فى صورة جماعية . فالناس أثناء قيامهم ببعض الأعمال الشاقة يصدر عنهم ما يشبه هذه الأصوات (مثلاً نسمع العمال فى مصر وهم يؤدون بعض الأعمال الجماعية الشاقة يقولون : (هيل هوب هيلاً ليصا . .) ويؤكد أصحاب هذه النظرية أن الانسان يجد الراحة وهو يقوم بعمل شاق إذا تنفس بقوة أو تنهد بعنف وكرر هذا عدة مرات حيث يصدر عن رثتيه قدراً من الهواء . . . وهو يستريح مثل هذه العمى العضلية لأنها تخفف من عناء عمله مشقته والذى يحدث أن

(٦٨) يسيرسن السابق ص ٤١٥ The ding dong theory

(٦٩) أوتو يسيرسن (السابق) ص ٤١٥/٤١٦ .

واقراً دلالة الألفاظ د . أنيس ص ٢٦/٢٧ .

الهواء الصادر عن الرئتين أثناء انبعاثه أو خروجه يمر بالوترين الصوتين فيحركهما فتسمع لهما فبضبات ذات أنغام مختلفة . . . وهذا يفسر لنا ما يصدر عن بعض العمال حين يؤدون بعض الأعمال الشاقة اذ يرددون عبارات أو يغنون بعبارات قد لا تتضمن معنى معقولا أو مفهوما - غير أنهم يجدون فيها متنفسهم فيكررونها ويعيدونها دون سام أو ملل . . . ومعنى هذه النظرية كما يرى أصحابها أن اللغة نشأت عن اجتماع الانسان باخيه الانسان فهي تصدر عن جماعة من الناس في أثناء عملهم وينطقون بها كلما تكرر هذا العمل في ظروف مختلفة . . . وبمثل هذه العبارات الجماعية بدأ الكلام الانساني .

ونلاحظ أن كل هذه النظريات دارت حول ما يمكن أن يسمى بالآلوتوماتوبيا أو ماهو على شاكلتها أى ما يتصل بتقليد أصوات الطبيعة . . وهذه على نحو ما قد أثبت الاحصاء والدراسة تمثل قدرا ضئيلا من اللغوة وقد وجهت الى مثل هذه النظريات انتقادات كثيرة من المشتغلين بهذه الدراسات على مختلف تخصصاتهم سواء منهم علماء النفس أو الفلاسفة اللغوية أو علماء الاجتماع أو علماء اللغة

ولكن الذى يهمنا هنا بالدرجة الأولى أن هذه الاتجاهات تعد الى حد بعيد انطلاقا من محاورات أفلاطون ودائرة في فلکها ثم هي بعد ذلك لاتخرج عما دار في الفكر اللغوى العربى الاسلامى سواء في القديم أو الحديث .

وقد أشار ابن جنى في حديثه عن نشأة اللغة الى معظم هذه النظريات مما نراه يمثل وجهة نظر علماء المسلمين القدماء في هذه القضية - وهو ما يجعلنا لانجد تبررا لمذكره لاسيما وأن القول في نشأة اللغة من الأمور التى أوسع القول فيها ولم تعد هناك حاجة لأن يعاد فيه أو يزاد واكتفينا هنا من الفكر اللغوى العربى المحدث بما يعد جديدا في مجاله .

الفصل الثالث

القضية في الفكر العربي الاسلامي

(١) في التقديم .. (ب) في الحديث ..

(١) القضية في الفكر الاسلامي العربي القديم

انتقلت القضية الى الفكر العربي الاسلامي ، واتخذت أبعاداً متعددة على النحو الذي يعرضها عليه جلال الدين السيوطي عند علماء المسلمين القدماء فمنهم من يؤيدها ويذهب في تأييدها الى أبعد مدى ، ومنهم من يعترض على هذا التأييد ويرفضه ويأتى بالأدلة المنطقية على بطلانه وهم جمهور العلماء .. والباحث التي جاءت عليها القضية عند السيوطي منها ما هو مباشر وهو المبحث العاشر ، الذي جاء تحت عنوان : المناسبة بين اللفظ ومدلوله (١) ومنها ما هو غير مباشر مثل مبحث : لم يوضع اللفظ (٢) - ومبحث متى وضعت اللغة (٣) ومبحث في الطريق الى معرفة اللغة (٤) .

وقد عرض جلال الدين السيوطي قضية المناسبة بين اللفظ ومدلوله . . وساق في ضوءها آراء علماء المسلمين عبر العصور . وقد صبرها في بوتقة واحدة وهي بوتقة : نظرية « توقيفية اللغة » وساقها من خلال وجهة نظره هو . . حيث كان قد أنتهى كل من المعتزلة وأهل السنة في ضوء أن اللغة توقيف من عند الله الى ضرورة وجود مناسبة طبيعية بين اللفظ ومدلوله . . فذكر السيوطي أن عباد بن سليمان الصيمري من المعتزلة ذهب الى أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يصنع وهاك نص قوله: «نقل أهل أصول

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها . ح ١ . ص ٤٧/٤٨ . : المسألة العاشرة بين اللفظ ومدلوله .

(٢) السابق : المسألة التاسعة ص ٤٦/٤٧ .

(٣) السابق : المسألة الحادية عشرة ص ٥٦/٥٧ .

(٤) السابق : المسألة الثانية عشرة ص ٥٧/٥٨ .

الفقه عن عباد بن سليمان الصيمري من المعتزلة أنه ذهب الى أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يضع - قال : وإلا لكان تخصيص الاسم المعين بالمسمى المعين ترجيحاً من غير مرجح ، وكان بعض من يرى رأيه يقول : أنه يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيها ، فسئل ما مسمى « اذغاغ » وهو بالفارسية الحجر فقال : أجد فيه يبعسا شديدا ، وأراه الحجر .

وأنكر الجمهور هذه المقالة وقال : لو ثبت ما قاله لاعتدى كل انسان الى كل لغة ، ولما صح وضع اللفظ للضدين كالقرء الحيض والطهر ، والجون للابيض والأسود ، وأجابوا عن دليله بأن التخصيص بارادة الواضع المختار خصوصا إذا قلنا : الواضع هو الله تعالى ، فان ذلك لتخصيصه وجود العالم بوقت دون وقت - وأما أهل اللغة والعربية فقد كانوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعاني ، لكن الفرق بين مذهبهم ومذهب عباد أن عباداً يراها ذاتية موجبة - بخلافهم - وهذا كما تقول المعتزلة بمراعاة الأصلح في أفعال الله تعالى وجوبا . .

- وأهل السنة لا يقولون بذلك مع قولهم انه تعالى يفعل الأصلح لكن فضلا منه ومنا لا وجوبا . ولو شاء لم يفعل .

وقد عقد ابن جنى في الخصائص بابا لمناسبة الألفاظ للمعاني (٥) . . ونكتني بهذا القدر من أحوال السيوطي . . ونقف أمام مقالته نتفحصها من جوانبها المتعددة . .

وأول ما يطالعنا إن هذه القضية على النحو الذي ينكرها عليه السيوطي تذكرنا بما دار بخصوصها بين علماء اليونان القدماء . فعلى نحو ما كان موقف هيرقليطس نجد موقف عباد بن سليمان الصيمري . . أما موقف الجمهور وأدلتهم التي ينقض بها موقف عباد الصيمري فتكاد تشبه تماما الأدلة التي وجهت لنقض رأي هيرقليطس . .
بأنه لو ثبت ذلك لاعتدى كل انسان لكل لغة . .
ولما صح وضع اللفظ للصندين الى آخره

(٥) : باب في أساس الألفاظ أشباه المعاني .

وأما ما يذكره جلال الدين السيوطي من أن أهل اللغة والعربية قد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعاني - فهذا من وجهة نظر جلال الدين السيوطي نفسه - وهو ما يفهم أيضا من ظاهر القول ، أما حقيقة الأمر فغير ذلك . فإن أهل اللغة والعربية الذين دلت السيوطي على ما يراه بخصوصهم من أقوال خاصة بالخليل وسيبويه وابن جنى فليس الأمر كما يرى وليس في أقوالهم أمام الدراسة الفاحصة المتمعنه ما يؤيد ما يراه . . . على نحو ما هو متصل فيه القول فيما جاء بعد . . . ، هذا فضلا عن أن رأى أهل اللغة والعربية قريب من موقف أرسطو وأفلاطون (٧) ، . . . فالكلمات تجيء في قالب مناسب من الحروف والمقاطع الصوتية . . . ، . . .

والفرق بين رأى أهل اللغة والعربية ورأى المعتزلة وأهل السنة هو أن المعتزلة وأهل السنة يقولون معا بتوقيفية اللغة وأنها من عند الله (٨) ولما واجههم ما في اللغة من فساد أو تضاد . . . ، . . . إلى آخر ما ظنوه فيها من نقص كان ردحهم أن الله يفعل الأصلح فضلا منه لا وجربا . . . ، . . . ولو شاء لم ينقله (٩) .

وأما رأى أرسطو وأفلاطون فهو أن اللغة من وضع واضع . . . وأن على واضع الكلمات أن يهتدى برأى الجماعة حتى لا ترفض ما يصنعه فيجب أن يكون اللفظ مناسباً الشيء الذي يطلق عليه .

هذا من ناحية مناسبة الألفاظ للمعاني .
أما رأى أهل اللغة والعربية بخصوص نشأة اللغة فالأمر بالنسبة لهم

(٧) درس أفلاطون في مصر الفرعونية في جامعة عين شمس مع مجموعة من فلاسفة العالم القديم أو قل جامعة «أون» . . . أول جامعة في تاريخ التعليم - إذ أن المصري القديم قد تخيل في أسطورة الخلق أن نور السموات والأرض قد بزغ لأول مرة من هناك من موقع «أون» . . . كمال الملائح الأهرام ٦/٢٨ / ١٤٠٦ م - الموافق ١٩٨٦/٣/٩ م ص ١٨ . . .

(٨) هذا من وجهة نظر السيوطي وفي ضوء ما يعرضه ولكن هناك تفصيلات مختلفة تأتي فيما بعد . . .
(٩) أعد النظر على ما سبق من قول السيوطي . . .

مختلف فمنهم من يراها توقيفية ومنهم من يراها مواضعة واصطلاحاً ، ولا ينه
جنى رأى غير هذا وذلك (١٠) ٠٠٠٠

ولكن جلال الدين السيوطى صهر القضية كلها فى بوتقة واحدة بوتقة
توقيفية اللغة وأنها من عند الله سبحانه وتعالى - ومن هنا وجبت مناسبة
الفاظها لمعانيها ٠٠٠٠ وأخذ يجمع كل ما يمكن أن يكون دليلاً على ما يراه أو
يؤكدده . ووجدده أهمال ابن جنى وأقواله ما يراه سنداً له فأتى بكثير من أعمال
ابن جنى فى هذا الباب وآخرين غيره ٠٠٠٠ وهكذا يطالعنا حشد كبير جمعه
السيوطى فى هذا الغرض فمن يقرؤه ينساق وراءه .

ومن هنا فأتى أن جلال الدين السيوطى هو المسئول بما صنعه عما
انتهى إليه العلماء المحدثون من آراء خاصة بقضية المناسبة الطبيعية بين اللفظ
ومدلوله عند علماء المسلمين القدماء ٠٠٠٠

ولكن إذا كانت القضية فى الأصل خاصة بتوقيفية اللغة ٠٠ أليس من
موضوعية البحث أن ننقب عن رأى ابن جنى فى نشأة اللغة ؟ ! (١٠)

(ب) انتقال القضية الى الفكر اللغوى العربى المحدث : -

الدكتور ابراهيم أنيس وموقفه من هذه القضية : -

يشير الدكتور ابراهيم أنيس الى ما كان من فلاسفة اليونان والرومان ازاء تلك القضية وما دار حولها من جدل ونقاش قرونا والى انقسامهم فى شأنها الى فريقين (١١) :

● فريق يرى وجود رابطة طبيعية تدركها العقول وتتقبلها الأفهام بين الأصوات ومدلولاتها .

● وفريق يرى أن الأمر لا يعدو أن يكون اصطلاحا عرفيا جرى عليه الناس فى كلامهم وأنه لا توجد علاقة بين الأصوات والمدلولات الا بقدر مايسمح به العرف والاصطلاح

ثم هو يشير الى ما روى عن أفلاطون وأستاذه من جدال بخصوص هذا الموضوع ثم يقول : « فقد أدرك كل منهما أن الصلة بين أصوات الكلمات ومدلولاتها غامضة لاتكاد تتضح فى اللغة كما عرفت فى عيهما ، وكما شاعت على الألسنة فى أيامهما ، ولكنهما مع هذا كانا يتمنيان أن تخلق تلك اللغة التى تتوثق فيها العلاقة بين الأصوات والمدلولات وأن تصبح تلك العلاقة طبيعية بحيث نلاحظ فى الأصوات أمورا رمزية وثيقة الصلة بالمدلولات ، .. »

ويضيف « كان فلاسفة اليونان أذن يرون انقطاع الصلة بين الأصوات والمدلولات ثم هم مع هذا يابون الاعتراف بمثل هذا الانقطاع محاولين فى يأس أن يعقوا صلة أيا كانت تلك الصلة مع ما فيها من تعسف وتكلف .. وقد ظلت كلمتا الطبيعة أو العرف محور الجدل والنقاش بينهم زمنا طويلا ، (١٢) . »

ثم يشير فى الماحة الى أساس القضية والى أن تفرعات أقوالهم : « تنحدر بنا الى موضوع نشأة الكلام الانسانى ذلك الموضوع الذى اضطربت فيه الآراء وتباينت من حوله النظريات واحيط فى بحثه بالحدس والتخمين مما أدى الى انصراف معظم المحدثين عنه ، واعتبارهم هذا النوع من البحث من بحوث ما وراء الطبيعة ولا أمل فى الوصول فيه الى رأى محقق أو قريب من الحقيقة ، (١٣) . »

ثم هو يضيف قائلا : « من العبث حينئذ أن ننظر فى البحث عن الصلة بين الأصوات والمدلولات الى تلك المجهود السحيقة فى القدم ، وأن نحاول اغراض

(١١) أقرأ من أسرار اللغة ط ٢ - الفصل الثانى : « منطق اللغة » -

ص ١١٦ وما بعدها ..

(١٢) السابق ص ١٢٥ .

(١٣) السابقة ص ١٢٦ -

أن الإنسان الأول قد راعى في الاعتداء إلى الكلمات صلة وثيقة بين الأصوات والمخلوقات • (١٤) •

ويأتي بعد ذلك قوله الآتي عن علماء العربية القدماء :

« وقد سلك علماء العربية القدماء نفس المسلك الذى سلكه فلاسفة اليونان فى فهم الصلة بين الأصوات والمدلولات بل ربما غالى بعضهم فيه فوثقوا من تلك الصلة » (١٥) ..

ويحدد القول الآتي خلاصة رأيه في تلك القضية يقول :

• وهكذا نرى أن الأصوات الإنسانية لا تكاد تخضع لنظام عقلي في تكونها وصدورها والنطق بها كما نرى أن ذلك الفرع من البحوث اللغوية الذي يسميه الأوروبيون Phonetics لا يكاد يمت للمنطق العام بصلة ،

ثم هو يطبق هذا الرأي على أعمال ابن جني ويصدر الحكم الآتي :

« وهكذا نرى أن ابن جنى كان ممن يؤمنون إيماناً قوياً بوجود الرابطة العقلية المنطقية بين الأصوات والدلوات أو مايسميه بعض المحدثين بالرمزية الصوتية (١٦) - بل لقد غالى ابن جنى في هذا ومعه الشعالبي صاحب فقه اللغة إذ جعل مجرد الاشتراك في أصلين فقط من الأصول الثلاثة دليلاً على الاشتراك في معنى عام لبعض الكلمات فيقرر أن المعنى العام للفرقة يكون بين صوتي الفاء والراء - والمعنى العام للقطع يكون بالقاف والطاء الى غير ذلك من تخيلات وتأملات تشبه أحلام اليقظة عند رجل اشتد ولعه وأعجابه باللغة العربية فتصور فيها ما ليس فيها وأضفى عليها من مظاهر السحر ما لا يصح في الأذهان ولا تتصف به لغة من لغات البشر » .

ثم وجد في أعمال ابن جنى مجالا رحبا للتطبيق ونظر الى أعمال ابن جنى من زاوية الرمزية الصوتية على نحو ما يسميها بعض المحدثين الغربيين أو زاوية الرابطة العقلية المنطقية بين الأصوات والدلالات على حين أن الدكتور يشير الى أن أقوالهم تنحدر بنا الى موضوع نشأة الكلام الانساني وإلى أصل اللغة ، والرمزية الصوتية هي رأى من قال بتوثيق اللغة ولذا فمن العدل الذى تؤيده موضوعية البحث أن ننتقب عن رأى ابن جنى فى نشأة اللغة وهل هي عنده توقفية ؟ وما رأيه ؟ وماذا قال بهذا الخصوص ؟

• (١٤) السابق ص ١٢٦

• (١٥) السابق ص ١٢٦ .

(١٦) أوتو ييمبرش في كتابه اللغة (السابق) - الفصل العشرون حيث أفردته يتمامه لهذا الموضوع وجاء تحت عنوان Sound Symbolism (السابق)
 من ع ٤١١/٣٩٦ .

(١٦) رأى ابن جنى في نشأة اللغة ص ١١١ وما بعدها

أن ابن جنى لم يقل بتوقيفية اللغة وإنما له رأيه الخاص في هذه القضية - هذا من ناحية - ومن ناحية أخرى فإن ما قاله ابن جنى يجب أن ينظر إليه من زاوية أخرى غير زاوية الرمزية الصوتية

ولكن جلال الدين السيوطى عرض حشدا ضخما من أعمال ابن جنى تحت مبحث المناسبة بين اللفظ والمعنى ، وأتى الدكتور إبراهيم أنيس بآبواب أخرى وأخذ يطبق عليها فكرة الرمزية الصوتية أو المناسبة الطبيعية ويفند تلك الفكرة في ضوء الدرس اللغوى الحديث .. ومن مبادئ الدراسة اللغوية الحديثة العلمية .. والموضوعية . وما ذهب إليه الدكتور أنيس استمده من أعمال لغويين محدثين لهم قدرهم ..

فيلو مفيلد من أصحاب المدرسة السلوكية (١٧) .

وهو وأتباعه يؤثرون دراسة أشكال اللغة (speech forms) دراسة تقوم على الملاحظة والتجربة - فمدرسته مدرسة الوصافين التجريبيين - تبدأ دراستها من الصور اللغوية لا من معانى الصور .. كما أن منطقهم منطوق قياسي (inductive)

فتعليق بلومفيلد على محاوراة أفلاطون جاء متفقا مع منهجه في دراسة اللغة ومتوائما مع مدرسته فيها .. لذلك لم يكن غريبا أن يأتى حكم بلومفيلد على النحو الذى جاء عليه ..

وقد كون بلومفيلد على أساس منهجه هذا في دراسة الصور اللغوية الخالصة نظاما كادلا من الواحدات اللغوية الصغرى (الفونيمات) ومن تصرفاتها ومن الصلات العامة بينها (١٨) ...

فالدراسة اللغوية الحديثة دراسة موضوعية علمية .. ذات مناهج وأبعاد موصلة الى نتائج علمية يطمئن لها الدارس .. ويأخذ بها الباحثون ويبنون عليها ولا حيدة عنها

(١٧) اقرأ بلومفيلد ومدرسته - في كتاب أئمة النحاة في التاريخ . د. محمود محمود غالى ص ٢٢/١٧ .
واقرا : في تاريخ الدراسات اللغوية - (٥) في أمريكا . من كتاب : علم اللغة . د. السعران من ص ٣٧٧ .
على حين توجد مدارس لغوية أخرى أمريكية لا ترى رأى هذه المدرسة بل تخالفها ولاغضاضه في ذلك ..

(١٨) انظر كتاب اللغة السابق لبومفيلد

Language, by Leonard Bloomfield.

فالشئ الطبيعي أن الدكتور أنيس وهو رائد من رواد الدراسة اللغوية الحديثة في العربية أن يطبق مناهج الدراسة اللغوية الحديثة على العربية وأن ينبه لها ويوجه إليها ..

ولكن حكم الدكتور ابراهيم أنيس هنا على آراء ابن جنى وأعماله فيما يتصل بهذه القضية وإن كان قد جاء من خلال اقتناعه بوجبة نظر الدراسة اللغوية الحديثة على نحو ما تمثلها مدرسة بلومفيلد وغيره إلا أنها لم تكن متوائمة مع المادة اللغوية التي يطبق عليها نفسها .. لذلك يطالعنا رأى الدكتور أنيس على النحو الآتى : « وابن جنى ممن يؤمنون إيماناً قوياً بوجود الرابطة العقلية المنطقية بين الأصوات والمدلولات .. أو مايسميه بعض المحققين بالرمزية الصوتية .. الى آخر قوله (١٩) إذن فهو حكم على ابن جنى مقدماً بأنه ممن يؤمنون بالرمزية الصوتية .. ولكن ما مظاهر هذا الايمان وابن نجد دلائله وعلاماته .. ١٩

أنه ينتهى الى رفض أعمال ابن جنى من خلال منهج لغوى آخر تتين وجدنا تطبيقاته في أعمال دى سوسير وأولمان وغيرهما يمثلها قوله : « فعليه أنه يجب على هذا أن نتصور نوعاً من الارتباط بين حروف الفعل أدرك وحروف الفعل فهم لأن لكل منهما نفس الدلالة - كما يترتب على ذلك أيضاً أن ينكر من اللغة تلك المئات من الكلمات التي اشتركت لفظاً واختلفت معانيها اختلافاً بيناً .

وهاك نص قوله :

« وليس هناك أى ارتباط عقلى منطقى بين حروف - الفاء والهاء والميم وبين المعنى العام الذى يستفاد من تلك الصيغ وهو الإدراك والا ترقب على هذا أن نتصور نوعاً من الارتباط بين حروف الفعل أدرك وحروف الفعل فهم لأن لكل منهما نفس الدلالة وهو مالا يقبله اللغوى الحديث كما يترتب على هذا أن ننكر من اللغة تلك المئات من الكلمات التي اشتركت لفظاً واختلفت معانيها اختلافاً بيناً » (٢٠) .

(١٩) انظر نصه السابق .

(٢٠) اقرأ من أسرار اللغة الدكتور ابراهيم أنيس (السابق) الموضوع

بتمامه من ص ٤٦ وما بعدها ..

وهذا في الواقع حكم دقيق ٠٠ ولكن على أى شىء، نطبقه عند ابن جنى
لقد عالج ابن جنى قضية المشترك والقراف وتقدم مباحث دقيقة عميقة
خاصة بها وأفردنا لها مبحثا خاصا بها (٢١) ٠٠٠ فهذا الحكم الدقيق يطلق
على شخص آخر غير ابن جنى ٠٠٠٠٠

دليل ذلك أنه عندما طبق النظريات الحديثة تطبيقا عمليا على أعمال
ابن جنى وجدنا أحكامه وآراءه على النحو التالى :

« فإذا كان ابن جنى قد استطاع في مشقة وعنت أن يسوق لنا للبرهنة
على ما يزعم بضع مواد من كل مواد اللغة التى يقال انها في جمهرة ابن دريد
تصل الى أربعين ألفا ، وفي معجم لسان العرب تكاد وتصل الى ثمانين ألفا
فليس يكفى مثل هذا القدر الضئيل التكلفة لاثبات ما يسمى بالاستقاق
الأكبر » (٢٢) .

معنى ذلك أن ماضربه ابن جنى من أهلة ليست خطأ من وجهة نظره هو ٠٠
ولكن له عليها مأخذ وصى :

أنها جاءت في مشقة وعنت ٠٠٠٠٠

وأنها تمثل كما ضئيلا بالنسبة لحجم اللغة ٠٠٠٠٠
وقول الدكتور أنيس هنا أن كان ينبغي عن دقة وأمانة علمية ٠٠ وهو كذلك
الا أنه ليس في صالح القضية التى هو يصدد عرضها ٠٠
فعندما تعرض لباب في الاشتقاق الأكبر عند ابن جنى (٢٣) علق على هذا
الباب بقوله : « ويمثل ابن جنى بعدة مجموعات لا يخلو معظمها من التكلف
والتعسف وتلمس العلاقة مهما كانت تاذية أو غامضة » (٢٤) .

« فقد اعتبر مثلا أصوات الجيم والياء والراء مهما اختلف ترتيبها

(٢١) انظر ذلك مفصلا من صفحات القسم الثانى من هذا الكتاب ٠٠

(٢٢) انظر من اسرار اللغة (السابق) ص ٥١ .

(٢٣) الخصائص ح ١ ص ١٣٣ .

(٢٤) من اسرار اللغة ص ٤٩ .

تعبير عن القوة والشدة وحاول التدليل على هذا بما ورد في اللغة فقال ، : (٢٥)
 جبرت العظيم والفقر اذا قويتما - والجبروت القوة والجبر الأخذ بالقهر والشدة
 ورجل مجرب اذا مارس الأمور فاشتدت شكيمته ، ومنه الجراب لأنه يحفظ ما فيه
 وأشيء اذا حفظ قوى واشتد - ثم منه الأجر من البجرة وهو القوى السره -
 ومنه النبرج لقوته ومناعته ، كذلك البرج هو نقاء بياض العين وصفاء سوادها
 مما يكسبها قوة ، ومنه رجبت الرجل اذا عظمت وقويت أمره - ومنه شهر رجب
 لتعظيمهم إياه عن القتال فيه ، ومنه الرجة وهو ما تسند اليه النخلة لندعيمها
 وتقويتها ٠٠٠ ، (٢٦)

ثم يأتي بمثال آخر عند ابن جنى وينتقذه على النحو الآتي :-
 يقول : « أنظر الى قول ابن جنى (ان حروف ركب مهما اختلف ترتيبيها
 تعبر عن الاجهاد والمشقة) »

فمن قال : ان كل ركوب فيه مشقة ؟ • انما هو راحة اذا قيس بالمشي
 والعدو - ثم أليس يبرك الجمل ليستريح ؟ • ولا يلجا الجمل الى هذا الا بعد
 الجهد والعنف ؟ ! - أما ربه فكيف يبعد معناه عن المشقة والاجهاد • ومن التعسف
 أن نتلمس في الربكة مشقة - وأن نتلمس في كبر الجسم اجبادا ، وهو انما
 كبر ليزداد قدرة على التغلب على الاجهاد والتعب •

ثم أين ذلك الاجهاد الذي يلحمه ابن جنى في التكبر والكبرياء ؟ - فاذا
 صارت الكلمة (بكر) وجئنا منها البكر بمعنى الوديعه المنعمه ووجدنا منها
 التذكير الذي لا يشق الا على الكسالى الوخمين ، والذي نعرف أنه كان من
 أظهر عادات العرب عامة والمسلمين خاصة - يستيقظون مبكرين ليؤدوا فريضة
 الفجر فيباد تظهر فيها الشمس مبكرة فتدفع فيها حرارة الجو الناس من فراشهم
 ليستقبلوا نسيم الصباح وينعموا باعتدال الطقس •

والواقع ان الطريقة التي نقض الدكتور أنيس بها ما يراه ابن جنى هنا

(٢٥) السابق مباشرة ص ٤٩ - وص ٦٦ من الطبعة الخامسة - ١٩٧٥ -

(٢٦) الخصائص السابق ص ١٣٣ •

(٢٧) من أسرار اللغة السابق ط ٢ ص ١٥٠ ، وط ٥ ص ٦٧ •

هى عينها الطريقة التى يثبت بها ابن جنى وغيره من علماء العربية القدماء ما يذهبون اليه . . وهذا ان كان يحسب له من جانب فهو يحسب عليه من جانب آخر ، دليل ذلك أن لغويين آخرين قدماء غير ابن جنى يتبعون هذا المنهج فى اثبات هذا الرأى . . وقد أتى الدكتور أنيس نفسه بأعمال لغويين قدماء آخرين يطبقون ما يراه ابن جنى ويرون رأيه . وهاك ما جاء بالنص فى كتابه الدكتور ابراهيم أنيس (٢٨) : « ومن أمثلة الاشتقاق الكبير ما نراه فى بعض كتب القدماء من أن النون والجيم والذال – مهما قلبتبا عبرت عن القسوة – وليليم على هذا أن النجدة الاعانة وفيها قوة – وأن الشجاع يقال له نجد وأن النجد ما أشرف من الأرض وارتفع – وأن النجدة القتال – وأن النجدة الفرع – وأن الجند حماة الوطن – وأن الجند حسن الصوت ففيه قوة – وأن أجدن بمعنى استغنى بعد فقر وأن الدجاج احكام الأمر – وأنه يقال تراب دانج أى تثيره الرياح فاذا أثارتها غبرها وفى ذلك قوة !! وأن الدجن المطر الكثير والدجنة الظامة ترهب ففيها قوة » (٢٩) .

ثم يعلق على ذلك بأن فيه قدرا كبيرا من التكلف والتعسف ويأتى بمادة أخرى لم يعتمد اليها عمدا فى القاموس المحيط ليثبت منها خلاف ما مضى .

يقول : خذ مثلا المادة سمح التى لم نعهد اليها عمدا أو قصصنا اليها قصدا وإنما كانت أول ما صادفنا حين فتحنا الجزء الأول من القاموس المحيط ليس منها السماحة التى هى لين ودعة وإشراق – ولكن منها أيضا المسح وهو ازالة ومحو – وفيها حمس بمعنى اشتد وصلب فى القتال – ومنها السحم الذى هو السواد ولا إشراق فى السواد ثم منها حسم بمعنى قطع – والحسوم الشؤم اللئالى الحسوم : التى تحسم الخير عن أطها ! » (٣٠) .

والواقع أن هذا لا يضر رأى ابن جنى فقد فسر ذلك ابن جنى فى ه واضح وأماكن أخرى على نحو ما سيأتى ذلك مفصلا .

(٢٨) السابق مباشرة .

(٢٩) من إسرار اللغة السابق طه ص ٦٧/٦٨ .

(٣٠) السابق ص ٦٨ .

فاحكام الدكتور ابراهيم أنيس هنا أن هذه الأعمال تنقسم بالتحكم أو
بالمشقة حيث يقول « ألسنت ترى قدرا كبيرا من التكلف والتعسف » (٣٢) .

ثم يأتى حكمه النهائى فى نهاية المبحث بمثله قوله الآتى :

« فإذا كان ابن جنى قد استطاع فى مشقة وعنت أن يسوق لنا للبرهنة
على ما يزعم بضع مواد من كل مواد اللغة التى يقال انها فى معجم صحاح اللغة
تصل الى أربعين ألفا ، وفى معجم لسان العرب تكاد تصل الى ثمانين ألفا ،
فليس يكفى دثل هذا القدر الضئيل المتكاف لاثبات ما يسمى بالاستتقاق
الكبير (٣٣) » .

ثم يورد مثالا لآخر لنوع آخر من أعمال ابن جنى ودراساته فى
كتابه الخصائص أيضا وهو من « باب فى تصائب الاناظ لتصائب المعانى » .
ويأتى فى النهاية بتعليقه الذى يمثل رأيه فى هذا الباب حيث يرى
أن عمل ابن جنى فى هذا الباب يتصل بتطور الاصوات وأن مجاله مباحث
القلب والابدال .

وفيه من هذا أن أعمال ابن جنى يجب أن تسلط عليها مناهج
دراسة لغوية محدثة مختلفة :

ونأتى بنص ما جاء عنده حيث يقول :

« ويمثل له عادة بكلمات مثل : أز - وحر

والجتل - والجتل - ونحو هذا .. » (٣٤) .

ثم يأتى فى النهاية قوله الآتى ..

« فأجدر به أن يعد من الكلمات التى تطورت أصواتها والتى تبحت

عادة فى فصل التلب والابدال » .

أى أن أعمال ابن جنى تخضع لوجهات نظر الباحثين فلا تفرض
على الباحثين رأيا ولا تلزمهم بمنهج معين .

(٣٢) السابق ص ٦٨ .

(٣٣) السابق طه ص ٦٨ .

(٣٤) السابق ط ه ص ٦٨ .

وذن نرى أن ما جاء في كتاب الخصائص لابن جنى يجب أن يدرس كل مبحث منها على حدة وأن تسلط عليه أضواء الدراسة اللغوية الحديثة وذلك لأسباب كثيرة نتضح فيما بعد :

وذبداً أولاً بعرض باب الاشتقاق الأكبر (٣٥) .

وعندما نضع أمام البحث باب « الاشتقاق الأكبر » (٣٦) الذى على عليه الدكتور ابراهيم أنيس بذا الراى ، وأصدر ضده حكمه هذا .

نتضح أمامنا الحقائق الآتية : - يبدأ ابن جنى هذا الباب بقوله : - « هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا غير أن أبا على رحمه الله - كان يستعين به ويخلد اليه مع اعواز الاشتقاق الأصغر ، ولكنه مع هذا لم يسمه ، وإنما كان يعتاده عند الضرورة : ويستروح اليه ، ويتمثل به . وإنما هذا التلقيب لنا نحن ، وستراه فتعلم أنه لقب مستحسن ، وذلك أن الاشتقاق عندى على ضربين : كبير ، وصغير » .

وأول ما نلاحظه أن ابن جنى ليس له في هذا الباب الى هنا غير اختيار الاسم « عنوان الباب » - أما الفكرة التى دار حولها موضوع الباب فهى متداولة بين معاصرى ابن جنى ولكن أحداً من هؤلاء سواء من السابقين أو من معاصريه أو أصحابه لم يطلق التسمية .

كما أن أبا على أيضاً كان يستعين بهذا الموضوع ويخلد له ويستروح اليه ويتمثل به : أى يتخذة علة ودليلاً ويصل بسببه الى معرفة أصول حروف العلة عندما تعمى على الباحثين ويختلفون من حولها (٣٧) .

فالمسألة ليست مسألة الرمزية الصوتية - إنما المسألة على نحو

(٣٥) الخصائص ص ١٢٣ .

(٣٦) الخصائص ج ٢ ص ١٢٣ وما بعدها .

(٣٧) على نحو ما سيتضح ذلك من المثال الذى ضربه فى نهاية الباب - ومعلوم أن أبا على الفارسي كان من البارعين فى القياس - وكان يشق عليه أن يخطئ ، فى مسألة واحدة مما بابه القياس ، وعنده أن هذه أشق عليه من أن يخطئ ، فى خمسين مسألة مما بابه الرواية - أنظر كتب التراجم لابی على - وأقر : أبو على الفارسي د : عبد الفتاح شلبى .

مايراهما العلماء الذين عاشوا جمع المادة اللغوية والتعميد لها محاولة منهم الوصول الى معرفة أصول مادة لغوية عن طريق صورها المختلفة وذلك لانهم يرون ان هذا الباب يتصل بمعرفة المشتقات من حيث الدلالة ومن حيث الصيغ عن طريق التقلبات . . . غير أن المعروف المتداول بين العلماء وفي ذلك الحين ، والذي صنف فيه المؤلفون مصنفاً لهم إنما هو الاشتقاق . . . الذي يدور حول ما يتصل بالمادة من صور لغوية دون تقلبات فيها . . . ولكن عندما يعنى الامر عظيم وهم بصدد قاعدة . . . فانهم يلجئون الى تقلبات المادة . والمثال الذي ضربه ابن جنى واضح في ذلك فهم يصنعون هذا الصنيع دون أن يسموه باسم . .

فعمل ابن جنى أنه سمى الاشتقاق المعروف للناس في ذلك الحين والموجود بأيديهم وفي مؤلفاتهم « سماه الاشتقاق الاصغر » وسمى هذا الآخر بالاشتقاق الأكبر - وأخذ يوضح ملامحه ويحدد أبعاده ويبين وظيفته سواء على مستوى الصيغ . . أو مستوى الدلالة . . وأطلق عليه اسم « الاشتقاق الأكبر » . . فهو يقول مثلاً عن الاشتقاق الاصغر : -

« فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم كان تأخذ أصلاً من الاصول فتقرأه فتجمع بين معانيه ، وإن اختلفت صيغه ومعانيه - وذلك كتركيبه (س ل م) فانك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه ، نحو : سلم ويسلم وسالم ووسلمان ، وسلمى ، والسلامة ، والسليم : اللديغ ، أطلق عليه تفاؤلاً بالسلامة ، وعلى ذلك بقية الباب اذا تأولته ، وبقية الاصول غيره كتركيب (ض ر ب) و (ز ب ل) على ما في أيدي الناس من ذلك .

فهذا هو الاشتقاق الاصغر . وقد قدم أبو بكر (٣٩) رحمه الله

(٣٩) يريد ابن السراج - ولأبى بكر ابن السراج : كتاب الاشتقاق - وقيل لم يثمه . بغية الوعاة ص ٤٤ .

رسالته فيه بما أغنى عن إعادته - لأن أبا بكر لم يأل فيه نصحا وإحكاما
وصلحة وتأنيسا . . .

معنى قوله أنك إذا أخذت مادة من المواد ، وثبتت اشتقاقاتها التي
يستعملها الناس والتي هي في أيديهم لوجدت أن اشتقاقاتها كلها
تدور حول معاني - أصل المادة - فمادة - سلم - كلها تدور حول
معنى السلامة . . . سلم - يسلم - سالم - سلمان - سلمى - السلامة
. . . إلى آخره . . . حتى ما في الاشتقاق مما يمكن أن يطلق عليه اسم
التضاد مثل كلمة (السليم) التي تطلق على اللديغ فإنها تطلق عليه
تقاربا بسلامته . . . ، وهكذا بقية الباب . . . ، وهكذا بقية
الأصول الأخرى غير هذا الأصل أيضا . . . مثل : ضرب - وجلس . . .
إلى آخره . . .

وهذا هو الاشتقاق الأصغر نجد كل المشتقات فيه تدور حول معنى
مادة الأصل . . . بل إن ما يشذ منها يدور حول معنى مادة الأصل أيضا
. . . ولكن إذا تأملته وتناولته . . .

كما أنك تستطيع أن تستدل من هذه المشتقات على أصول أحرف
هذه المادة عند الحاجة إلى ذلك . . .

ثم هو بعد ذلك يبين أن أبا بكر بن السراج قدم رسالته في هذا
فهو معروف متداول مؤلف فيه وأن كتاب أبي بكر بن السراج لم يأل فيه نصحا
وإحكاما وصنعة وتأنيسا . . . ، ومن رجع إليه وجد هذا واضحا فيه
جليا

أما الشيء الجديد الذي يريد أن يوضح أبعاده فهو ما أطلق عليه
اسم الاشتقاق الأكبر ، وحال الاشتقاق الأكبر هذا هو حال الاشتقاق
الأصغر ، غير أن الاشتقاق الأصغر معروف وهو في أيدي العلماء والنفوس
فيه كتبهم وهي متداولة بينهم وأطلقوا عليه اسم الاشتقاق - وأن مثله
مثل الاشتقاق الأكبر الذي يتعاطونه ويلجؤون إليه عند حاجتهم له وهو
واضح فيما صنعه الخليل في كتابه العين وابن دريد في كتابه الجوهرة ،

ولبن فارس يزاوله في كتابه المقاييس (٤٠) - - - - - فعاداً بقي ٠؟ انه في
 أحييهم ويلجئون اليه عند حاجتهم وهو والاشتقاق الاصغر يؤيدان دورا
 واحداً على مستوى الدلالة ويقومان بوظيفة واحدة على مستوى التصريف
 ومعرفة حروف الاصل غير أنهم لم يطلقوا عليه اسماً فكل ما صنعه
 ابن جنى هو انه أطلق عليه اسم الاشتقاق الأكبر تمييزاً له عن الاشتقاق الاصغر
 واخذ يوضح أبعاده وملامحه بمنهج استقرائي وصفى وان بدت عليه
 مسحة الميل الى التأويل والصنعة ٠٠٠،٠٠٠

فهو يقول :

« وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلاً من الاصول الثلاثة فتعتمد
 عليه وعلى تعاليبه الستة معنى واحداً ، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف
 من كل واحد منها عليه ، وان تباعد شيء من ذلك عنه رد بلطف الصنعة
 والتأويل اليه كما يفعل الاشتقاقيون في التركيب الواحد » (٤١) .

ويأتى بأمثلة متعددة توضح رأيه ٠٠٠ وتؤكد

فيقول : « فمن ذلك مثلاً تغليب (ج ب ز) فهي أين وقعت للتسوية
 والشدة » (٤٢) .

ثم يعقب ذلك المثال بمثال آخر ٠٠ -

حيث يقول : « ومن ذلك تراكيب (ق س و) (ق و س)
 (و ق س) (و س ق) (س و ق) وأهل (س ق و) ، ويطلق
 على هذه التراكيب مجتمعة ماعد المهمل منها بقوله : -

(٤٠) ابن فارس من معاصري ابن جنى وهذا دليل على شيوع هذا التفكير
 بين أكثر من عالم .

ابن فارس توفي في صفر سنة ٣٩٥ هـ بالرى ودفن بها مقابل مشهد قاضى
 القضاة أبى الحسن على بن عبد العزيز الجرجاني .

وابن جنى متوفى في يوم الخميس السابع والعشرين من صفر سنة ٣٩٢ هـ .

(٤١) الخصائص (السابق) ص ١٣٤

(٤٢) هذا المثل مر ، وضربه الدكتور ابراهيم أنيس وعلق عليه على

نحو ما مر لذا لم نذكره أكتفاء بما سبق .

« وجميع ذلك الى القوة والاجتماع :
منها : القسوة - وهي شدة القلب واجتماعه .

الا ترى قوله :

يا ليت شمري والى لا تنفع مل اغدون يوما وأمرى مجمع (٤٣)

اي قوى مجتمع .

ومنها : (القوس) لشحتها ، واجتماع طرفيها .
ومنها : (الوقس) لابتداء الجرب ، وذلك لانه يجمع الجلد ويقطعه .
ومنها (الوسق) الحمل . وذلك لاجتماعه وشدته .
ومنها : (استوسق الامر) أي اجتمع . « والليل وما وسق » (٤٤)

أي جمع .

ومنها : (السوق) وذلك لانه استحثاث وجمع للسوق بعضه

الى بعض .

وعليه قال :

.. مستوسقات لويجدن سائقا : (٤٥) .

فهذا كقولك : مجتمعات لويجدن جامعا .

فان شئ من شعب هذه الاصول عن عقده ظاهرا رد بالتأويل اليه
وعطف بالملاطفة عليه . بل اذا كان هذا قد يعرض في الاصل الواحد حتى
يحتاج فيه الى ما قلناه كان فيما انتشرت اصوله بالتقديم والتأخير أولى
باحتماله واجدر بالتأويل .» (٤٦) .

فهذه هي الفاظ اللغة ، وتلك هي استعمالاتها التي يتداولها الناس ،
فابن جنى يأتي باللفظ وباستعماله .. فماذا ازاد عن ذلك :

(٤٣) جاء : في النولر ١٣٣ - وبعده :

وتحت رضى زفيان ميلع حرف اذا ما زجرت تبوع

(٤٤) سورة الانشقاق - آية ١٧ .

(٤٥) جاء : قبله : ان لنا لابلا حقائقا

(٤٦) الخصائص (السابق) ص ١٣٧ .

وأوضح من الأمثلة التي ضربها ابن جني موضحاً فيها فكرة الاشتقاق الأكبر وأبعاده أنه ليس فيها ما يشير إلى قضية الرمزية الصوتية أو إلى علاقة طبيعية ضرورية بين اللفاظ ومعانيها .. ، .. وإنما هي ألفاظ واستعمالات لمادة لغوية تدور حول معنى عام يجمعها من يبحث يجده موجوداً .. ، .. وقد يجد سخوذاً في هذه الظاهرة وتلك طبيعة الظواهر اللغوية ..

والذي حدث أنه تتبع المادة اللغوية في استعمالاتها المختلفة سواء من حيث الصيغ أو من حيث الدلالات التي تشير إليها وكل ما أتى به يبين أن المادة في تقبلاتها تدور حول معنى واحد عام يجمعها ..

وهو نفسه يضيف : أنه قد يشذ شيء من شعب هذه الأصول عن المعنى العام غير أنه يقول : أنه يمكن رده إلى المعنى العام ولكن بشيء من التناول - ثم هو يضيف أنه من المعلوم أن مثل هذا الشذوذ يعرض في الأصل الواحد - أي في الاشتقاق الأصغر - وأنه يمكن رده إلى المعنى العام للمادة أيضاً بشيء من التناول .

ثم هو يزيد قائلاً : أن ما انتشرت أصوله بالتقديم والتأخير أولى بأن يحدث فيه مثل هذا الشذوذ وأجدر بأن يتناول له مثل هذا التناول . أي أن تقبلات المادة المختلفة على أوجهها المتعددة توجب مثل هذا الشذوذ وتستدعيه فابن جني يقوم بدراسة ظاهرة يجمع مادتها واستعمالاتها المتعددة في حالاتها المختلفة ويسجل ما يراه خاصة بها على أي نحو جاءت عليه سواء اطرقت الظاهرة أم لم تطرد .. وفوق هذا وذلك كله فإنه يقول : -

د وأعلم أنا لاندعى أن هذا مستمر في جميع اللغة كما لاندعى للاشتقاق الأصغر أنه في جميع اللغة - بل إذا كان ذلك هو في القسمة سدس هذا أو خمه متعذراً صعباً كان تطبيق هذا واحاطته أصعب مذهباً وأعز ملتصقاً .

بل لو صح من هذا النحو وهذه الصنعة المادة الواحدة تتقلب على ضروب التقلب كان غريباً معجباً - فكيف به وهو يكاد يساوق الاشتقاق الأصغر ويجاريه إلى المدى الأبعد .

وقد رسمت لك منه رسماً فاحتذّه وتقليه تخط به وتكثر اعظام هذه
اللغة الكريمة من أجله . نعم . وتسترفده في بعض الحاجة اليه فيعينك ويأخذ
جيدك .

ألا ترى أن أبا علي رحمة الله كان يقوى كون لام (أثفية) فيمن جعلها
(أفعولة) وأوا بقوليم : جاء (يثفه) ويقول : هذا من الواو لامحالة
(كيعده) - فيرجع بذلك الواو على الياء التي ساوقتها في (يثفوه) و (يثفيه) .

أفلا تراه كيف استعان على لام (ثنا) بفاء (وثف) .
وانما ذلك لأنها مادة واحدة - شكلت على صور مختلفة - فكانها لفظة
واحدة . (٤٨) .

أنها رؤية عالم ازاء ظاهرة لغوية
وهي ليست محاولة منه يريد أن يثبت من خلالها ذكره الرمزية الصوتية .
وهل في كلام ابن جنى هذا سواء من قريب أو بعيد مايدل على أن
عالم الألفاظ يستدعى عالم المعانى . . أو أن الكلمات تظهر باطن المادة . .
أو أن عالم الأسماء يقود الى عالم الأشياء أو يسوق الى عالم الأعيان

أليس هو نفسه الذى يشير الى الشذوذ والتناقض الموجود في اللغة .
وماذا يصنع لغوى آخر ازاء ظاهرة لغوية يلحمها .
انه يقتبج استعمالاتها المختلفة ويرصد ما يجده في كل الأوضاع خاصا
بها

ويبحث مدى اطرافها ومدى ما يعتريها من شذوذ ويذكر نسبة الشذوذ
الى الاطراف ما أمكن ويبين الهدف من بحث هذه الظاهرة والنفع الذى يمكن أن
يعود على البحث اللغوى من خلالها . .

وهذا عين ما صنعه ابن جنى :
ذكر الاستعمالات بعد أن تتبعها في كل أوضاعها .

ونذكر الشذوذ وبين أن نسبته تتراوح بين خمس ، وسدس في الظاهرة في كل مادة من موادها التي توجد فيها وقد لا توجد في مواد أخرى ، وبين النفع الذى يعود على اللغوى من خلال رصد هذه الظاهرة .

وبين أن هذا النفع يخدم جانبين أحدهما دلالى ، والآخر خاص بأصول البنية عندما تعمى على الباحثين .

وماذا صنع فيرث Firth (٤٨) رأس المدرسة اللغوية الانجليزية فقد لمح ظاهرة لغوية سماها « الوظيفة النوناستيتيكية للاصوات Phonaesthetic function » - ويعنى بها ما يلمح من وجود علاقات تظهر بين بعض عينات من الكلمات ذات البداية بأحرف معينة من بين تلك التي تبدأ بحرفين متجانسين أو أكثر وبين بعض الملامح العامة المميزة لبعض السياقات اللغوية .

كلمات تبدأ بحرف ST : نحو

| | | | | | |
|-------|------------|-------|-------------|-------|------------|
| Stick | سنديعود | Stiff | شديد ، صلب | Stand | ركيزة |
| Stack | كحس | Still | ساكن | Stoke | خازوق |
| Stub | أرومة شجرة | Stump | عمود - ساق | Stud | اسطبل خيله |
| Stay | دعامة | Stem | لحمة - وصمة | Stare | حلق |
| Stand | ركيزة | Stain | Stroin | Stem | منع وعارض |
| | | Stock | عمود - ساق | | |

أو كلمات تبدأ بحرف Sn : نحو

| | | | |
|-------|------|------|------|
| Snack | Snag | Snib | Snub |
|-------|------|------|------|

أو كلمات تبدأ بحرف Sl : نحو :

Slight أستخفاف Slide منجد ، مزلق Slice شريحة Slim رقيق نحيف
Slender نحيل Sleet مطر ببرد Slit شق طولى Slink الذى يخيف نفسه
وشى، قريب من هذا قال به اللغوى المحدث ستيفن أولمان Stephen Ullmann
عندما أبدى ملاحظة عن دور تقوم به بعض الكلمات المولدة في

(٤٨) أنظر J.R. Firth, Papers in linguistics P44.

- وانظر : دور الكلمة في اللغة • د. كمال بشر ص ٨٦/٨٧
- وانظر مناهج البحث في اللغة • د. تمام حسان ص ٢١٧

التعبيرات الأدبية والفنية والانفعالية ومن أمثلة هذه التوليدات تلك الكلمات التي تبدأ بالأصوات : SL - و - SN في اللغة الانجليزية كما في نحو :

| | | | |
|---------------|---------|----------|--------|
| Sniff | Snigger | Snip | Snivel |
| Slick - Slide | Slime | Slippery | Slope |

ويوضح الدكتور كمال بشر ما يريده بهذه الأمثلة يقول : انه يريد أن يوضح أن انكاره وجود ارتباط بين بعض الأصوات وبعض المدلولات أو الحوادث لايعنى عدم وجود هذا الارتباط نهائيا انه ينكر أن يكون الارتباط ارتباطا كاملا مطردا ، بحيث نحصل منه على قواعد عامة يمكن الاعتماد عليها ولكن هذا لايمنع أن تكون هناك أمثلة يتحقق فيها هذا الارتباط بوجه من الوجوه أو بصورة من الصور - كما في الأمثلة التي ذكرها ففي كل كلمة من هذه الأمثلة بمجموعتيها : -

نوع من الارتباط بين أصواتها وبين الحدث المعبر عنه هذا من جهة ومن جهة أخرى نلاحظ أن معانى كل مجموعة منها معان متشابهة . بل متماثلة أحيانا - ويرجع هذا كما يرى أولمان الى أن أصحاب هذه اللغة قد نسجوا في توليد الكلمات على منوال واحد من حيث بدء هذه الكلمات بأصوات معينة هي : - SN - و - Sl ليدلوا بها على معان أو أحداث لها صفات متقاربة أو متشابهة تأكيدا للتقابل أو الارتباط بين الأصوات والمعانى أو المدلولات .

ومعانى المجموعة الأولى من اليسار الى اليمين :

- ١ - يصدر صوتا يشبه صوت الاستنشاق للتهكم والاحتقار .
- ٢ - يضحك مكتوما تهكما وسخرية .
- ٣ - يقص الثوب بالمقص بسرعة وفجأة .
- ٤ - يبكي بصوت يشبه صوت الأطفال في البكاء أو ما يعبر عنه بكلمة (يشهف) وقد يكون معناها أيضا سحب المخاط الى الداخل عند البكاء ، أو الفحمة في العبارة الدارجة .

أما معانى المجموعة الثانية بترتيبها من اليسار الى اليمين أيضا : -

١ - زلق ومنها زلق اللسان بمعنى Smouth tongued

٢ - زلق - بمعنى طريق زلق أو مزلق •

٣ - طين لزج •

٤ - زلق أو مزلق •

٥ - منحدر - أو - منحرج ٠٠٠,٠٠٠ (٤٩)

ونحن لانتقل ان فيرت أو أولمان ممن يؤمنون ايماناً قويا بالرمزية الصوتية لجرد انهم لمحا بعض الظواهر اللغوية الخاصة بلغتهم وقاموا بالتنبيه عليها أو عمل دراسات من حولها • علما بأن ماقالاه هنا له صلة ما بتلك القضية ولو في جانب من جوانبها وهو جانب الأوتوماتوبيا ، على حين أن ما قاله ابن جنى يعرض موضوعا آخر لا صلة له بتلك القضية - وهذا لايندى أن لابن جنى أعمالا تتصل بجانب الأتوماتوبيا أو تقليد أصوات الطبيعة •

ومعناه أيضا أن مثل هذه مناهج تتبع في البحث اللغوى وأنها ذات نفع وأن التفات ابن جنى الى مثلها دليل على اصالته في الدراسة اللغوية وتمكنه من اللغة العربية ••

ومعناه كذلك أن ابن جنى سبق المحدثين في بيان أن الدراسة اللغوية تقوم على الإحصاء والدراسة الدقيقة •

وكل هذا مفهوم من أعمال ابن جنى في هذا الباب الذى عرضناه •
انه قام بجراسة احصائية تتبع من خلالها ظاهرة لغوية جديده بأن تلقت النظر وتتبع تلك الظاهرة في مواطنها المختلفة وحالاتها المتعددة ثم أصدر حكمه امينا دقيقا فهو عالم أمين دقيق وما قام به بالنسبة له عمل يسير - وان ماعرضه ابن جنى يمثل ظاهرة لغوية شأنها شأن بقية ظواهر اللغة يعترئها شذوذ ولا تمثل اطرادا تاما •

(٤٩) اقرا دور الكلمة في اللغة د • كمال بشر ترجمة وتقديم وتعليق ط ١

١٩٦٢ صفحات ٨٧/٨٦/٨٥ ••

وكذلك الشأن في الاشتقاق الأصغر لا يمثل أطرادا مطلقا ٠٠٠ وذلك لأن
الشذوذ في الظواهر اللغوية مظهر طبيعي ٠٠٠ وأمر متوقع ٠

فإن شذ عن هذه الظاهرة ما يساوى الخمس أو السدس فهي أيضا ظاهرة
جديرة بأن تلفت النظر فكيف به وهو يكاد يساوق الاشتقاق الأصغر ويجاريه
الى المدى الأبعد ٠٠٠

٢ - وإذا كان ابن جنى يرى الشذوذ في الظواهر اللغوية أمرا طبيعيا
فمعنى ذلك من وجهة نظر بلومفيلد (BloomField) - أنه ليس من أصحاب
الرابطة الضرورية المنطقية وإنما حواذن من أصحاب التشديد (The Anomalists)
وقد وضع بلومفيلد الشذوذ في متابلة أصحاب الرابطة العقلية المنطقية -
ككيف إذن يعد من أصحاب الرمزية الصوتية ؟ ! ٠

أضف الى ما سبق أن ابن جنى يعرض لنا منهجا ، ولا يفرض علينا رأيا .
فهو يقول : وقد رسمت لك منه رسما فأحتذه وتقبله تخط به وتكثر من
اعظام هذه اللغة الكريمة من أجله ٠٠

ولا يغيب عن بالنا أن تلك كانت فترة التقعيد للغة واكتشاف أسرارها
ومحاولة الوصول الى خصائصها ٠٠ وقواعدها ٠

فابن جنى يعرض كشفا ويقدم منهجا ويبين امكانية الاستفادة منه
وأبعاد منفعة ٠٠٠ فهو يقول : ان ما قدمه يرفدك عند الحاجة - وأنت تستطيع
أن تسترفعه في بعض الحاجة اليه فيعينك وياخذ بيدك ٠٠٠

ويضرب على ذلك المثل باستعانة أبى على به - وكيف أنه كان يأخذ
بيده ويجعله يصدر أحكاما يقينية يفصل بها بين المتخاصمين والمختلئين
فيأتى بالقول الفصل - والخبر اليقين ٠

والمثل على ذلك لام (أنثية) - من جعلها على وزن أفعولة جعل
لامها واوا ٠ لقولهم : جاء يثفه - فيرجع بذلك الواو على الياء التي ساوتها
في يثفوه ويثفيه ٠

وأما من جعل لامها ياء فقد اجتمع به : (يثفيه) - ولأن وجود صورة
(يثفوه) مساوقة يثفيه جعل الأمر مشكلا . .

فقد قوى أبو على كون اللام واوا - وقال هي من الواو لا محاله (كيعدده)
لقولهم جاء (يثفه) فاستعان على لام ثفا بفاء وثف . اى بالتقلبات - اى عن
طريق الاشتقاق الأكبر .

ويضيف ابن جنى : وإنما ذلك لأنها مادة واحدة شكلت على صور مختلفة.
فكانها لفظة واحدة .

الدكتور صبحي الصالح وموقفه من القضية : -

ظاهر موقف الدكتور إبراهيم أنيس أنه ضد رأى ابن جنى وغيره من علماء العربية القتماء الذين يقولون بمبدأ الرمزية الصوتية على نحو ما رأى هو وإذا كان ابن جنى يستمد رأية من أقوال السابقين ولاسيما الخليل وسيبويه والجماعة فمعنى ذلك أن في الأمر خروج عما جاء في التراث ومعناه أن التراث في حاجة الى من يقف في صفه ٠٠٠٠ وقد اتخذ الدكتور صبحي الصالح هذا الموقف المدافع عن التراث فإذا كان الدكتور أنيس يرفض الرمزية الصوتية فالدكتور صبحي الصالح معها ٠٠ والرمزية الصوتية صائبة وعلى حق ٠٠ ولا يهم أن نتأكد من أن ابن جنى قال بها أو لم يقل .

وقد أعانه على ذلك أن جلال الدين السيوطي وهو عالم متأخر ٠٠٠٠٠ وقد عرض القضية على نحو ما مر تحت عنوان : المناسبة الطبيعية بين الألفاظ والمعاني ٠٠٠٠٠ وعرض من خلالها حشداً من أقوال العلماء تؤيد وجبة نظره ولاسيما وأنه صهرها في بوتقة توقيفية اللغة وأنها من عند الله سبحانه وتعالى ٠٠٠٠ فبدأ عرض القضية أمام القارئ وكان السابقين قد أطبقوا . على ثبوت المناسبة الطبيعية بين الألفاظ ومعانيها أى على مبدأ الرمزية الصوتية لذا فقد ثبت عند الدكتور صبحي الصالح أن ابن جنى على حق يؤيد ذلك ما جاء عند جلال الدين السيوطي من أقوال هذه الجمهرة من العلماء . .

ومن هنا يطالعك قوله الآتى : -

« فقد أكد هذا العالم الجليل المتأخر (يقصد السيوطي) إذن بعد استيعابه مؤلفات اللغويين السابقين التي فقد منها الكثير أن أهل اللغة بوجه عام العربية بوجه خاص قد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة الطبيعية بين الألفاظ والمعاني . وبذلك تلاقى مع ابن جنى على سعيد واحد فكان لابد لنا من الاقتناع بهذه الظاهرة اللغوية التي تعد فتحاً مبيناً في فقه اللغات عامة » (١) ويتسائل أى باحث هل التقاء جلال الدين السيوطي وهو باحث متأخر مع ابن جنى وهو باحث متقدم تكون نتيجته أنه لابد لنا من الاقتناع بهذه الظاهرة اللغوية ؟ ما المقدمات التي توصل الى أنه لا بد لنا من الاقتناع بهذه الظاهرة اللغوية ؟ .

(١) الدكتور صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة .

وعلى أى أساس يبني هذا الاقتناع ؟ وهل السيوطى كثرة تؤيد رأيا
تلتزم باحثا علميا بالاقتناع بها ؟ وما العمل إذا أمكن تفسير أعمال هؤلاء العلماء
تفسيرا مخالفا لهذا الفهم ؟ علما بأن ما قالته الكثرة لا يؤيد هذه الظاهرة .

هل مجرد اتفاق متأخر مع متقدم تكون نتيجته لزوم اقتناع الآخرين به ؟
ما العمل إذا ثبت أن جلال الدين السيوطى فهم ابن جنى فهما خاطئا ؟
إن جلال الدين السيوطى يبني رأيه انطلاقا من إيمانه بتوقيفية اللغة ؟ !!
وأبن جنى رأيه فى نشأة اللغة ليس مقصورا على توقيفية اللغة (٥٠)
فما طريق الاقتناع إذن ؟ وما العمل إذا كان جلال الدين فهم رأى هؤلاء
على النحو الذى أراد هو ؟ ! ومتى كان رأى الكثرة ملزما بالباحث بالاقتناع
به لاسيما فى مجال الظواهر اللغوية الخاصة للبحث والدرس .

وهل العدد الذى ذكره السيوطى يجعل الباحث يقول : إن أهل اللغة بوجه
عام والعربية بوجه خاص قد كادوا يطبقون ٠٠ ؟ ! فى ضوء الدراسة الإحصائية
الدقيقة نتساءل : كم عدد العلماء الذين ذكرهم السيوطى عبر العصور وقالوا
بهذه المناسبة ؟ وما عدد الكلمات التى ذكروا أن هناك مناسبة طبيعية بين
الفاظها ومعانيها ؟ ! وما العمل إذا أمكن توجيهها وجهة أخرى وكم تمثل نسبتها
النسبة بالنسبة لبقية مفردات اللغة ؟ على فرض أنها تمثل الوجبة التى نرى

ما موقف الباحث إذا كانت نسبتها أقل من واحد فى الألف بكثير ؟
وفوق ذلك ماذا يصنع الباحث إذا وجد أن المفردات التى جاءت عندهم
كامثلة تختلف دلالة بعضها عندهم وهذه شواهد ثابتة من الاستعمال
اللغوى عند كل واحد منهم . وما موقفنا من بقية المفردات اللغوية التى لم يثبت
أن بين الفاظها ومعانيها مناسبة وأنها تشكل خضم اللغة الأعظم وما
موقفنا من المشترك اللغوى ومن الترادف فى اللغة وهى ظواهر لغوية غالبية
فى العربية ؟ . .

وأخيرا لماذا يغيب عن بالنا حجة الأجهور وحجة كل من لم يروا بوجوب

المناسبة. منذ أفلاطون الى اليوم وهو أنه اذا ثبت ذلك لوجب أن يهتدى كل انسان لكل لغة اذا كان بين الانقاط ومعانيها مناسبة وهذا ما لم يمكن ولا يمكن أن يكون . ونتناول هذه النقاط بالبحث والتطيل ونبدأ بتوقيفية اللغة

١ - كون السيوطى يعرض القضية من خلال توقيفية اللغة فهناك نص قوله : « وأنكر الجمهور هذه المقالة وقال : لو ثبت ما قاله لاهتدى كل انسان الى كل لغة ولما صح وضع اللفظ للضدين ، كالقراء للحيض والطير ، والجنون للابيض والأسود - وأجابوا عن دليله بأن التخصيص بإرادة الواضع المختار خصوصا اذا قلنا : الواضع هو الله تعالى ، فان ذلك كتخصيصه وجود العالم بوقت دون وقت ، (٥١) . فهناك نص قوله : « الواضع هو الله تعالى ، أما قوله : :

الجمهور أنكر مقالة عباد الصيمرى ومقالة بعض من يرى رأيه خاصة عندما سئل عن مسمى اذغاغ - فقال أجند فيه يبيّن شديدا وأراه الحجر بقولهم : والا لاهتدى كل انسان الى كل لغة . . وهذا يبطله الواقع . . كما يبطله ما فى اللغة من تضاد وظواهر أخرى مشابهة .

وأجابوا عن دليله بأن التخصيص بإرادة الواضع المختار خصوصا اذا قلنا : الواضع هو الله تعالى

والقضية عند عباد الصيمرى ومن شايعه أو عند غيره يعرضها السيوطى من خلال نظرية توقيفية اللغة يقول :

« لكن الفرق بين مذهبهم ومذهب عباد أن عبادا يراها ذاتية موجبة بخلافهم ، وهذا كما تقول المعتزلة بمراعاة الأصلح فى أفعال الله تعالى وجوبا - وأهل السنة لا يقولون بذلك مع قولهم انه تعالى يفعل الأصلح لكن فضلا منه ومنا لا وجوبا ولو شاء لم يفعله » (٥٢) .

(٥١) السيوطى : المزهى فى علوم اللغة ج ١ ص ٤٧ .

(٥٢) السيوطى السابق ص ٤٧/٤٨ .

فكل ما عرضه السيوطي خاص بهذه القضية جاء من خلال وجهة نظر
القول بتوقيفية اللغة .

فعباد الصيمرى من المعتزلة ومن شايعه يرون أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة
طبيعية حاملة للواضع على أن يضع والا لكان تخصيص الاسم المعين ترجيحاً
من غير مرجح

وأنكر الجمهور هذا الرأى للأسباب المذكورة وأجاب الجمهور عن
دليله بشأن عدم تخصيص الاسم المعين بالسمى المعين بأنه ترجيح من غير
مرجح بأن التخصيص بأرادة الواضع المختار خصوصاً إذا قلنا أن الواضع
هو الله تعالى وأن ذلك كتخصيصه وجود العالم في وقت دون وقت
فالمعتزلة وأهل السنة معا يرون بأن اللغة توقيفية والخلاف : أن المعتزلة يرون
بوجود مناسبة طبيعية بين الفاظ اللغة ومدلولاتها .

وأما أهل السنة فلا يقولون بذلك مع أن الله هو واضع اللغة ولكنه لم
يوجد المناسبة مع أن المناسبة هي الأصلح لأن الله يفعل الأطح فضلاً منه لأجوباً
عليه ولو شاء لم يفعله : وماك هو النص وقد سبق أيضاً « وهكذا كما تقول
المعتزلة بمراعاة الأصلح في أفعال الله تعالى وجوباً ، وأهل السنة لا يقولون
بذلك مع قلوهم أنه تعالى يفعل الأصلح لكن فضلاً منه ومنا لا وجوباً ولو شاء
لم يفعله » (٥٣) .

أما رأى ابن جنى في نشأة اللغة فهو لم يقل بالتوقيفية فحسب ، وماك
ما قاله ابن جنى في نشأة اللغة :

ابن جنى ورأيه فى نشأة اللغة

رأى ابن جنى واضح فى نشأة اللغة .

فهو يؤمن بنظرية التوقيف - كما يؤمن بنظرية المواضعة والاصلاح .
وهو مع هذا يرى ان نظرية المحاكاة لاصوات الطبيعة لها مكانها فى
نشأة اللغة وتفسيره فى قبوله لهذه النظريات الثلاث متكامل .

مقد أوضح رأيه فى : (القول على أصل اللغة الهام هى أم اصطلاح (٥٤)
فى تحليل علمى جلى انتهى فيه الى ان اللغة اصطلاح وتوقيف معا .

ويبين فى باب آخر تحت عنوان (فى هذه اللغة - فى وقت واحد وضعت
أم تلاحق تابع منها بفارط (٥٥) بين فيه أن اللغة وقعت على دفعات وأن كل
دفعه او طبقة منها كانت مشتملة على أنواع الكلام من أسماء وأفعال
وحروف / ومما جاء على لسانه فى « باب فى هذه اللغة » قوله : « تد
تقدم فى أول الكتاب القول على اللغة : اتواضع هى أم الهام ؟

وحكىنا وجوزنا فيها الامرين جميعا (٥٦) وكيف تصرفت الحال ، وعلى
أى الامرين كان ابتدأها ، فانها لابد أنه يكون وقع فى أول الأمر بعضها ،
ثم احتيج فيما بعد الى الزيارة عليه ، لحضور الداعى اليه مزيد فيها شيئا
فشيئا ، الا أنه على قياس ما كان سبق منها فى حروفه وتأليفه وإعرايه المبين
عن معانيه لا يخالف الثانى الأول والثالث الثانى ، كذلك متصلا متتابعاً ، (٥٧)

ثم يقول :

« اعلم أن أبا على - رحمه الله - كان يذهب إلى أن هذه اللغة - أعنى
ما سبق منها ثم لحق به ما بعده - إنما وقع كل صدر منها فى زمان واحد -

(٥٤) الخصائص الجزء الأول ص ٤٠ وما بعدما .

(٥٥) الخصائص ح ٢ ص ٢٨ .

(٥٦) رأيه فى هذه القضية واضح فهو يأخذ بالرايين - ويقول : « وإن
خطر خاطر فيما بعد يعلق الكف بأحد الجهتين ويكفها عن صاحبتهما قلنا به
ح ١ ص ٤٧ .

(٥٧) ح ٢ ص ٢٨ .

وان كان تقدم شيء منها على صاحبه ، فليس بواجب ان يكون المتقدم على الفعل الاسم ، ولا ان يكون المتقدم على الحرف الفعل ، (٥٨) .

وبعد ان ينسهب في توضيح هذه الفكرة مشيراً فيها الى ما ذهب اليه العلماء من أمثال الزجاج وأبى بكر محمد بن السرى السراج ... ينتهى في نهاية الباب الى تلخيص فكرته بخصوصها على النحو الآتى : حيث يقول :

« فقد علمت بما قدمناه وعضبنا (٥٩) فيه قوة تداخل الأصول الثلاثة الاسم والفعل والحرف وتمازجها ، وتقدم بعضها على بعض تارة وتأخرها عنه أخرى ، فلهذا ذهب أبو على رحمه الله - الى أن هذه اللغة وقعت طبقة واحدة كالرقم تصنعه على المرقوم ، والميسم يباشر به صفحة الموسوم ، ولا يحكم لشيء منه بتقدم في الزمان وان اختلفت بما فيه من الصنعة القوة والضعف في الأحوال ، وقد كثر اشتقاق الأفعال من الأصوات الجارية مجرى الحروف ، نحو : هاميت ، وحاحيت ، وعاعيت وجاجأت ، وحاحات وساسأت وشاسأت وهذا أكثر في الزجر (٦٠) وقد كانت حضرتنى وقتا فيه نشطة فكتبت تفسير كثير من هذه الحروف في كتاب ثابت في الزجر ، فاطلبها في جملة ما اثبتته عن نفسى في هذا وغيره » (٦١) .

فراى ابن جنى في نشأة اللغة واضح فهو يرى جانب التوقيف والالهام ولا يرضه ، كما أنه يذهب الى أن اللغة اصطلاح وتواضع كما أنه يقر رأى من يرى أن أصل اللغات من الاصوات المسموعات ونصه السابق ليس ببعيد كما أنه يقول أيضا : « وذهب بعضهم الى أن أصل اللغات كلها انما هو من

(٥٨) السابق ح ٢ من ص ٣٠ .

(٥٩) عضبنا أى أفضنا في الحديث فيه .

(٦٠) كلمات في زجر الحيوان ، هذه الكلمات في زجر الحيوان ولكنها مع ذلك تحتاج الى تعليق ليعرف المقصود منها وقد تركتها دون شرح - على أمل أن يهتدى القارئ الى معناها وهو يقرؤها حتى بعد أن يتأملها ويفكر فيها وذلك لأن بينها وبين معانيها مناسبة طبيعية والتخصيص بأرادة الواضع وقد وضع لكل ما يناسبه - وأن لم يهتد فمعناه أنها تخضع لعرف الجماعة اللغوية ولما تعارفت واصطلحت عليه ... ، ...

(٦١) الخصائص (السابق) ح ١ .

الأصوات المسموعات - كدوى الريح ، وحنين الرعد وخرير الماء ، وشحيع الحمار ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس ونزيب الطي ، ونحو ذلك ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد - ثم يضيف معتقبا :

« وهذا عندي وجه صالح ومذهب مقبول » (٦٢) .

ثم هو يضيف هنا فيما سبق أن اشتقاق الأفعال من الأصوات الجارية مجرى الحروف نحو هاءيت ... الخ مصدر من مصادر نمو اللغة - فرأى ابن جنى في نشأة اللغة لا يقتصر على التوقيف ونظرية التوقيف هي التي حصرت القائلين بها داخل فكرة المناسبة الطبيعية بين الألفاظ ومعانيها ...

فالذين يذهبون الى وجود المناسبة الطبيعية بين الألفاظ ومعانيها انما هم الذين يؤمنون بنظرية التوقيف - وبأن اللغة توقيف والهام ويرفضون ما عدا ذلك من نظريات على نحو ما هو موجود منذ اليونان ومرورا بعلماء المسلمين (٦٣) وانتفاء بما قاله العلماء في مطلع النهضة الحديثة . ولكن المعتزلة دون أصل السنة هم الذين يقولون بالمناسبة الطبيعية بين الألفاظ ومعانيها - وأما أصل السنة فهم يقولون بتوقيفية اللغة ولا يخصصونها بالمناسبة الطبيعية بين الألفاظ ومعانيها ...

وحتى مطلع العصر الحديث ظلت المعضلة تدور حول السؤال الآتى :
أبامكان الألفاظ أن تحمل تمام الدلالة على المعانى الداخلية أم أنها تقتصر عن تصريف كل ما في الوجدان ؟ (٦٤) .

وهكذا كان البحث عن العلاقة بين اللفظ وماهية الشيء .. ثم تطور خطوة بعد وانحصر البحث عن العلاقة بين اللغة ومواجيد الباطن .

(٦٢) الخصائص (السابق) ٤٥/٤٤/١ .

(٦٣) اقرأ ما كتبه الدكتور عبد السلام المسدي من نظريات بخصوص هذا الموضوع عند علماء المسلمين في كتابه : التفكير اللساني في الحضارة العربية .

(٦٤) اقرأ كتاب : في فلسفة اللغة - كمال يوسف الحاج . دار النهار للنشر .

فانتقلت من البحث في أصول الشيء الى البحث في أصول الوجدان ٠٠،٠٠
وهكذا الى آخره على نحو ما مر ٠٠،٠٠

أما ابن جنى فلم يقل بتوقيفية اللغة فحسب وإنما قال بالمواضعة أيضا
والاصطلاح على نحو ما قال كان يجتمع ٠٠،٠٠٠ الى آخره وإذا قال
بالمواضعة انعدمت المناسبة أو هي في أقصى حالاتها ترجع الى اتفاق أصحاب
اللغة ٠٠،٠٠٠ حسب كل زمان وكل مكان .

ونصه : « فقد علمت بما قدمناه وعضينا فيه قوة تداخل الأصول الثلاثة
الاسم والفعل والحرف وتمازجها ٠٠

وتقدم بعضها على بعض تارة وتأخرها عنه أخرى ، فلهذا ذهب أبو علي
رحمه الله : الى أن هذه اللغة وقعت طبقة واحدة كالرقم تضعه على المرقوم
والميسم يباشر به صفحة الموسوم ٠٠،٠٠

ثم هو يقول أيضا باشتقاق الأفعال من الأصول الجارية مجرى الحروف
نحو جاهيت وحاحيت وعاعيت وجأجات وحأحات وسأسات وشأسات ٠٠،٠٠
مما هو في زجر الحيوان وهذا أيضا مواضعة باتفاق واصطلاح باختلاف كل
جماعة وفق ما تتعارف عليه ٠٠،٠٠٠

كما أنه يرى رأى من قالوا بأن أصل اللغات إنما هو من الأصوات
المسموعات كدوى الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب
وصهيل الفرس ونزيب الظبي ٠٠،٠٠٠

يقول وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل ٠٠،٠٠٠
وهذا ما يعرف في الدرس اللغوي بتقليد أصوات الطبيعة أو «الأنوموتابيا» ٠٠
وقد سبق توضيح للرأى فيه ٠٠

وأنه يختلف من جماعة لغوية الى أخرى ٠٠
ومن هنا يتبين اختلاف رأى ابن جنى في نشأة اللغة عن رأى السيوطى ٠٠،٠٠

اذن فكيف نتقبل قول الدكتور : « وبذلك تلاقى مع ابن جنى على صعيد واحد ، فكان لابد لنا من الاقتناع بهذه الظاهرة اللغوية التي تعد فتحا مبينا في فقه اللغات عامة » . . .

ولنصرف النظر مؤقتا عن قوله بأن ابن جنى التقى مع جلال الدين السيوطي فلما عوده الى هذه ولكن لنا أن نتساءل :

كيف يعد ذلك فتحا مبينا في فقه اللغات بصفة عامة ؟

هل ستصير اللغات كلها لغة واحدة بهذا الفتح المبين ؟

هل يستطيع كل واحد بعد هذا الفتح المبين أن يدرك كل اللغات من ألفاظها ؟!

هل اللفظ بعد هذا الفتح سينطلق الى كنه الشيء وذاته ليدل عليه ويشير الى ماهيته وبذلك تدلنا الأسماء على المسميات والألفاظ على مدلولاتها ، وتدلنا الكلمات على اللغات بهذا الفتح والكشف المبين ؟! . . . وهل ستدلنا ألفاظ اللغة على مواجيد الباطن . . . وأصول الوجدان .

ويصرف النظر عن الحكم الذي يصدره الدكتور صبحي الصالح على ابن جنى من خلال أقوال وأعمال جلال الدين السيوطي وآرائه . حيث يقول :

« على أن ابن جنى يظل رائد اللغويين القدامى الذين لاحظوا هذه الظاهرة ، وقرروها » (٦٥) فكيف يكون ابن جنى رائدا وهو يردد أقوال غيره (٦٦) . فابن جنى يأخذ عن أبي علي وعن أبي بكر بن السراج وعن الخليل وسيبويه والجماعة والأصمعي وابن دريد . . . الخ وينص على ذلك صراحة ولا ينسب لنفسه ريافة ؟ !

كما أن الدكتور صبحي الصالح يضع انكار الجمهور في هذه القضية موضعا غريباً ، ثم هو يبرره بمنطق أكثر غرابة حيث يقول :

-
- (٦٥) دراسات في فقه اللغة السابق ص ١٥١ .
(٦٦) هذا بالإضافة لما سبق اقرأ من ص

و قد أشكل على بعض الباحثين انكار الجمهور مقالة غباد لما عرفنا
أنفاً من أن الجماعة كما ينص ابن جنى - تلقت هذا المذهب بالقبول ، (٦٧)
فهذا كلام ينتقض أوله آخره ٠٠٠٠٠

ونسأله : من هؤلاء الباحثون ؟ • وكيف أشكل عليهم وموقفهم ؟ •
- أما أن الجماعة تلقت هذا المذهب بالقبول كما ينص ابن جنى فذلك
قضية أخرى الرأى فيها غير ما يرى • (٦٨) انه يتكلم عن جماعة اللغويين
السابقين والذين جاء ذكرهم عند جلال الدين السيوطى وستأتى مناقشة أقوالهم
أما جمهور أهل أصول الفقه ولاسيما من أهل السنة فقد رفضوا مقالة
على نحو ما هو ثابت في نص السيوطى نفسه ٠٠٠٠٠

ويعيننا أن نقرر هنا أن الباحثين المحدثين فهموا أقوال العلماء القدماء من
خلال فكر جلال الدين السيوطى وبوجهة نظر خاصة بكل واحد ثم راحوا
يلزمون القدماء بآرائهم والشئ الإهم أن غيرهم سار في ذلكهم فاعمالهم منشورة
على الناس ٠٠

وفات على الدارسين والباحثين من المحدثين ما صنعه علماء العربية القدماء.
من نظريات علمية عميقة أفاد منها الغربيون المحدثون وبنوا عليها نظرياتهم
وأراءهم في الدراسات اللغوية الحديثة على حين أنه قد ضاع بسببه
الانحناء العاطفى عند علمائنا المحدثين نظريات علماء العربية القدماء وضاع
بسببه الطريق الصحيح في البحث وفي تناول الموضوعات •

فالدكتور صبحى الصالح مدفوع بقوة شديدة نحو الإيمان بالعلاقة
الطبيعية بين الألفاظ ومدلولاتها ٠٠

والسبب في ذلك جلال الدين السيوطى وما عرضه مفصلاً في كتابه المزعوم
فعلى نحو ما جاء عند ابن جنى في موضوعه السابق أسماء لبعض الأصوات.

(٦٧) دراسات في فقه اللغة (السابق) ١٥١/١٥٠ •

(٦٨) اقرأ ذلك مفصلاً ص

نوما قاله العلماء السابقون بخصوصها أخذ الدكتور صبحي الصالح من هذا منطلقا وراح يقول :

« ونحن لانحتاج الى كبير عناء حتى نلمح العلاقة الطبيعية بين الألفاظ الموضوعية لمحاكاة الأصوات التي تصدر من الحيوانات فالمصغور ينفقزق ، والحمام يهدل ، والقمرى يسجع ، والهرة تمؤ ، والكلب ينبج والعجل يحوز ، والذئب يعوى .. وأنت اذا قابلت مصادر هذه الأفعال : الزقزقة ، الهديل ، السجع ، المواء ، النباح ، الخوار ، العواء بالأصوات التي تسمعها من الحيوانات أيقنت بأنها تقارب كثيرا أصول تلك الأصوات ، وقيل مثل ذلك في هزيم الرعد ، وحسيس النار ، وخريز الماء ، في حكاية أصوات الطبيعة ، وفي شقيق الباكي وتأوه المتوجع ، وحشجة المحتضر ، ورنين المريض ، وكرير المختنق ، وتمتمة الجائر ، وغمغمة الغامض ، في حكاية الأصوات المعبرة عن الانفعالات الانسانية المختلفة .

- وفي قد القميص ، وقط القلم ، وقطف الثمرة وقطع النصف ، وقضم الثياب وقطع العود ، وفري الدم ، وفرت البطن ، وفرج الباب ، وفرس العنق ، وفرص الغضة ، وفرض الخشبة ، وفرع الرأس في حكاية الأصوات الصادرة عن القطع ، (٦٩) .

وقيل أن نستطرد نسأل الدكتور :

- اذا كانت العلاقة لا تحتاج الى كبير عناء حتى نلمحها بين الألفاظ وما وضعت له .

هل أهل اللغات الأخرى لا يحتاجون الى كبير عناء حتى يلمحوا هذه العلاقة بين هذه الألفاظ ومطلولاتها في لغتنا ؟

بل هل غير المتخصصين من أبناء اللغة العربية لا يحتاجون الى كبير عناء حتى يلمحوا هم أيضا أو هل هم يستطيعون أن يرددوها دون أن يتعلموها؟
أو قبل أن يتعلموها .. ؟ !

(٦٩) دراسات في فقه اللغة ص ١٥٢ .

و هل معنى ذلك عندك أن هذه الألفاظ بنفسها في اللغات الأخرى ؟ ١
أو أنها خاصة بالعربية ، وأن لكل لغة ما يماثلها من هذا ...

المعروف لدى العلماء المحققين وعلماء الأنثروبولوجيا وغيرهم .. أن لكل
جماعة ما تعارفت عليه مما هو خاص بها في لغتها وهذا أمر واقع تقره البحوث
الميدانية والدراسات اللغوية التجريبية .. ، والأمر أهون بكثير مما
نتصور ...

وعلى نحو ما وقف الدكتور صبحي الصالح يؤيد قضية الرمزية الصوتية
وقف الأستاذ محمد المبارك .

يقول الأستاذ محمد المبارك تحت عنوان : «القيمة التعبيرية للحرف
الواحد في العربية» ٧٠٨ .

• ان مباحث ابن جنى ورأيه في المقابلة بين الخاصة الصوتية للحروف
التي تتألف منها الألفاظ ودلالاتها تشير الى وظيفة الحرف المعنوية وان كان
ابن جنى لم يخرج من مباحثه وشواهد بهذه النتيجة الصريحة الواضحة، (٧١)
أما أن ابن جنى لم يخرج من مباحثه وشواهد بهذه النتيجة الصريحة
الواضحة فهذه هي الحقيقة، وأما أن ابن جنى تحمل تبعه استنتاج غيره فهذا
لاشك فيه ..

ومع ذلك فهو أيضا يثبت الرمزية الصوتية لابن جنى .

ثم هو يقول :

• ان هذه الفكرة التي تجلت عند ابن جنى أوحى الى بعض الباحثين في
العصر الحديث بنظرية (القيمة التعبيرية أو البيانية للحرف في الألفاظ

(٧٠) السابق ص ١٠١ .

(٧١) السابق ص ١٠١ .

العربية) ، (٧٢) أى أن منبعث هذه القضية في العصر الحديث ابنُ جنِّي وإن استنتاجات بعض الباحثين المحدثين استوحوا من ابن جنى وليست صريحة عنده وأن قصة القيمة التعبيرية أو البيانية للحرف في اللغة العربية من عمل الباحثين المحدثين .

فهذا أيضا لاشك فيه . .

ثم ينتقل بعد ذلك ليقدم ما استوحاه واستنتجه في هذا الصدد فيقول :
« ولنقدم بعض ما جمعناه من الأمثلة على ذلك، قبل البحث وإبداء الرأي فيها » (٧٣) .

ثم يعرض ما جاء عنده على النحو الآتي يقول :
(١) حرف الغين (غ) في المواد التالية وما يتبعها ويشترك منها يدل على الاستتار والغيبة والخفاء :

غاب غار غاض غال غام

غمم غمر غمز غمض غمص غمط

غرب غرز غرس غرف غرق غرم

غلق غلف غل

غفر غفا

غبش غبر غبن غبى

غش غشى غط غطى (٧٤) .

أين حرف الغين في الاستتار والخفاء .

وقد ناقشنا هذه القضية في القسم الثاني (٧٥) - ونقول هنا مؤقتا ليس حرف الغين هو الذى أعطى المعنى ، وإنما الكلمة مجتمعة هي التى تعطى المعنى . . ولكن هناك قوانين ونظريات خاصة بهذه الظاهرة - وقد أوضحنا ما في مكانها من هذا الكتاب (٧٦) .

(٧٢) السابق ص ١٠٣ .

(٧٣) السابق ص ١٠٣ .

(٧٤) السابق ص ١٠٤ .

(٧٥) أنظر القسم الثاني من هذا الكتاب .

(٧٦) أنظر القسم الثاني من هذا الكتاب .

ثم يأتى بعد قوله السابق نص قوله الآتى :

(٢) حرف النون (ن) فى المجموعات والمواد التالية وتدل على الظبور
والجور

نفث نفخ وأخواتها (النون وما يثلاثهما) -

نبت نبث نبذ وأخواتها

نزر نزرع وأخواتها

نجم نشأ نما نطق نفض (٧٧) •

ويعلم المتخصصون أن حرف النون لم يعط الدلالة وإنما الذى أعطى الدلالة
هى حروف الكلمة مجتمعة ولكل كلمة دلالتها - ودلالة كل كلمة مختلفة عن
دلالة الأخرى ••

وان تلمست فى جميع الكلمات معنى جامعا فذاك جاء وفق قوانين ذكرنا
فيما بعد منها قانون المشابهة مثلا (٧٨) •

ثم هو يقول :

(٣) حرف القاف (ق) فى الأصول والمجموعات التالية وكلها تتضمن معنى
الاصطدام أو الانفصال وتقترب بحدوث صوت شديد تصوره القاف فى شدتها :

قد وقطع وأخواتها

قرع قرف وأخواتها

دق شق طق عق طرق فرق عقر رطم •

ثم يضيف : -

(٤) السين (س) ويتضمن كثيرا من الأصول التى تدخل فيها معنى
الليونة والسهولة :

سهل سلم سل سلس سال سار ساب ساج ساق •

(٧٧) السابق ص ١٠٤

(٨٧) اقرأ صفحات من هذا الكتاب وقرأ بقية القوانين •

• من مأس ملس سحب سما سعد سكن •

بسم نسم سلف سعى (٧٩) •

ثم هو يصل الى الآتى حيث يتول :

« فهل لنا أن نستنتج من هذه الأمثلة وأشباهها أن للحرف الواحد في تركيب الكلمة العربية قيمة تعبيرية ، وان الكلمة الثلاثية تعبر عن معنى هو ملتقى معانى حروفها الثلاثة ونتيجة تمازجها كأن تقول مثلا أن (غرق) يحصل معناها من تلاقى معانى حروفها فالغين تدل على غيبة الجسم في الماء والراء تدل على التكرار والاستمرار في سقوطه - والقاف تدل على اصطدام الجسم في قعر الماء - والمعنى الاجمالى الحاصل من اجتماع المعانى الجزئية للحرف هو مفهوم مادة غرق » (٨٠) •

وهكذا ينتهى به الامر الى مثل هذا التحليل ••

ثم يعقب ما سبق بقوله الآتى :

« لا شك أن في العربية خصيصة تبهر الناظرين وتلفت نظر الباحثين ، وهى تقابل الاصوات والمعانى في تركيب الالفاظ وأثر الحروف في تقوية المعنى أو اضعافه والانسجام بين أصوات الحروف التى تتركب منها الالفاظ ودلالاتها

وهذا مما يدعونا الى استقراء هذا البحث وتحرى دلالات الحروف •
ولكننا نرى أن الأمثلة التى تقدمناها والتى قدمها الباحثون في هذا الباب لاتكفى لاستنتاج قانون عام يشمل الفاظ العربية كلها ولكنه طريق ينبغى أن يشق وباب يجب أن يفتح ولا ريب عندى أن متابعة التحرى والبحث في هذا الاتجاه ستؤدى الى نتائج عظيمة في تاريخ الكلم العربى ونظرات عميقة في تركيبها » (٨١) •

أما الأستاذ محمد الأنطاكى صاحب الوجيز في فقه اللغة فقد تعرض لهذه القضية وانتهى وهو بصدد تسلسله فيها الى أن الخليل بن أحمد وسيبويه وابن جنى من أوائل علماء العربية الذين اعتنقوا هذا القضية •••••

(٧٩) السابق ص ١٠٤

• (٨٠) السابق

• (٨١) السابق

يقول « ان أول من أشار إلى هذه المناسبة بين الألفاظ ومدلولاتها من علماء العربية هو الخليل بن أحمد الفراهيدي ثم تلميذه سيبويه » - وأتى بعد ذلك بالنص الآتي : « يقول ابن جنى أعلم أن هذا موضع شريف لطيف وقد نبه عليه الخليل وسيبويه وتلقته الجماعة بالقبول والاعتراف بصحته » (٨٢) ... إلى آخره .. واعتبر كلمة صر وصرصر هي نظرية المناسبة الطبيعية بين الألفاظ ومعانيها ، وإن ابن جنى بنى على هذه النظرية صرح المناسبة الطبيعية بين اللفظ والمعنى .. ومن ثم عقب على قوله السابق بقوله الآتي :

« وقد تحمس ابن جنى لهذه النظرية حماساً بالغة فعقد في كتابه الخصائص ثلاثة أبواب تنطلي كل أفكارها من مبدأ واحد وهو أن أصواتاً معينة تدل على معان معينة - وأن بين ترتيب الأصوات ومراحل ما تدل عليه أن كان ما تدل عليه حدثاً مناسبة طبيعية ظاهرة وقد سمى الباب الأول الاشتقاق الأكبر - وسمى الثاني : تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني - ودعا الثالث أساس الألفاظ أشباه المعاني » (٨٣) .

ثم أخذ على حد عبارته يلخص ما جاء في هذه الأبواب من وجهة نظره متأثراً بما جاء عند الدارسين السابقين عليه ..

وهكذا صارت القضية من المسلمات وصار ابن جنى من المتحمسين لها وصار الخليل وسبويه من معتنقيها - ومن هنا فهو يشطر الباحثين المحدثين شطرين ، كافر بها صاد عنها ومؤمن بها مدافع عنها يقول :

« وفي العصر الحاضر ذهب مذهب الخليل وسيبويه وابن جنى طائفة من علماء العربية نذكر منهم على سبيل المثال (٨٤) لا الحصر الأستاذ محمد المبارك ، والدكتور صبحي الضالع - وآل مرمرجى الدومنيكي ، وحرجي زيدان ، وخير الدين الأسدي .

وهكذا استقر القرار على أن الرمزية الصوتية أو المناسبة الطبيعية بين.

(٨٢) الوجيز في فقه اللغة ط ٣ ص ٣٦٦ -

(٨٣) السابق ص ٣٧٠ .

(٨٤) السابق ص ٣٧٢ .

اللفظ والمعنى مبدا علماء المسلمين في القديم وهذا ظلم للتراث وأنها مبدا غالبية المحدثين وهم الذين اتبعوا طريق القدماء، وأما الآخرون من المحدثين الذين حادوا عن الطريق فقد اتبعوا طريق الغرب طريق الضلال ..

وأنظر نص قوله : « وفي العصر الحاضر ذهب مذهب الخليل وسيبويه وابن جنى » وهكذا ثبتت هذه التهمة بهؤلاء العلماء وضاعت نظرات ابن جنى ونظرياته ..

والأكثر من ذلك أنه صار من الواجب على من يريد أن يتبع الصواب من المحدثين أن يسير في هذا الطريق منمض العينين وهكذا ضيعوا على العلماء السابقين سبقهم ونظرياتهم وأغلقت عقول الدارسين على أوهام تضر ولا تنفع ..

وهذا ما تتداوله الكتب ويلقنه الشباب في قاعات الدرس .. وعلى الدارسين أن يغلقوا عقولهم ويحصرُوا فكرهم في هذا دون أن يحددوا عنه .. وأن عرفوا غيره فليرفضوه لأنه خارج عما تقبلته الجماعة ..

وأنظر معي مدى الحيرة والاضطراب التي يمكن أن يكون عليها الشباب إزاء مثل هذه المواقف التي يقدم من خلالها العلم على هذه الصورة ..

نظريات علمية رائدة في التراث تخفى ولا يعرف أبناؤنا عنها شيئا .. ويأخذها الغرب عنا ونغلق أنفامنا دونها ونكتفى بضحالة لا تقدم للغة شيئا ..

ونستكمل بقية ما جاء عند الأستاذ الأنطاكي حيث يقول: « وكان من نتيجة الاستقراء الواسع نسبيا الذي قام به هؤلاء الباحثون أن كشفوا عن ظواهر في العربية غريبة لافتة للنظر لا يستطيع الباحث أن يمر بها من غير أن يقف عندها ويتساءل ، فمن ذلك أنهم وجدوا أن صوت الغين إذا جاء في أول الثلاثي العربي دل على الغموض والاستتار مثل : غاب - غار - غاص - غام - غمض - غمر .. إلى آخر ما سبق أن مر عند الأساذ المبارك ..

ثم يأتي بعد ذلك عنده مباشرة قوله :

« بَلْ أَنْ بَعْضُهُمْ زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ : أَنْ هَذِهِ الْأَصْوَاتُ تَدْخُلُ عَلَى مَعَانِيهَا
مِمَّا يَكُنْ مَوْضِعَهَا مِنَ الثَّلَاثِ وَعَلَى هَذَا مَضُوا يَتَأَمَّلُونَ الثَّلَاثِيَّاتِ الْعَرَبِيَّةَ
كَمَا فَعَلَ ابْنُ جَنَى مِنْ قَبْلِهِمْ فِي فِعْلِ (بَحْث) فَقَالُوا فِي غَرْفٍ : أَنْ الْغَيْنُ تَدْخُلُ
عَلَى الْغَمُوضِ وَهِيَ بِذَلِكَ تَنَاسَبَ أَوَّلَ مَرَّةٍ مِنْ مَرَاكِزِ حَدَثِ (الْغَرْفِ) عِنْدَمَا
يَغْيبُ الْغَارِفُ يَدَهُ أَوْ مَعْرِفَتَهُ فِي السَّائِلِ وَأَنْ الرَّاءُ تَدْخُلُ عَلَى الْحَرَكَةِ وَهِيَ تَنَاسَبُ
الْمَرَّةَ الثَّانِيَةَ مِنَ الْحَدَثِ عِنْدَمَا يَحْرُكُ الْغَارِفُ مَعْرِفَتَهُ فِي السَّائِلِ قَبْلَ أَنْ يَرْفَعَهُ ،
وَأَنْ الْفَاءُ تَدْخُلُ عَلَى الظُّبُورِ وَالْإِنْفِتَاحِ وَالْفَصْلِ ، وَهَذَا يَنَاسَبُ آخَرَ مَرَاكِزِ الْحَدَثِ
عِنْدَمَا يَرْفَعُ الْغَارِفُ مَعْرِفَتَهُ فَيَفْصِلُهَا عَنِ السَّائِلِ وَيُظْهِرُهَا بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُسْتَقَرَّةً ،
ثُمَّ يَمُتَلِقُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْهَامِشِ عَلَى هَذَا التَّحْلِيلِ يَقُولُ : « هَذَا التَّحْلِيلُ لِفِعْلِ
غَرْفٍ حَدَّثَنِيهِ الْأَسْتَاذُ نَاصِرُ الدِّينِ مِنْ بَلَدَةِ كَنْزِ تَخَارِيمِ (بِالْمِيمِ وَلَيْسَ بِالْفَاءِ)
مِنْ أَعْمَالِ حَلَبٍ وَهُوَ أَحَدُ الْمُتَمَيِّزِينَ بِالْإِدْرَاسَاتِ اللُّغَوِيَّةِ وَمِنْ أَكْثَرِ الْمُتَحَمِّسِينَ
لِنَظَرِيَّةِ التَّنَاسُبِ بَيْنَ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى » .

ويسطيع القارئ أن يتصور ما يكون عليه حال شباب الأمة الذين ننتظر
عنهم أن يسبقوا العصر وأن يدركوا ما عليه الأمم الأخرى من تقدم في العلوم
ولاسيما العلوم اللغوية بصفة خاصة التي لها اليوم من النظريات المتنوعة ما نناق
الوصف وأن بذور هذه النظريات في تراثنا وقد كان علماءنا من قبل روادا
وقدوة ولكن هذا هو القدر « فخلف من بعدهم خلف » .

وأكثر من ذلك عندما تطالع ما جاء عند الأستاذ الأنطاكي بعد القول
السابق مباشرة حيث يقول : « وأسرف بعضهم في هذا اسرافا زائدا أخرجهم من
دائرة البحث العلمي المبني على الحقائق إلى دائرة الخرافة المبينة على
الأوهام » (٨٧) .

وندع القارئ يخبر ويحكم ، ما مدى ما يحس به الدارسون من شباب
الأمة أصحاب العقول المتفتحة من تناقض ؟ !

(٨٦) السابق ص ٣٧٢ .

(٨٧) السابق ص ٣٧٣ / ٣٧٤ .

من أين يسبى هؤلاء على مذهب البيلف. الراسخين في العلم، وكيف يصلون
الى دائرة الخرافة المبنية على الاوهام ، ؟ ١٠٠

لاسيما وأن الأستاذ يعود فيعمق التناقض وذلك عندما يعرض مجموعة
من الآراء متناقضة حول هذه القضية .

فهو مثلا يعرض رأى فندريس ، وقد تعجب وما دخل فندريس اللغوى
الفرنسى باللغة العربية وخصائصها وفندريس ليس من المستشرقين ولا من
الدارسين للعربية . ولم يأت بمثل واحد من العربية ،،،،،

فهو يقول ان فندريس يرفض هذه الفكرة واقرا نص قوله : « ومع ذلك
يُضِر بعض اللغويين على نفي العلاقة بين اللفظ ومعلوله يقول فندريس : من
الحق أن نحكم بوجود علاقة ضرورية بين الحرفين (FL - ف ل مجتمعين
وبين فكرة السيلان ..

ويظل بعد ذلك يقم طائفة من الرافضين المحدثين في الغرب ومن المؤيدين
ثم ينتهى الى الآتى : « وهكذا نرى أن المشكلة لا تزال بغير حل انها ككل
المشكلات الانسانية الكبرى .. لا تقبل الحل النهائي ، انها حيرت عقول
المفكرين منذ قرون سحيقة ولا تزال تحيرها حتى الآن وستظل تحيرها الى ما شاء
الله ، (٨٨) ..

وفتساءل : هل هناك مشكلة في مجال البحث العلمى لا تقبل حلا ؟
ولا يتوصل فيها الى حل أين يكون الحل اذن ان لم يحلها الباحثون المتخصصون ؟!

أحد الفريقين على حق .

ان كنت رأيت أن هذا رأى السلف من علماء الأمة الراسخين في العلم فلماذا
التردد ؟ وتملا عقول الشباب بالحيرة وهم على حق وغيرهم على باطل ؟ -

ان ما قاله السلف من علماء الأمة يجب أن يفهم على وجبة الصواب .

(٨٨) السابق ص ٣٨٢ .

ويطالبك باحث آخر، يعمق التناقض ويحول القضية الى نزعة قومية
ومن ليس معنا فهو علينا. . .

ويعمق الدكتور عبد الكريم مجاهد آراء الأستاذ الأنطاكي ويشطر الباحثين
شطرين :

ويدهشك أنه يدخل الغربيين فيها وماهم بهمستشرقين ولا دارسين للعربية
وانما أمثلتهم من لغاتهم وأعمالهم خاصة بهم وفي لغات غير العربية . . . فيدخل
همبلت ومديج وويتنى . . .

واليك مثلاً بعض ما قاله :

« وتصريح همبلت بأن هذه العلاقة على مر الأيام قد تخفنى وبالتالي
قد يأتى عليها يوم تبدو فيه غامضة سهل مهمة معارضى هذه النظرية فيتصدى
مديج Madvig (١٨٤٢ م) لها ويبرهن على فسادها » .

ثم يقول : « وبعد همبلت ومديج يتصدى للمسألة اللغوى الأمريكى
ويتنى (Whitney) (١٨٢٧ - ١٨٩٤) حيث يرفض أن تكون العلاقة بين
الصوت والمخلول طبيعية بل هى اعتباطية » (٩٠) .

ثم ينتقل الى دى سويسر فيقول :

« وفي أوائل القرن العشرين ترجح كفة معارضى الربط الطبيعى بين اللفظ
ودلالته وذلك على يد اللغوى السويسرى فرديناند دى سويسر » (٩١) .

الدكتور يعرض علماء الدنيا على أنهم معارضون أى أنهم ضد رأى السلف
وضد رأى الخلف الصالح والمسألة أهون من ذلك بكثير - علماء يدرسون ظواهر
لغوية عامة وتلك ظاهرة خاصة بلغات البشر وليست خاصة بالعربية فحسب
ويدرسونها فى لغاتهم ويبحثون بحثاً علمياً له أصوله وقواعده ونتائجه المنزهة
عن النوى وهم لم يعرضوا للعربية . . .

وعلمائنا من قبلهم انتبهوا الى ما فى أيديهم من نظريات فلماذا لا نبحث
ونستخرج ما فى بطون كتبنا من علم نافع أخذناه عنا غيرنا . . .

(٨٩) الدلالة اللغوية عند العرب ص ٢٢٢/٢٢١ .

(٩٠) السابق ص ٢٢٢ - وأقرأ التفصيلات .

(٩١) السابق ص ٢٢٢/٢٢٣ .

ولكنه بعد ذلك يقول :

« وبعد دى سوسير أصبح علم اللغة المعاصر يأخذ بأن العلاقة بين الأسماء ومسمياتها علاقة اصطلاحية أو اختيارية » ، (٩٢) .

هل معنى ذلك أن علم اللغة كله بعلمائه على اختلاف مدارسهم في العالم متعصب ضد نظرية المناسبة الطبيعية ؟ • الأمر عنده هكذا .
وان كان في حقيقته أهون بكثير

وهاك ما يقوله :

« ولكن من اللغويين من سلم تسليمًا كاملاً بأراء دى سوسير وأخذ يحتج على صدق هذه النظرية على طريقته الخاصة وهم ليسوا قلة مثل سابير Sapir (١٩٣٩/١٨٨٤) الذى يقول : ان الكلمات التى تبدو تقليداً للطبيعة مثل To cow (صوت الغراب) to Mew (يموء صوت القط) whip poorwill (طائر له صيحة مثل اسمه) ، ليست بأى معنى من المعانى اصواتاً طبيعية . ينتجها الانسان بصورة غريزية او تلقائية انها من خلق العقل الانسانى ومن تخيله كائ شئ آخر في اللغة » ، (٩٣) .

ونقول : ليقبل سابير ما يشاء •• أبرز أنت عيبه من إلناحية العلمية في هذا القول •• وأعط أمثلة من لغات اتحدث فيها هذه الصحيات •• أذهب كما صنع سابير الى حقول الدراسات المختلفة واجمع وقدم معلومات تؤيد موقفك •• أما أن تعتصم بفهم خاطئ عن ابن جنى وسبويه والخليل وتريد أن تلزم الدنيا بفهمك •• فهذا ما لا يقره العلم •

ولكنه ينتقل بعد سابير الى عالم آخر ضد الرمزية الصوتية فيقول :

« ومنهم أيضاً هايكاوا Høyokowa الذى ينافح بشدة ضد الدلالة الصوتية » ، (٩٤) .

وقد يتساءل متسائل : ما معنى ينافح بشدة ؟

• (٩٢) السابق ص ٢٢٤

• (٩٣) السابق ٢٢٤

• (٩٤) السابق ٢٢٤/٢٣٥

حدد العيب علميا فعلم اللغة الآن منهجه علمي يقوم على التجربة والدراسات
ونظرية تحمل الطابع الموضوعي. الحقيق فابن عيوب دراسات هاياكاوا وما
اخطاؤها - وكيف الطريق الى الصواب ؟

ولكنه ينتقل أيضا الى علماء آخرين لا صلة لهم بالدراسات العربية مثل
السابقين ويعددهم ويميب عليهم انهم ضد الرمزية الصوتية أو المناسبة
الطبيعية فيقول :

« وروبرت هول R.Hall وادجار سترتفنت E. Sturtevant كلاما
يردد مقوله واحدة في الدفاع ضد هذه النظرية ويستعملان الأمثلة نفسها وان
كان الكلام عند الأول أوضح وسنورده لأن فيه غناء حيث يقول : ان معنى كل
صيغة لغوية اعتباطي تماما » (٩٥) .

هو يقول نتيجة ما عنده من أبحاث ودراسات أخرج انت ما عندك من
علم ضد ما قاله ..

ولكنه ينتقل الى يسبرسن ويقول عنه :

« ويسبرسن Jespersen من اللغويين الذين أسلفنا أنهم يرون
استحالة اثبات المناسبة الطبيعية بين الصوت والدلالة في كل الكلمات وفي كل
اللغات في جميع الأوقات » (٩٦) ثم يقول « ولكنه لا ينكر هذه العلاقة البتة » (٩٧)
وما علاقة ذلك بابن جنى وما عيب أعماله من الوجهة المنهجية العلمية ؟

ثم ينتقل بعد ذلك الى فنديريس فيقول :

« وأما فنديريس Vendryes فهو حائر فبعد أن يقول « من الحق أن نحكم
بوجود علاقة - ضرورية بين الحرفين ف ل - (FL) مجتمعين وفكرة السيلان ...
نجده بعد ذلك لا يستطيع التفاضي عن الكلمات التي يستشعر فيها وضوح
العلاقة بين أصواتها وما توحى به .. فينكرها متابعا ، « ولكن من الحق أن

• (٩٥) السابق ص ٢٢٥

• (٩٦) السابق ص ٢٢٦

• (٩٧) السابق ص ٢٢٦

كلمة Fleuve نهر معبرة لأن الأصوات التي تكونها صالحة تمام الصلاحية
لاثرة الصورة التي تمثلها ، (٩٨) •

رضيت بأن بين هذه الكلمة وما ترمز اليه مناسبة طبيعية ، هكذا هل أجريت
عليها تجربة ٠٠؟ هل عرضتها مثلاً على طلابك وأقروا بأن حروفها ترمز الى
معناها ٠٠ ؟ هل هذه الحروف عندما يسمعها العربي يجد فيها معنى النهر ٠ ؟

ثم هو بعد ذلك ينتقل الى فيرث ومما يقوله عنه :

« فالأستاذ فيرث يستشف بين الكلمات التي تبدأ بحرفين متجانسين علاقة
ما ، وهي أقرب ما تكون الى الصلة الطبيعية بين اللفظ وشكل الخلول عليه
فأصوات معينة قد يكون لها دلالة على شكل معين ولكنه ينبغي الى هذا الأمر
بحذر ودون اصرار فهو قد لا يصل الى مرتبة الظاهرة العامة الثابتة التي تصق
على الكلمات ذات الملامح المماثلة المبدوءة بحرفين متجانسين » (٩٩) •

انظر ، الأمر يبدو وكأنك أمام باحث يستعرض وجهة نظر علماء بينهم
تناقض وقد أجمعوا على موقف واحد ضد علماء العربية ٠٠ وهذا لا أساس
له من الصحة ٠٠ وهنا تكمن الخطورة وهي أن يلحق الطلبة العلم على هذه
الصورة ٠٠٠ !

ويأتى بعد ما سبق عنده عن ملاحظات فيرث ما يريد أن يثبت لفيرث مالا
يثبته ليؤكد وجود المناسبة الطبيعية عند فيرث فيقول :

« إذن فهي ملاحظات عابرة يلقي بها فيرث بحاجة الى اختبارها والتحقق
منها حتى تكتسب صفة الفرض العلمي » (١٠٠) •

فهو سوف يتم لفيرث ما لم يتمه فيرث لنفسه ويجرب في اللغة الانجليزية على
بعض الكلمات المبدوءة بالحرفين ليؤكد ماظنه عند ابن جنى في مادة (جير)
مثلاً ٠٠ وغيرها مما لم يقل به ابن جنى ٠٠

• (٩٧) السابق ص ٢٢٦

• (٩٩) السابق ص ٢٣١

• (١٠٠) السابق ص ٢٣١

يقول :

« ولم لا نجرب فننقعر على معانى الكلمات التى استشهد بها ونرى مدى مطابقة صوتها لشكلها أو لشكل ماتدل عليه ونبدأ بالكلمات الجسوءة بالحرئين SL (١٠١) . »

ونأتى بما أتى به ونضعه بين يدي القارئ ليرى فيه رأيه . يقول :

| | | | | | |
|-------|-------|-------|------------------|----------|---------|
| Slice | شريحة | Slide | منحدر - مزلق | Slight | استخفاف |
| Slim | رقيق | Sleet | مطر مصحوب بالبرد | Sliender | نحيل |

ويعقب على الكلمات السابقة بقوله :

« وبشىء من التجاوز والتاويل نستطيع أن نقول : يجمعها الشكل الذى يغلظ عليه الطول والانحافة » (١٠٢) . »

واسأل : هل يحس القارئ أن هناك معنى الطول والانحافة فى الكلمات السابقة حتى بعد أن عرف جوها العام ؟ أى طول أو نحافة فى كلمة استخفاف - أو فى كلمة مطر مصحوب ببرد ، أو فى كلمة شريحة أو منحدر .
واكتفى بهذا للمثل وأمام القارئ بقية الأمثلة (١٠٣) . »

وأقول ما هذا ؟ :

القضية أوضح بكثير ، هل الكلمات تشير إلى عالم الماهيات . . وصل الأسماء تنطلق إلى المسميات على نحو ما مر فى محاوره قراطيلس مثلا . . .
أو فى نظرية التوقيف . »

ثم ينتقل الباحث بعد ذلك الى ستيفن أولمان ويقول عنه :

« وأما ستيفن أولمان فيعارض فكرة الربط بين الأصوات والخلولات ويردد تقريبا ما قاله دى سوسير حيث يقول : لا يوجد فى اللفظ ما ينبىء عن

(١٠١) السابق ص ٢٣١ . »

(١٠٢) السابق ص ٢٣١ . »

(١٠٣) فى الصفحة المذكورة يقرؤها ويحكم عليها . »

الجلول ، فبالإضافة الى عدم وجود أية علاقة ظاهرة بين الكلمة وما تدل عليه هناك شيان يعارضان افتراض وجود أية صلة طبيعية بينهما الشئ الأول : يتمثل في تنوع الكلمات واختلافها في اللغات المختلفة - والثاني يتطور في الحقائق التاريخية ، (١٠٤) .

ثم ينتقل بعد ذلك الى علماء اللغة العربية المحدثين ويشطروهم شطرين شطر مؤمن بها ، وشطر كافر بها .

ويبدأ ذلك من القرن التاسع عشر وأوائل هذا القرن العشرين فيقول : « في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل هذا القرن كان الاتجاه الغالب للغويين العرب هو القول بالصلة - الوثيقة بين الصوت والمعنى ففرى الشدياق (١٠٥) (١٨٠٤ - ١٨٨٨) على أساس أن كثيرا من الألفاظ انما ينشأ عن محاكاة الانسان لاصوات الطبيعة يتكلم عن العلاقة بين الحرف وما يرمز اليه من معنى ويتناول الحروف واحدا واحدا فيبنا على المعانى التى يوحى بها كل حرف وذلك فى قوله :

فمن خصائص حرف الحاء السعة والانبساط نحو البراح والأبطح
ثم يدخل جرجى زيدان تلك الدائرة علما بأن ما جاء به مما خاض بجرجى زيدان لا ينطبق على ما يذهب اليه .

ثم ينتقل بعد ذلك فيقول :

« نمضى قديما لنجد أن نظرية جديدة قد انبثقت على أساس من كلام الشدياق وزيدان أو كان ما قالاه كان مقدمة أو بذرة لنظرية جديدة في الاشتقاق العربى نادى بها الأب مرمرجى الدومنى وهى ثنائية أصول الكلمات العربية بدلا من ثلاثيتها الراسخة ، (١٠٦) .

والواقع أن الأب مرمرجى الدومنى ينادى بنظرية لغوية ذات صلة باللغات السامية وقائمة على فكرة مقارنة مبغثها علم اللغة المقارن وما كان

(١٠٤) السابق ص ٢٢٣ وقرأ الى صفحات ٢٢٦ .

(١٠٥) السابق ص ٢٢٦ وقرأ ما جاء عن الشدياق ص ٢٢٦ / ٢٢٧ .

(١٠٦) السابق ص ٢٢٨ .

يجب أن نزع هذه النظرية هكذا ولكننا أيضا أمام فرصة لاضاعة هذه النظرية .

وقد ذكر صو مثل هذا ولكنه يصّر على أن يزوج بالدومنكى داخل هذه الدائرة حتى يظل يجد لها أنحصارها من القديم ، حتى ولو أضاع فكر الرجل وأنظر أنت واحكم انه يقول : بنص قول الدومنكى وقد جاء به صو نفسه : نص الدومنكى :

و الثنائية Biliteralism هي النظرية القائلة بأن الأصول في العربية - وكذلك في أخواتها السامية - ليست الالفاظ ذات الحروف الثلاثة بل فوات الحرفين اذن من شأن الثلاثيات أن ترد الى الثنائيات ، (المعجمية العربية ص ٦) .

ثم يقول الباحث بعد ذلك :

« وعلى أساس هذه النظرية يرى أن الالفاظ العربية كأخواتها السامية من أصل ثنائى - والثلاثى يجب أن يرد الى الثنائى وفي نظريته التى اخذ يطبقها على الكلمات العربية رأى أن كل كلمة لابد أن تكون من حرفين أصليين . لهما معنى أصلى وما زاد عليهما فهو لتفريع المعنى الأصلى وتنويعه ، (١٠٧) .

ويصل الى الدكتور صبحى الصالح ويقول :

« وأما الدكتور صبحى الصالح لشدة إعجابه بصنيع ابن جنى الذى أدرك فيه القيمة التعبيرية للحرف العربى فيرى فيه « فتحا مبينا في فقه اللغات » (١٠٨) .

ثم يقول :

والاستاذ محمد المبارك يؤيد هذا المذهب بانحفاع ويرى في ثقة تامة أنه ان لم يحل الحرف بصوته على المعنى قطعاً ، فالصوت يوحى به على الاقل ، ويستشهد بقوله : « ونستطيع أن نقول في غير تردد أن للحرف في اللغة

(١٠٧) السابق ص ٢٣٨ وقرأ الأمثلة في نفس الصفحة .

(١٠٨) السابق ص ٢٤١ .

العربية احياء خاصا فهو أن لم يدل دلالة قاطعة على المعنى يدل دلالة اتجاه
واحياء ويثير في النفس جوا يهيئ لقبول المعنى ويوجه اليه ويوحى به، (١٠٩)

وعكذا بعد أن يستعرض هذا الحشد من العلماء .

يأتي بعد قوله السابق مباشرة قوله الآتي : -

« ويقف على النقيض من هذا الاتجاه فريق من اساتذة الجامعات العربية
وهم ممن تأثروا بالفكر اللغوي الحديث ، وهم الدكتور ابراهيم أنيس ، (١١٠)

ثم ينتقل الى الدكتور حسن ظاظا : فيقول :

« وأما الدكتور حسن ظاظا فيقول : وقد خدع بعض الباحثين في اللغات
بظاهرة ضللتهم وهي أنه يوجد في جميع اللغات ألفاظ تحمل معانها في هيكلها
المسموع نفسه أي في جرسها الصوتي ، (ص ٣٠/٣٣) .

ثم يعلق على الدكتور ظاظا بعد أن يذكر جزءا من مرجعه السابق بقوله :
« فهو يرى أن في الدلالة الصوتية للألفاظ ظاهرة خادعة مضللة ويحاول
كما رأينا توجيه الفاظ الانفعال والأتوماتوبيا توجيهها يثبت خطأ تلك النظرية
كما فعل دى سوسير تماما ، (١١١) .

ثم يأتي بعد قوله السابق مباشرة نص قوله الآتي :

وفي السنوات الأخيرة ظهرت كتب ثلاثة يجمع فيها أصحابها على
معارضة الصلة بين الصوت والمدلول وهي : (١١٢) .

كتاب فقه اللغة في الكتب العربية للدكتور عبده الراجحي - ويذكر نص
الدكتور الراجحي : « غير أن اقتناع ابن جنى بهذا الرأي وأعجاب الدكتور صبحي
الصالح به لا يمنع من التأكيد على أن أهل اللغة بوجه عام يطبقون على رفضه
ويرون أنه ليست هناك مناسبة بين اللفظ ومدلوله وليست هناك علاقة بين
الرمز والشيء الذي يرمز اليه ، (ص ٦٨ - فقه اللغة في الكتب العربية) .

• (١٠٩) السابق ص ٢٤١

• (١١٠) السابق ص ٢٤١ و ٢٤٢

• (١١١) السابق ص ٢٤٣

• ثم كتاب الدكتور مصطفى مندور اللغة بين العقل والمفارقة •

ويقول عن الدكتور مندور

• فالدكتور مندور في النهاية ينفي الصلة بين الأصوات والمدلولات. موافقا أولمان في اعتراضه على بوز Pos في أنه من الصعب أن نتصور أن الفونيمات تحمل خصائص الالفاظ التي تتألف منها ، (١١٣) •
والكتاب الثالث هو : مدخل الى علم اللغة للدكتور محمود فهمي حجازي •

ويقول عنه :

• الذي يصر فيه الدكتور محمود فهمي حجازي على أن العلاقة بين اللفظ ومدلوله اصطلاحية وليست ذاتية طبيعية (١١٤) ويأتى باقتباس من عنده يقول فيه :

• ان الرموز اللغوية لا تحمل قيمة ذاتية طبيعية تربطها بمدلولها في الواقع الخارجى - فليس هناك أية علاقة بين كلمة حصان ومكونات جسم الحصان - والعلاقة كامنة فقط عند الجماعة الانسانية التي اصطاحت على استخدام هذه الكلمة اسما لذلك الحيوان - ومعنى هذا أن قيمة هذه الرموز اللغوية تقوم على العرف أى على ذلك الاتفاق الكائن بين الأطراف التي تستخدمها في التعامل - وهذا معناه أن المؤثر والمثقف متفقان على استخدام هذه الرموز اللغوية المركبة بقيمتها العرفية ، •• ثم يعلق على قوله بالقول الآتى : -

وهكذا ينفي الدلالة الذاتية نفيا باتا والعلاقة بين اللفظ ودلالته لا تكون. الا بالمواضعة من قبل مستخدمى اللغة فهى عرفية ، (١١٥) •

أى حيرة تصيب عقول الدارسين من شباب هذه الأمة بعد كل هذا

-
- (١١٢) السابق ص ٢٤٣
 - (١١٣) السابق ص ٢٤٤
 - (١١٤) السابق ص ٢٤٤
 - (١١٥) السابق ص ٢٤٥

هذه الطائفة من أستاذة الجامعات العربية المتعددة في مختلف بلاد الوطن العربي على باطل تسير في فلك عقول الغرب وما جاء في كتبهم باطل وإن اتفق مع العقل لأنه لم ير إلا جانباً واحداً خطأ أراد أن يرغم عليه الدنيا كلها •

فأما أن يعصب العلماء أعينهم ولا يروا إلا ما يرى وأما لا •
يا أخى •• انصف نفسك •• ما كتبه تقرأه أجيال المستقبل •

وأهم ما في ذلك كله أننا ضيعنا على علمائنا سبقتهم وما وضعوه من نظريات وفكر خلاق - وشغلنا أنفسنا بجزئية ليست ذات بال - وليست وفقاً على العربية وحدها حتى نعدّها ميزة لها مثلاً تسهم في الرقي بها - أو في الكشف عن جانب من جوانب اعجاز اللغة الخاص بالقرآن مثلاً أو غير ذلك وإنما جزئية لا تضر ولا تنفع •

أما ما وضعه علماؤنا السابقون من نظريات ففيها النفع - وقد أفردنا لها القسم الثاني بتمامه من هذا الكتاب •

الدكتور عبد السلام المسدى وقضية الرمزية الصوتية عند ابن جنى :

موقف الدكتور عبد السلام المسدى من القضية : -

تأثر الدكتور المسدى بما كتبه السيوطى فى مزهره عن ابن جنى والمناسبة الطبيعية بين الألفاظ ومدلولاتها عنده ، فاتخذ من كلام السيوطى منطلقاً بنى عليه نظرية المحاكاة الطبيعية عند علماء المسلمين واتخذ من أعمال ابن جنى شاهداً على نمو النظرية عندهم واكتمالها إلى النهاية متأثراً بما قدمه السيوطى فى مزهرة تحت المسألة العاشرة عن المناسبة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله .

فالدكتور المسدى أخذ آراء السيوطى وعمقها واعتبر كل ما قام به ابن جنى من أعمال فى هذا الصدد إنما هى من إيمانه بمبدأ المناسبة الطبيعية بين الألفاظ ومدلولاتها .

وزاد الدكتور المسدى على السيوطى بأنه حشد بقية الأبواب المتصلة بهذا الموضوع فى خصائص ابن جنى واعتبرها كلها تدور فى فلك المناسبة الطبيعية فى ترتيب وربط بينها . .

ولكن الدكتور المسدى لمح ببصيرته النافذة وبفهمه للدراسات اللغوية الحديثة أن أعمال ابن جنى فى هذا لا تدخل فى حقيقة مفهومها تحت مبدأ الرمزية الصوتية أو المناسبة الطبيعية بين الألفاظ ومدلولاتها .

فلما انتهى من عرض هذا البحث كتب حاشية فى نهاية بحثه ص ٨٥ جاء فيها :

« فى اللسانيات المعاصرة فرع من فروع البحث مازال متذبذباً بين الاستقرار والتداعى يبحث عن تشريع نهائى له ، ويطلق عليه *Lo morphonologie* ou *la morpho-phonologie* ويتناول بالتحقيق أبنية الكلمات بالمعنى الدلالى للوظيفة - وإذا لم يحظ هذا الفرع بعد بقانونه الأساسى ضمن الشجرة اللسانية فلأن اللغات التى يمارس اللسانيون عملهم عليها فى جلها من أسرة اللغات التركيبية التى تعتمد التأليف بالضم والتجاور سواء بين أصول من الكلمات أو بين جذع وزوائد - صدورها كانت أو حشواً أو كواسم - بينما توفر اللغة

العربية - وربما بقية اللغات ذات الأصل السامي النموذج الأوفق لخصاب هذا الفن وتركيزه على قواعده النهائية ، (١١٦) .

فهذا القول من الدكتور المسدي يعطى لابن جنى السابق والريادة في اكتشاف فرع من فروع الدراسات في علم اللغة لم ينته الباحثون اللغويون المحدثون بعد الى ارساء قواعده وأصوله وذلك راجع الى أن اللغات التي يجرون عليها دراساتهم لغات غروية أو الصاقية على حين أن ابن جنى توصل الى ماتوصل اليه من خلال درسه لخصائص اللغة العربية وهي لغة اعراب فما انتهى اليه ابن جنى عمل فيه سبق وفهم لروح العمل اللغوي وتعمق في خصائص العربية وأسرارها فمن الظلم إذن أن ننسب عمله الى الرمزية الصوتية أو المناسبة الطبيعية بين الألفاظ ومدلولاتها وذلك لأن السيوطي فهمها هكذا أو عرضها في ضوء فهم العلماء المتأخرين أضف الى ذلك أن ليس كل ما قدمه الدكتور المسدي من أبواب عند ابن جنى يدخل تحت هذا النوع من الدراسة اللغوية الحديثة وانما هي على ما أوضحنا منها ما يدخل تحت هذا الفرع ومنها ما يدخل تحت نظرية الفونيم في ضوء فهم ابن جنى لها وتطويره لدراسة مراحلها ومنها ما يدخل تحت أنواع أخرى على نحو ما قد سبق أن أوضحنا . وعلى نحو ما سيأتى مفصلاً في القسم الثاني من هذا الكتاب .

وقد عرض الدكتور المسدي مبحث « المحاكاة الطبيعية » عرض الواعي الفاهم لأبعاد القضية اللام بأطرافها عند علماء العربية .

والذي يؤخذ عليه في عرضه لأفكار ابن جنى هو تأثيره بما جاء عند السيوطي على حين أنه أدرك أن أفكار ابن جنى عن نشأة اللغة واضحة ومحدودة في مواضيعها سواء مايتصل بالتوقيف أو الموضوعة أو نظرية المحاكاة . وأن ما جاء به من أبواب أخرى إنما هي لأغراض في البحث أخرى .

فالواجب تتبع نظريات ابن جنى في استقلال دون خلط .

(١١٦) التفكير اللساني في الحضارة . د. عبد السلام المسدي . الدار العربية للكتاب - ليبيا - تونس - ١٩٨١ - ص ٨٥ حاشية ٥٣ هامش نفس الصفحة .

وإذا كان الأمر كذلك فببدل أن يدخل هذه الأبواب تحت نظرية المحاكاة على نحو ما صنع السيوطي فكان من الأولى أن يدخلها تحت نظرية التوقيف - ولكن الواقع أنها مباحث مستقلة لا تدخل هنا ولا هناك . ويجب أن تدرس في استقلال عنده على نحو ما أراد لها . .

ونعرض طرفا مما قاله الدكتور المسدي في هذه القضية عند ابن جني .

يقول :

« أما الذي أعطى قضية المحاكاة بعدها اللساني الخالص ، وركز لها القواعد التأسيسية على مستويي التنظير والممارسة فانما هو ابن جني الذي اكتمل معه فن أصول النحو ، وتتمثل غزارة استقرارات صاحب الخصائص في تثقيب الموضوع على مختلف أوجية الممكنة في اللغة حتى أنه استطاع من نموذج نظري خاص في تفسير مظاهر الاشتقاق والتوليد في صلب ظاهرة الكلام ، وقد كان في تحليله لموضوع المحاكاة واعيا بأنه انتهى الى تحديد طريقة هي خيرة تفكيره الشخصي ولا أدل على ذلك من تحسسه العديد من المصطلحات الحاصرة لمصوراته في الموضوع شأن كل مستنبط لنموذج فكري جديد » (١١٧) .

وحديث الدكتور المسدي هنا عن باب الاشتقاق الأكبر عند ابن جني وقد سبق أن أوضحنا أبعاده - وهو لا يدخل في نظرية المحاكاة (١١٨) ولا يدخل في الرمزية الصوتية وانما هو يتحدث عن ارتباط أصل المادة بالمعنى التي تدور حوله يستوى في ذلك الاشتقاق الأصغر والأكبر ومع ذلك فابن جني يرى أن الظاهرة غير مطردة . .

ثم يضيف الدكتور المسدي بعد السابق مباشرة :

« فالمنطلق هو فكرة المضاهاة (١١٩) ثم تتركز تحليليا بما يسميه أساس الالفاظ اشباه المعاني (١٢٠) أو سوق الحروف على سمت المعنى المقصود (١٢١) مشتقا منه فكرة المساوغة ويعنى مساوغة الصيغ للمعاني (١٢٢) ومقيما .

(١١٧) التفكير اللساني (السابق) ص ٨١ .

(١١٨) أنظر ص من هذا الكتاب .

(١١٩) يحيلك على الخصائص ح ١ ص ٦٥ .

(١٢٠) الخصائص ح ٢ ص ١٦٢ .

(١٢١) ويحيلك على السابق أيضا ح ٢ ص ١٦٢ .

مبدأ التعديل والاحتذاء (١٢٣) ثم مستطردا الى فكرة تقارب الحروف بتقاربه المعانى (١٢٤) الى أن يجرد المصطلح المكثتر الأوفى في مفهوم التصاقب (١٢٥) - ثم يستطرد شارحا بعد السابق مباشرة :

« وتتحل نظرية المحاكاة هذه عند ابن جنى الى جملة من المراتب أولها مرتبة المحاكاة الصوتية د وتتمثل في ملاحظة تسمية الأشياء بأصواتها » ثم يضيف :

« ويعمم ابن جنى هذا المبدأ على صعيد واسع من رصيد اللغة اعتبارا منه أن مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث - باب عظيم واسع ونهج متلئب عند عارفه مأموم » ثم ينتهى الى المرتبة الثانية فيقول : « وتتمثل المرتبة الثانية في ظاهرة المحاكاة البنائية وذلك يصور عيكل اللفظ جملة دلالاته ، أو يعكس بناؤه مراحل معناه - فيأتى اللفظ حاكيا مدلوله بمجرد قلبه اللغوى المحسوس فمن ذلك المصادر الرباعية (١٢٦) ٠٠ الى آخره

وقد تناولنا هذه الصيغ بالدراسة والتحليل وأوضحنا الرأى فيها وأنها أيضا ليست مرحلة من مراحل نظرية المحاكاة كما أنها ليست من الرمزية الصوتية - أو من مناسبة الألفاظ لمعانيها -

ثم ينتقل الى المرحلة الثالثة حيث يقول :

« أما المرتبة الثالثة من مراتب المحاكاة فيمكن أن نطلق علينا مصطلح المحاكاة التعاملية (Combinatoire) وتقوم على ضرب من تعامل دلالة الأصوات الفيزيائية ودلالة البيكل الوزنى لقوالب الألفاظ ومن نماذجها فعل صر - الذى يطلق على صوت الجندب لما استشعر فيه من استطالة ومد - وفعل صرصر الذى خص به صوت البازى فلتقطيع الذى يلهج به صوته المستطيل .

• (١٢٢) السابق ١٥٥

• (١٢٣) السابق ص ١٥٧

• (١٢٤) السابق ص ١٤٦

• (١٢٥) السابق ص ١٤٦ والتصاقب من أسماء الأضداد يعنى الاقترابه

والابتعاد معا .

• (١٢٦) التفكير اللسانى (السابق) ص ٨٢٥

• ومن ذلك أيضا تكثير صوت العين في الفعل دليلا على تكرير الحدث (١٢٧)
ثم يضيف :

« ويستطرد ابن جني في تأسيس ظاهرة التماثل ليجعل لها مقوما
أصوليا يتجاوز مظاهر الاتفاق والصدفة حتى يخرج به من الاعتباطية الظاهرية
مؤكدًا : « نعم ، ومن وراء هذا ما اللطف فيه أظهر والحكمة أعلى وأصنع ،
وذلك أنهم قد يضيفون الى اختيار الحروف وتشبيهه أصواتها بالاحداث المعبر
عنها بيا وترتيبها وتقديم ما يضاهي أول الحدث وتأخير ما يضاهي آخره -
وتوسيط ما يضاهي أوسطه سوقا للحروف على سمت المعنى المتصود والغرض
المطلوب ، »

ثم ينتهي الى آخر المراحل فيقول :

• وآخر مراتب المحاكاة ما يتنزل على مستوى التركيب السياقي وهو
عبارة عن تجاوز ظاهرة المحاكاة منزلة الألفاظ مجردة الى الألفاظ عندما تتفاعل
في صلب الخطاب لبناء التركيب البلاغي أو الانشائي فهو إذن خروج من
مستوى جدول الاختيار (la sélection) الى جدول التوزيع (la distribution)
وبالتالي إسقاط لمحور العلاقات الاستبدالية (les rapports paradigmaticues)
على محور العلاقات الركنية Les rapports syntagmaticues ويضرب ابن
جني نماذج عدة لهذه المرتبة من ظاهرة المحاكاة شارحا مظاهرها عند ارتباط
الأبنية الحسية للكلام بابنيته الدلالية التأثيرية - ومن ذلك الآية « الم تر أنا
أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزلا » (١٢٨) •

وتتضح حقيقة هذا الآراء وغيرها في ضوء التحليل الذي اختص به القسم
الثاني من هذا الكتاب •

فالى القسم الثاني :

-
- (١٢٧) التفكير اللساني (السابق) ص ٨٣
 - (١٢٨) التفكير اللساني (السابق) ص ٨٤

ان الموضوع الذى بين أيدينا الآن فى حاجة منا الى وقفة نجلّى فيها ما اهتدى اليه علماء العربية القدماء من فكر خاص بهذه القضية وذلك من خلال عرض متون متعددة خاصة بنا ونبذا بباب فى تصاقب الألفاظ من خصائص ابن جنى الذى ينكشف من خلاله حقيقة ما ذهب اليه علماء العربية الأفذاذ فى هذا المجال وكيف أن وراء فكرهم نظرية صوتية محدثة أستفاد منها الغربيون وان لم يصلّوا الى ما توصل اليه علماؤنا حيث أن علماءنا وصلوا فى هذه النظرية الى مرحلة أعلى مكنتهم منها خصائص اللغة العربية وذلك لأن فهمهم منبثق عن فهم لسيكوجية اللغة العربية وسيكولوجية المتكلمين بها وذلك هو باب :

فى تصاقب الألفاظ لتصاقب المعانى (٢) :-

وبعد هذا الباب الأساس الذى أقام عليه جلال الدين السيوطى مبحثه الخاص بالمناسبة الطبيعية بين الألفاظ ومعانيها والذى بسببه أنساق وراءه الباحثون المحدثون ٠٠٠٠٠ حيث جمع جلال الدين السيوطى كل ما أمكن جمعه مما قاله علماء العربية عبر أجيالهم المتعددة ليعضد به نظريته فى هذه القضية ٠٠٠٠

واتخذ الباحثون المحدثون من هذا الباب نموذجا يحتذونه فى تأييد ما يرونه خاصا بهذه القضية (٣) .

(١) السابق - ص ٥٥ .

(٢) كتاب الخصائص لابن جنى ح ٢ ص ١٤٥ وما بعدها ٠٠

(٣) الدكتور ابراهيم أنيس اتخذ أمثلة من هذا الباب تؤيد ما يراه ٠٠ والدكتور صبحى الصالح اتخذ منه نموذجا احتذاه فيما ذهب اليه ٠٠٠٠ وكذلك الدكتور محمد المبارك جعل نماذج هذا الباب المثل المحتذى ٠٠٠٠ وعلى منواله نسج الأستاذ الأنطاكي ٠٠ وهكذا ٠٠

ورأينا في هذا الباب أنه يتصل بمنهج الدراسات الصوتية الحديثة
وبإبعادها المتصلة بالنظرية العامة باللغة مما يؤكد عمق النظرة اللغوية عند
علماء العربية القدماء ٠٠٠٠٠

وذلك على النحو الآتي : يقول ابن جني :

هذا غور من العربية لا ينتصف منه (٤) ، ولا يكاد يحاط به ، وأكثر
كلام العرب عليه ، وإن كان غفلا مسهوا عنه وهو على ضرب : منها ٠٠٠٠٠
لكن من وراء هذا ضرب غيره ، وهو أن تتقارب الحروف لتقارب المعاني .
وهذا باب واسع .

من ذلك قول الله سبحانه : « ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين
تؤزهم أزا (٥) أى تزعجهم وتقلقهم . فهذا في معنى تهزهم هذا - والهمزة أخت
الهاء ، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين - وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة
لأنها أقوى من الهاء ، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز - لأنك قد تهز
مالا يبال له ، كالجذع ، وساق الشجرة ، ونحو ذلك .

ومنه العسف (٦) والأسف ، والعين أخت الهمزة كما أن الأسف يعسف (٦)
النفوس وينال منها ، والهمزة أقوى من العين ، كما أن أسف النفس أغلظ من
التردد بالعسف . فقد ترى تصاقب اللفظين لتصاقب المعنيين .

ومنه القرمة وهي تحز على أنف البعير - وقريب منه قلمت أنظفاري ،
لأن هذا انتقاص للظفر ، وذلك انتقاص للجلد . فالراء أخت اللام ، والعملان
متقاربان .

وعليه قالوا : الجرفة وهي من جرف وهي أخت جلفت القلم ، إذا أخذت
جلفته ، وهذا من جلف ، وقريب منه الجنف وهو الميل - وإذا جلفت الشيء
أو جرفته فقد أملتة عما كان عليه وهذا من جنف .

(٤) انتصف منه : استوفى منه حقه كاملا .

(٥) سورة مريم آية ٨٣ .

(٦) العسيف = والأسيف = الشيخ الكبير ، ومن أشد به الأسف ، -
وكانه يريد بالعسف هنا السير على غير طريق وهدى - ويناسبه قوله بعد
« كما أن أسف النفس أغلظ من التردد بالعسف » -

ومثل تركيب (ع ل م) في العلامة والعلم • وقالوا مع ذلك : بيضة
عرماء ، وقطيع أعرم اذا كان فيهما سواد وبياض ، واذا وقع ذلك بأن أحد
اللوتين من صاحبه ، فكان كل واحد منهما علما لصاحبه وهو من (ع ر م) -
قال أبو وجزة السعدي :

مازلن ينسبن وهنا كل صديقة باتت تباشر عرما غير أزواج (٧)
حتى سلكن الشوى منهن في مسك من نسل جوابة الآفاق مهداج

ومن ذلك تركيب (ح م س) و (ح ب س) قالوا : حبست الشيء وحس
الشر اذا استد ، والتقاؤهما أن الشيتين اذا حبس أحدهما صاحبه تمانعا
وتعازا فكان ذلك كالشريقع بينهما •

ومنه العلب : الأثر - والعلم : الشق في الشفة العليا • فذاك من (ع ل ب)
وهذا من (ع ل م) والباء أخت الميم - قال طرفة :

كان غلوب النسع في دأياتها موارد من خلطاء في ظهر قردد (٨)

(٧) البيتان في صفة حمير الوحش - وقد وردن الماء ليلا فآثرن القطيا
حتى وردنه وأدخلن أرجلهن فيه وقوله : وهنا : أي حين أدبر الليل •
ويريد بالصادقة القطاة لأن القطاة تصيح : قظاظا • وهو اسمها فتسبب اليها
الصدق وقيل : أصح من قظاة - وقد وصفها بأن بيضها عرم غير أزواج ،
أفراد وكذلك بيض القطا - والشوى من الدابة : اليدان والرجلان - والمسك
مايكون في رجل الدابة كالخلخال - وأراد بجوابه الآفاق المهداج : الريح الآحنون -
أراد أن الأذن أحظن قوائمه في الماء فصار الماء لأرجلهن وأيديهن كالمسك ،
ووصف بأن هذا الماء ماء مطر ساقته الريح - وأنظر اللسان في مادة : هجج -
ومسك - والبيت الأول في الحيوان ح ٢٧٣/ ٥ - والبيت الأول في اللسان
أيضا •

(٨) البيت من معلنة طرفة ، وهو في وصف الناقة - والنسع : سيرتشد
به الرحال • والدأيات : أضلاع الكتف ، والموارد : طرق الواردين إلى الماء •
والخلطاء : النساء - والقردد : ما ارتفع من الأرض •

يصف آثار الحزام في أضلاعها ، وشبهها بالطرق في صخرة ملساء •
وذلك من كثرة حل الرحال عليها •

ومنه تركيب (ق ر د) و (ق ر ت) قالوا للأرض وتلك نيباك (٩) تكون في الأرض ، فهو قرد الشيء وتقرد اذا تجمع أنشدنا أبو على :
أهوى لها مشقص حشر مشبرقها وكنت أدعو قذرها الاثمد القردا (١٠)

أى أسمى الاثمد القرد أذى لها • يعنى عينه •

وقالوا قرت الدم عليه أى جمد •

والتاء أخت الدال كما ترى • فاما لم خص هذا المعنى بهذا الحرف فسنذكره

في باب يلى هذا بعون الله تعالى (١١) •

ومن ذلك العلز : خفة وطيش وقلق يعرض للانسان ، وقالوا (العلوص)

لوجع في الجوف يلغوى له الانسان ويقلق منه - فذاك من علز وهذا من علص

والزاي أخت الصاد •

ومنه الغرب : الدلو العظيمة (وذلك لأنها يغرف من الماء بها) فذاك من

(غرب) وهذا من (غرف) أنشد أبو زيد :

كان عيني وقد بانونى غربان في جدول منجنون (١٢)

واستعملوا تركيب (جبل) و (جبن) و (جبر) لتقاربها في موضع

واحد وهو الالتئام والتماسك منه : الجبل لشدة وقوته - وجبن : اذا

استمسك وتوقف وتجمع ، ومنه جبرت العظم ونحوه : أى قوته (١٣) •

(٩) النيباك : واحدها نبيكة وهى التل أو الأكمة •

(١٠) فى مادة (هوى) فى اللسان نسيبه الى ابن أحمـر •

أهوى : هوى وانقض عليها وسقط - والمشقص : السهم العريض - والحشر :

اللطيف الدقيق - وشبرقها : مزقها - يريد أن عينه أصابها سهم ففقاها -

وكان من قبل مشققا عليها حريصا على ألا ينالها شيء ، حتى ان الاثمد

القرد كان يراه تمذى لها - وفى رواية اللسان فى هوى : « مشقصا » •

(١١) هذا الباب يتصل بالباب التالى ولذلك أخرنا جزءا من الباب التالى

فى الدراسة السابقة لأن مكانه الطبيعى يأتى بعد هذا -

(١٢) بانونى : بانواعنى وفارقونى - والمنجنون : ما يستقى به وهو

الحولاب - وانظر نوادر أبى زيد ٦٠ •

(١٣) الخصائص (السابق) ح ٢ ص ١٤٩ •

وقد تعرض الدكتور ابراهيم أنيس لموضوع هذا الباب تعرضاً خفيفاً على النحو الآتى حيث قال عن ابن جنى أنه : « يمثل له عادة بكلمات مثل : أز - وهز - والجل - والجل - ونحو هذا » - ثم أضاف فأجدر به أن يعد من الكلمات التى تطورت أصواتها - والتى تبحث عادة فى فصل القلب والابدال ، (١٤)

ثم يعرض بعد ذلك مباشرة مبحثاً تحت عنوان « القلب والابدال » (١٥) يتناول هذا الموضوع بدراسة تحليلية مفصلة بادئا بابن السكيت متسلسلاً الى العلماء الذين جاءوا بعده مبيناً أن هذا المبحث عند علماء العربية اتخذ طريقين أحدهما على يد اللغويين والآخر على أيدي النحويين . . .

وأوضح أبعاد قضية القلب والابدال الصوتى ومفهومها لدى علماء العربية القدماء ومفهومها لدى المحدثين وكيف تمالج وعرض لها علاجاً تحليلياً علمياً دقيقاً .

وتبين أمام البحث أن ما جاء عند الدكتور ابراهيم أنيس فى مبحث القلب والابدال مخالف تمام المخالفة للفكرة التى تعرض ابن جنى لشرحها فى هذا الباب . فابن جنى يتحدث عن أصوات تتقارب فتتقارب المعانى ولكن تبغى لكل كلمة دلالتها المستقلة تماماً - أما الدكتور أنيس فيتحدث عن القلب والابدال الذى يصيب الكلمات لأسباب متعددة يتضح ذلك على النحو الآتى : -

يعرض الدكتور ابراهيم أنيس لرسالة القلب والابدال عند ابن السكيت ويقول عن ابن السكيت : أنه جمع فيها نحو ٣٠٠ كلمة من كلمات اللغة العربية تميزت هذه الكلمات بأن كل اثنين منها تعبران عن معنى واحد ، ولا يختلف لفظهما إلا فى حرف واحد مثل التهتان - والتهتال ، فكل منهما تعنى سقوط المطر ، ولا يختلف اللفظ إلا فى أن النون فى الأولى قد حلت محل اللام فى الثانية .

(١٤) من أسرار اللغة (السابق) ص ٥١ .

(١٥) السابق من ص ٥٢ وما بعدها .

ثم يذكر أن ابن فارس وهو من علماء القرن الرابع الهجري يشير إلى ظاهرة الابدال على أنها من سنن العرب فيقول (١٦) - ومن سنن العرب ابدال الحروف وأقامة بعضها مقام بعض ويقولون : « مدحه ، ومدهه ، وفرس » رقله ورقن ، وهو كثير مشهور ألف فيه العلماء . وقد عرض الدكتور ابراهيم أنيس هذا الموضوع عرضا تحليليا مفصلا بين فيه أن القضية قضية كلمات اتحدت معانيها واصابها نوع من التطور الصوتي في بعض حالاتها ، أو اصابها تصحيف في حالات أخرى - أو هي من المترادفات التي اختلفت صورها في البيئة اللغوية الواحدة - أو أنها اختلفت صورها نتيجة لاختلاف البيئات اللغوية . . . ولكن المعاني واحدة . . . (١٧) وهكذا يعكف الدكتور ابراهيم أنيس على قضية أخرى غير تلك التي يعالجها ابن جني وإن كان قد أدخل عمل ابن جني فيما يعالجه فالواقع أنه لعلاقة بين القضية التي يعرضها الدكتور أنيس والعمل الذي يقوم به ابن جني في بابها هذا . . .

فابن جني يعرض هنا موضوعا مخالفا تماما ، أنه لايتعرض لمترادفات ، أنه يعرض كلمات اختلفت معانيها بسبب اختلاف حرف من أحرفها .

. أنه يعرض نظرية الفوينم بمفهومها الحديث - في أدق صورها . ويتدرج بها مرتبة تلو أخرى . . . أنه تنبه إلى مراحل في نظرية الفوينم لم يصل إليها اللغويون للحدثون حتى اليوم . ولكنهم لا محالة سيتعرضون لها ولكن بعد حين من النضج في البحث اللغوي أي أن فهم ابن جني للغة العربية جمل العربية تمده بخصائص في هذه النظرية لم يصل إليها اللغويون الغربيون حتى اليوم . .

(١٦) الصاحبى لابن فارس ص ١٧٣ .

(١٧) تستحب قراءة هذا البحث في المرجع السابق ص ٥٢ الى ص ٦٩ وقد عرضه الدكتور أنيس عرضا علميا تحليليا دقيقا تتبع فيه الظاهرة وكيف عالجه القدماء ، وكيف ينبغي أن ننظر إليها من وجهة نظر الدرس اللغوي الحديث . .

أنه تحدث عن الوحدات الصوتية (الحروف) التي يتغير بموجبها معنى كلمة عن كلمة أخرى اتحدت حروفيهما واختلف حرف واحد فيهما فأعطى كل واحدة منهما معنى مخالفا - فالصوتان يمثلان وحدتين صوتيتين مختلفتين بتغير بموجبيهما معنى الكلمتين (Minimal Pairs) .

ثم يتدرج مرحلة أعلى يبحث من خلالها الصوتين عندما يتقاربان ويحدث أن يختلفا ولو في صفة واحدة ويسلط ضوء البحث على مثل هذه اثنتائيات الصوتية (Minimal Pairs) عندما يكون الاختلاف بينهما في المخرج مثلا أو في بعض الصفات الخاصة بالجهر أو الهمس أو الخاصة بكيفية مرور الهواء من حيث الشدة (Plosive) أو الرخاوة ... إلى آخره ... ويرى أنه : لما تقارب الصوتان المختلفان في الصفات تقارب المعنى العام للكلمتين ولكن بقي لكل واحدة منهما معنى مخالف عن الأخرى أى أن الحرفين تقاربا لتقارب المعنى يقول ابن جنى (... أن تتقارب الحروف لتقارب المعانى وهذا باب واسع)

من ذلك :

تؤز أزا = أز

تهز هزا = هز

اختلف الحرف الأول من الكلمتين - الأولى بدأت بالهمزة - والثانية بدأت بالهاء .

والأولى تؤز بمعنى تزعج ، وتقلق - والثانية تهز من الهز فالمعنيان مختلفان فأتزعج أو أقلق شيء - أما هز فشيء آخر تماما لاشك في ذلك ..

يقول ابن جنى : والهمزة أخت الهاء - فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة (وهو الاقلاق) لأنها أقوى من الهاء وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز .. المعنيان مختلفان ولكن ابن جنى يدخلهما تحت قانون التقارب لما حدث بين الحرفين المختلفين فيهما من تقارب ...

(١٨) سيأتي الحديث عن قانون التقارب .

ومنه أيضا : العسف = عسف

والأسف = أسف

ومعنى العسيف فى اللغة الأجبر - ومعنى الأسيف الشيخ الكبير ومن اشتد به الأسف والمعنيان مختلفان أيضا وبينهما فرق كبير ، بين الاجبر - وبين الشيخ الكبير أو من اشتد به الأسف ولكن ابن جنى يطبق عليهما قانون التقارب ويقول ابن جنى : والعين أخت الهمزة كما أن الأسف يعسف النفس وينال منها . والهمزة أقوى من العين كما أن الأسف أغلظ من التردد بالعسف ، فقد ترى تصاقب اللفظين لتصاقب المعنيين - أنظر ماذا قال تصاقب اللفظين لتصاقب المعنيين قانون التقارب ، الالفاظ تقاربت فتقاربت المعانى .

أى أن الحرفين المختلفين تقاربيا فى الصفات فتقارب المعنى العام للكلمتين لكن لكل واحدة منهما معناها الخاص بها .

وبعد أن عرض أمثلة يختلف فيها الحرف الأول من الكلمتين أنتقل الى أمثلة أخرى يختلف فيها الحرف الثانى من أحرف الكلمتين فقال :

ومنه القرمة وهى النقرة تحز على أنف البعير

• • • وقلمت أنظفارى فمعناها مختلفان على نحو ما هو واضح
اختلافا بعيدا

قرم / ر /

قلم / ل /

ولكن ابن جنى يوجد بينهما قرابه على نحو ما مر ، فالقرابه بين المعنيين بسبب القرابة بين الحرفين المختلفين فى كل كلمة منهما .

ثم يعقب على المثل بقوله « فالراء أخت اللام والعلمان متقاربان » . أى أن المعنيين متقاربان لتقارب الحرفين ولكن لكل كلمة معناها الخاص بها .

ومثله : الجرفه وهى من = جرف

والجلفة وهى من = جلف = جلفت القلم

• وقريب منه ، كما يقول : الجنف - وهو الميل = (جنف)

جرف / ر /

جلف / ل /

جنف / ن /

اتحدت حروف الكلمات الثلاث الا في الحرف الثانى من كل كلمة وأختلفت المعانى نتيجة لاختلاف هذا الحرف . ولكن لقرب هذه الحروف الثلاثة المختلفة من الصفات اقتربت معانى الكلمات الثلاث ولكن بقيت لكل كلمة دلالتها الخاصة بها . فالقاربة بين الأحرف المختلفة من الكلمات الثلاث قربت بين معانى الكلمات الثلاث وان بقيت لكل كلمة دلالتها .

ومثال آخر للحرف الثانى عندما يختلف فى كلمتين اتحدت حروجهما فيختلف معناهما .

ع ل م = من العلامة - والعلم - ع / ل / م

ع ر م = من بيضة عرما وقطيع أعرم ع / ر / م

أنظر مدى اختلاف المعنى بين الكلمتين ولكن القاربة بين الحرفين المختلفين فيهما قربت معنييهما وان بقيت لكل دلالتها الخاصة بها .

ومن ذلك :

ح م س = من حمس الشر اذا شتد ح / م / س

ح ب س = من حبست الشيء ح / ب / س

اختلاف بين المعنيين ولكن قرابة بين الحرفين المختلفين قربت بين المعنيين العامين على نحو ما شرح ولكن بقيت لكل كلمة دلالتها الخاصة المستقلة بها .

ثم ينتقل بعد ذلك الى أمثلة يختلف فيها الحرف الأخير من الكلمتين ولكن بين الحرفين المختلفين تقارب فيختلف المعنى : ومنه :

العلب = الأثر

والعلم = الشق فى الشفة العليا

والأول من : غلب • غل / ب /

والثانى من : علم • غل / م /

والباء أخت الميم كما يقول • فالقاربة بين الباء والميم قربت بين معنى الكلمتين ولكن لكل واحدة دلالتها ..

ومنه : ق ر د = قالوا للارض قردد قد / د /

و ق ر ت = وقالوا قرت الدم قد / ت /

فالاول من قرد الثى ، وتقرد اذا تجمع

والثانى من قرت الدم عليه أى جمد

ويقول : « والتاء أخت الدال كما ترى ،

والمعنيان مختلفان كما هو واضح - ولكن القاربة بين التاء والدال قربت بين المعنيين على ما أوضح ذلك فى شرحه الذى مر - ولكن بقيت لكل كلمة دلالتها المستقلة •

ومن ذلك : العلز

والعلص

والعلز : خفة وطيش وقلق يعرض للانسان = ع ل ز

وقالوا : العلوص = لوجع فى الجوف يلتوى له الانسان ويطلق منه

= ع ل ص - فالمعنيان مختلفان - ثم يضيف ابن جنى قائلا : « فذاك من علز وهذا من علص والزأى أخت الصاد » -

ومنه : الغرب غر / ب /

و الغرف غر / ف /

والغرب الدلو العظيمة

والغرف معروف

ثم يضيف قائلا : فذاك من غرب غر / ب /

وهذا من غرف • غر / ف /

ومنه أيضا : جبل / ل /

جبن / ن /

جبر / ر /

ثلاث كلمات اختلف فيها الحرف الأخير فقط ولكن لتقاربه كما يقول ابن جنى تقاربت معانيها ، وهو الالتئام والتماسك :

منه الجبل لشدة

و الجبن اذا تماسك (جبن = استمسك وتوقف وتجمع)

و جبرت العظيم ونحوه أى قوته .

فتقارب الحروف المختلفة بينها قرب معناها ولكن بقيت لكل كلمة دلالتها الخاصة بها .

- فتلک دراسة صوتية (فونيمية) للوحدات الصوتية التى يتغير بها معنى الكلمة عن أختها ولكن ابن جنى هنا يرتقى بتلک الدراسة مرحلة أعلى تحل تحت قانون التقارب وقانون التتابع عندما تتقارب الحروف المختلفة فى درس الفونيم تتقارب المعانى العامة للكلمات وان بقيت لكل واحدة دلالتها الخاصة بها

ومما تجدر الإشارة اليه أن ما يذهب اليه ابن جنى فى هذا الصدد يتفق مع ما يراه العلماء المحدثون وما يصنعونه ويتوصلون اليه من قوانين علمية خاصة بقوى الإدراك عند الإنسان . فمثلا هناك قانون التشابه (law of similarity) - وقد جاء هذا القانون ضمن قوانين وضعها فير تيمر (Wertheimer) سنة ١٩٢٣ كمعناصر فعالة فى تكوين أنماط الإدراك الحسى عند الإنسان .

ومؤدى هذا القانون : أن الأشكال المتشابهة تميل الى أن تتجمع فى وحدة إدراكية متكاملة .

وقد استخدم هذا القانون فى مجال التعلم وتبين من تطبيقه أن المعلومات المتشابهة والخبرات المتشابهة على اختلاف أنواعها سواء كانت خبرات معرفية أو خاصة باكتساب مهارة من نوع ما تميل الى التجمع لتكوين وحدات معرفية أو مهارة متكاملة يزيد فيها اتضاح المعنى .

ويمهد هذا القانون لقانون التقارب (Law of proximity) الذى على ضوئه يتضح أن تقارب الأشياء من العوامل المساعدة على ادراك المجموعات الحسية والتجربة التى توضح ذلك أنك عندما ترسم عددا من الخطوط المتوازية على صفحة بيضاء فإن الخطوط المتقاربة تميل الى تكوين وحدات فمثلا : الخطوط المرسومة يدركها الانسان على هيئة مجموعات حسب تقاربها (١٩) يوحد ادراك الانسان بين كل مجموعة وأخرى وهكذا الشأن فى الادراك اللغوى. بالنسبة للكلمات .

/// /// // // ///

ويوضح ما نحن بصحده أيضا قانون التبعية (Law of belongingness) ومؤداه أن الفرد أقدر على تعلم الأشياء التى يرتبط بعضها مع البعض الآخر (٢٠)

فالادراك الحسى فى المجال اللغوى عند الانسان شأنه شأن الادراك فى بقية المجالات يربط بين الأشياء المتشابهة على اختلاف أنواعها ليكون وحدات معرفية أو مهارة معينة متكاملة ولتكن مهارة لغوية يزيد بسببها اتضاح المعنى وينتج عنها التداعى عند اللزوم سواء ما يتصل بالكلمات أو المعانى ولاسيما فى بيئه بدوية صحراوية تعتمد فيها المهارة اللغوية على الذاكرة وتداعى المعانى والكلمات ليعبر بها المتكلم فى طلاقة ومهارة فى فصاحة .

فابن جنى قريب فى تفسيره من روح البيئة وطبيعة العصر ولاغرابه فى ذلك فمعايشته للأعراب والناطقين بالعربية فى بيئاتها الزمانية والمكانية معايشة اختلاط وتشرب لروح اللغة كشفت له أبعادها الحقيقية وبصرته بحقيقة اللغة (وسيكولوجيتها) و (سيكلوجية) الناطقين بها . وهذا يريك كيف أن معانى الكلمات كانت ترتبط بما فى البيئة من محسوسات وتنبثق عنها وإن هو الا تداعى ، وتقارب فينبثق معنوى من محسوس ويتفاعل

(١٩) أنظر كتاب التعلم : دراسة نفسية تفسيرية توجيبية . د . رمزية الغريب . (الأنجلو المصرية) ص ٢٧٥ / ٢٧٦ وأقرأ غير ذلك من قوانين تتصل بهذا .

(٢٠) السابق : التعلم دراسة نفسية . ص ١٢٩ .

معنوى مع حسى فيتولد معنى جديد وهكذا تقتتابع الرموز مع الأشياء مع المعانى فى تفاعل وتضاع لايقدر على تتبعه الا من ألهم الاحاطة بها وعائش مستعملى اللغة فى زمانها ومكانها معايشة تشرب وفهم ودرس ووفق للمنهج ورزق البصيرة والجُدد وهذا ما يكشف عنه عمل ابن جنى الذى بين أيدينا . . .

ثم يعقب ابن جنى هذه المرحلة من البحث بمرحلة أعلى حيث يتغير فيها معنى الكلمتين بتغير أصليين من الأصول الثلاثة ويبقى أصل واحد فقط هو المتحد فى الكلمتين - مع ملاحظة وجوب وجود قانون التشابه السابق (law of similarity) أو قانون التقارب (law of proximity) الذى سبقت الإشارة اليه - فالأصلان اللذان تغير بموجبهما معنى الكلمتين متقاربان فقرب ذلك بين معنى الكلمتين ولكن بقيت لكل دلالتها الخاصة - وبقي لها معناها المميز .

يقول ابن جنى فى ذلك (٢١) : -

« وقد تقع المضارعة فى الأصل الواحد بالحرفين نحو قولهم : السحيل ، والصهيل - قال (٢٢) .

كان سحيله فى كل فجر على أحساء يؤود دعاء (٢٣)

وذاك من (/ س / / ح /)

وهذا من (/ ص / / ه /)

والصاد أخت السين - كما أن الهاء أخت الحاء

ونحو منه قولهم (سحل) فى الصوت و(زحر) والسين أخت الزاى كما أن اللام أخت الراء .

(٢١) بعد قوله السابق مباشرة . (الخصائص) : السابق ح ٢ ص ١٤٩

(٢٢) زهير بن أبى سلمى فى قصيدة التى مطلعها :

غفسا من آل فاطمة الجواء فيمن فالقوادم فالأحساء

(٢٣) يتحدث عن الحمار الوحشى . وسحيله = صوته - ويؤود :

واد فى أرض عطفان والأحساء : الرمال يكون فيها الماء - وأنظر الديوان بشرح ثعلب طبعة الدار ٧٠

وقالوا (جلف - وجرم) - فهذا للقشر - وهذا للقطع - وهما متقاربان
معنى متقاربان لفظا - لأن ذاك من (ج ل ف) وهذا من (ج ر م)
وقالوا : صال يصول - كما قالوا : سار يسور :

ثم يعقب ابن جنى هذه المرحلة بمرحلة أعلى حيث يتغير معنى الكامتين بتغير
الأصول الثلاثة - مع ملاحظة وجوب وجود قانون التشابه السابق - أو
قانون التقارب - فتقارب الأصول الثلاثة رغم تغيرها قرب بين معنى الكلمتين
وإن اختلفت دلالة كل واحدة منهما عن الأخرى .

يقول ابن جنى متبعا قوله السابق (٢٤) .

« نعم وتجاوزوا ذلك الى أن ضارعوا بالأصول الثلاثة (الفاء والعين
واللام) فقالوا : عصر الشيء ، وقالوا أزله ، إذا حبسه - والعصر ضرب من
الحبس . وذاك من عصر ، وهذا من أزل - والعين أخت الهمزة والصاد أخت
الزاي - والراء أخت اللام .

وقالوا لازم : المنع - والعصب : الشد ، فالمعنيان متقاربان - والهمزة أخت
العين والزاي أخت الصاد ، والميم أخت الباء وذاك من أزم وهذا من عصب .

وقالوا : السلب والصرف ، وإذا سلب الشيء فقد صرف عن وجهه فذاك
من سلب وهذا من صرف والسين أخت الصاد واللام أخت الراء والباء أخت
الفاء .

وقالوا : الغدر كما قالوا : الختل ، والمعنيان متقاربان ، واللفظان
متراسلان فذاك من غدر وهذا من ختل فالعين أخت الخاء والدال أخت
التاء والراء أخت للام .

وقالوا : زار كما قالوا سعل لتقارب اللفظ المعنى .

وقالوا عن بالمكان كما قالوا تأطر أى أقام وتلبث .

وقالوا : شرب كما قالوا : جلف لأن شارب الماء مضن له ، كالجلف للشيء
وقالوا : آتته حقه ، كما قالوا عانده وقالوا : الأرفة للحببين الشبيبين كما

(٢٤) الخصائص (السابق) ص ١٥٠ .

قالوا : علامة - وقالوا : ففز كما قالوا كبس • وذلك أن القافر إذا استقر
على الأرض كبسها - وقالوا سهل كما قالوا : زار •

وقالوا : الهتر ، كما قالوا : الادل (٢٥) وكلامهما : العجب •
وقالوا : كلف به كما قالوا تقرب منه ، وقالوا تجعد كما قالوا : شحط
وذلك أن الشيء إذا تجعد وتقبض عن غيره شحط وبعد عنه - ومنه قول
الأعشى :

إذا نزل الحى حل الجحيش شقيا غويا مبينا غيورا (٢٦)

وذاك من تركيب (جعد) وهذا من تركيب (شحط) فالجيم أخت الشين
والعين أخت الحاء والدال أخت الطاء -

وقالوا (السيف) و (الصوب) وذلك أن السيف يوصف بأنه يرسب
في الضريبة لحدته - ومضائه ولذلك قالوا : سيف رسوب وهذا هو معنى :
صاب يصوب إذا انحدر - فذاك من (سيف) وهذا من (صوب) فالسين
أخت الصاد - والياء أخت الواو - والفاء أخت الباء •

وقالوا : جاع يجوع - وشاء يشاء - والجائع يريد الطعام لامحالة -
ولهذا يقول المدعو إلى الطعام إذا لم يجب : لا أريد - وليست اشتهى - ونحو
ذلك • والارادة هي المشيئة فذاك من (جوع) وهذا من (شىء) والجيم
أخت الشين - والواو أخت الياء والعين أخت الهمزة •

وقالوا : فلان جلس بيته إذا لازمه - وقالوا ارز الى الشيء إذا اجتمع
نحوه - وتقبض اليه ، ومنه : أن الاسلام ليأرز الى المدينة وقال (٢٧) •

(٢٥) هذا صحيح في الهتر • جاءت به اللغة - فأما الادل فهو وجع يأخذ
في العنق وهو أيضا اللبن الخاثر الشديد الحموضة •
(٢٦) في رواية : حريد المحل غويا غيورا •

وهو في وصف رجل غيور على امرأته فإذا نزل بها في السير اعتزل القوم
بها - وأنظر الصبح الخير ٦٨ - واللسان (جحش) والجحيش يروى بالنصب
على الظرفية أى المكان المنفرد - ويروى بالرفع أى زوجها المعتزل بها عن الناس •
(٢٧) زهير •

فذاك من (ح ل س) وهذا من (أ ر ز) فالحاء أخت الهمزة واللام أخت الراء والسين أخت الزاى .

ونالوا : أفل . كما قالوا غبر لأن أفل : غاب ، والغابر : غائب أيضا
فذاك من (أ ف ل) - وهذا من (غ ب ر) فالهمزة أخت الغين والفاء أخت الباء واللام أخت الراء .

وهذا الذخو من الصنعة موجود في أكثر الكلام وفرش اللغة ، وانما بقى من يثيره ويبحث عن مكنونه - بل من اذا أوضح له ، وكشفت عنده حقيقته طاع طبعه لها نوعاها وتقبلها وهيئات ذلك مطلبا ، وعز فيهم مذهبها وقد نال أبو بكر (٢٩) ، من عرف ألف - ومن جهل استوحش » (٣٠) .

فابن جنى يتابع دراسة الظاهرة اللغوية التي هو بصدد استقصائها في كل أوضاعها وجميع حالاتها رابطا واقع اللغة المحسوس بعالمها المنوى مستخدما في ذلك حسه اللغوى وتشربه لروح اللغة التي ملكت عليه مشاعره وأحاسيسه فوعاها وتمثلت خصائصها له فآخذ يقدمها في منهج وصفى تطيلي .

وهو يرتقى مرحلة أعلى من الدرس والبحث والتأمل في بيان تلك الخاصة التي تعرف في الدرس اللغوى الحديث بظاهرة « الفوينم » الواحدات الصوتية التي يتغير بموجبها معنى كلمة عن أخرى اتحدت حروفها واختلفت حرف واحد منها فأعطى كل واحدة معنى مخالفا وقد تحدث في المرحلة التي مرت عن الثنائيات الصوتية (Minimal Pairs) أى عندما يكون الاختلاف بين الكلمتين في حرف واحد (أو وحدة صوتية واحدة (Unit)

-
- (٢٨) أرزه الفقارة : أى قوية - وهو من وصف الناقة وذلك أن فقارها .
آرز : متداخل مجتمع : وذلك من قوتها - « ومن لم يخنها » : لم ينقصها .
والقطاف : مقاربة الخطو - والخلاء في الأبل كالحران في الدواب .
أنظر الديوان - يشرح ثعلب (الدار) ٦٣ .
(٢٩) ابن السراج .
(٣٠) الخصائص (السابق) ص ١٠٢ .

ولكنه ركز حديثه على الوحدات اللغوية المختلفة عندما تقتارب فيتم
نتيجة لتقاربها تقارب في المعنى .

وهو في المرحلة التي بين أيدينا الآن يرتقى بالوحدات الصوتية المختلفة
مرتبة أعلى فبذل أن تكون في كل كلمة وحدة صوتية واحدة مختلفة يجمع
الاختلاف بين وحتين في كل كلمة من الكلمتين أى يبقى حرف واحد فقط من
الأصول الثلاثية للكلمة هو المتحد في الكلمتين ويختلف من كل كلمة حرمان
ولكن تجمعها صلة القربى اما في المخرج والما في الصفات ما بين عامة وخاصة
وبسبب التقارب بين هذه الحروف المختلفة يتم تقارب بين المعانى العامة للكلمات
ولكن تظل لكل كلمة دلالتها الخاصة بها . ومن الأمثلة على ذلك ما يأتى به
حيث يقول :

• وقد تقع المضارعة في الأصل الواحد بالحرفين نحو قولهم :

السحيل س ح ل = سحل .
والصهيل ص هـ ل = صهل .

ثم يقول : الصاد أخت السين

كما أن الحاء أخت الهاء

السحيل = صوت الحمار الوحشى .

والصهيل = صوت الحصان .

ثم يقول : ونحو منه :

سحل س ح ل
وزحر ز ح و

ثم يقول : والسين أخت الزاي

كما أن اللام أخت الراء

وقالوا : جلف

وجرم

فالاول للتشر - والثانى للقطع .

ثم يقول : وهما متقاربان معنى - متقاربان لفظا .

لأن ذاك من جلف

وهذان جرم

وقالوا : صال يصول

كما قالوا : سار يسور

ثم يرتقى ابن جنى بالوحدات الصوتية المختلفة الى مرتبة النهاية فيجد أن كان الاختلاف بين وحدتين في كل كلمة من الكلمتين أى أن الاتحاد كان في أصل واحد من الأصول الثلاثية للكلمة يجعل الاختلاف بين الكلمتين في الأصول الثلاثة ولكن تجمع هذه الثلاثة المختلفة صلة القربى اما في المخرج أو الصفات ما بين عامة وخاصة - ويسبب هذا التقارب بين هذه الأصول الثلاثة في الصفات العامة أو الخاصة تقاربت المعانى العامة للكلمتين وان ظلت لكل كلمة دلالتها الخاصة بها . . فتقارب الأصول رغم تنوعها قرب معنى الكلمتين ولكن ظل لكل كلمة معناها الخاص بها ومن الأمثلة على ذلك ما يأتى به ابن جنى حيث يقول :

• نعم وتجاوزوا ذلك الى ان ضارعوا بالأصول الثلاثة (الفاء والعين

والسلام) (٣١) .

فقالوا : عصر الشيء = ع ص ر

وقالوا : ازله = أ ز ل اذا حبسه -

والعصر ضرب من الحبس :

فهذا من : ع ص ر

وهذا من : أ ز ل

والعين أخت الهمزة

والصاد أخت الزاى

والراء أخت اللام

(٣١) من الواضح أنه يتحدث عن بنيات شكلية وصيغ صرفية • دون أن يحدد مادة بعينها فهذا ينطبق على أى مادة -

وقالوا : الأزم = المنع = أزم
والعصب = الشد = ع ص ب

فالمعنيان متقاربان

والهمزة أخت العين

والزاي أخت الصاد

والميم أخت الباء

• وذلك من أزم

• وهذا من عصب

وقالوا : السلب = سلب

و الصرف = صرف

وإذا سلب الشيء فقد صرف عن وجهه

فذلك من س ل ب

وهذا من ص ر ف

• والسين أخت الصاد

• واللام أخت الراء

• والباء أخت الفاء

وقالوا : الغدر = غ د ر

كما قالوا : الختل = خ ت ل

• والمعنيان متقاربان

• واللفظان متراسلان

• فذلك من : غ د ر

• وهذا من : خ ت ل

فالفين أخت الخاء

والدال أخت التاء

والراء أخت اللام

قالوا : زار = زار .

كما قالوا : س ع ل = سعل

لتقارب اللفظ والمعنى .

وقالوا : عدن بالمكان ع د ن

كما قالوا : تاطر أى أقام وتلبث ا ط ر

وقالوا : شرب ش ر ب

كما قالوا : ج ل ف جلف

لأن شارب الماء مفن له - كالجلف للشيء

ش - ج

ر - ل

ب - ف

كما قالوا : الته حقه = أ ل ت

كما قالوا : عانده = ع ن د

ا - ع

ل - ن

ت - د

وقالوا : الأرفة للحدبين الشينين ا ر ف

كما قالوا : علامة ع ل م

ا - ع

ر - ل

ف - م

وقالوا : قفز = ق ف ز

كما قالوا : ك ب س = ك ب س

وذلك إن القافز إذا استقر على الأرض كبسها .

وقالوا : صهيل = ض ه ل

كما قالوا : زار = ز ا ر

ص - ز

ه - ا

ل - ر

وقالوا : الهتر ه ت ر

كما قالوا : الادل ا د ل

وكلامها التعجب .

وقالوا : كلف به ك ل ف

كما قالوا : تقرب منه ق ر ب

ك - ق

ل - ر

ف - ب

وقالوا : تجعد ج ع د

كما قالوا : شحط ش ح ط

وذلك أن الشيء إذا تجعد وتقبض عن غيره شحط وبعد عنه .

وذاك من تركيب ج ع د

وهذا من تركيب ش ح ط

فالجيم أخت الشين

والعين أخت الحاء

والدال أخت الطاء

وقالوا : السيف س ي ف

والصوب ص و ب

وذلك أن السيف يوصف بأنه يرسب في الضريبة لحقته ومضائه ولذلك

قالوا سيف رسوب وهذا هو معنى صاب يصوب إذا انحدر .

فذلك من سيف س ي ف
وهذا من صوب ص و ب

فالسین أخت الصاد
والياء أخت الواو
والفاء أخت الباء

وقالوا : جاع يجوع
وشاء يشاء

والاجائع مريد الطعام لا محالة - ولهذا يقول المدعو للطعام اذا لم يجب
لا أريد - والارادة هي المشيئة

فذلك من (ج و ع)
وهذا من (ش ي ا)
والجيم أخت الشين
والواو أخت الياء
والعين أخت الهمزة

وقالوا : فلان حلس بينه اذا لازمه ح ل س
وقالوا : أرز الى الشيء اذا اجتمع نحوه أ ر ز
فذلك من ح ل س
وهذا من أ ر ز

فالحاء أخت الهمزة
واللام أخت الراء
والسين أخت الزاي

وقالوا : أقل أقل

كما قالوا : غ ب ر غ ب ر

لأن أقل = غاب

والغابر = غائب أيضا

وهذا من غير

فذلك من أقل

فالهمزة أخت الفين

والفاء أخت الباء

واللام أخت الراء

وإن الذى جمعه السيوطى داخل فى هذه المرحلة ويمثل مرحلة عند ابن جنى
بوصى تلك المرحلة الأولى التى تعرف فى الدراسة اللغوية الحديثة بالفونيم
(phonem) وهو الوحدة الصوتية الصغرى التى تختلف فى كلمتين اتحدتا فى
المكونات فيتغير بموجب هذه الوحدة اللغوية الصغرى المعنى نمثلا قريم ، تلم =
كلمتان اتحدتا فى المكونات ق م واختلفت الأولى بأنز اختصت بالراء واختصت
الثانية باللام فتغير بموجب هذه الوحدة الصغرى معنى الأولى عن معنى الثانية .
ومثال آخر أيضا جرف - جلف - جنف المكوّنات فى الكلمات واحدة
الجيم والفاء فى الثلاث واختصت الأولى بالراء فتغير بموجبها معناها واختصت
الثانية باللام فتغير بموجب هذه الوحدة الصوتية الصغرى وهى اللام معنى الكلمة
الثانية - واختصت الثالثة بالفون فتغير بموجب هذه الفون معنى الكلمة
الثالثة - من ثم يعد هذا الحرف الذى يتغير بموجب المعنى «فونيم» - غالفونيم
هو الوحدة الصوتية الصغرى الذى يتغير بموجب المعنى وهذا ما أوضحه ابن
جنى ولكن ابن جنى زاد فى هذه النظرية المحدثّة أن ارتقى فى دراستها مرحلة
تلو مرحلة على نحو ما رأينا قاتن جنى فى هذه الدراسة رائد - وتلك النظرية
اللغوية المحدثّة هى فى تراثنا ذات أبعاد ولها مراحل ومراتب لم يصل إليها
الغربيون حتى اليوم وذلك بسبب ما تتمتع به العربية من خصائص لا توجد
فى غيرها .

ومن ناحية ثانية فإن السيوطى لم يزد فيما جمع من مادة تحت عنوان
الناسبة الطبيعية بين اللفظ والمعنى عن هذه المرحلة الأولى عند ابن جنى التى
تمثل نظرية الفونيم عند الغربيين وسوف يتبين من التحليل أن جميع المادة
التي جمعها السيوطى عن أئمة اللغة فى هذا الصدد تتصل بتلك المرحلة ولا تزيد
فهنا نظرية لغوية مستقلة وضع أسسها ابن جنى وجمع المادة الخاصة بها
السيوطى ولهذه النظرية قيمتها فى الدراسة اللغوية وهى عند الغربيين من

أحدث نظرياتهم في اللغة فمن الظلم للفتنا ولعلمائنا أن ندع ريادةهم في اكتشاف النظريات اللغوية ووضع أسسها ونشبت بما لا نفع فيه - وأن نحصر فكرنا داخل دائرة المناسبة أو الرمزية .

وندع ما توصل اليه ابن جنى من قولين تتصل بهذه النظرية مما تمثل خصائص للعربية طبقها ابن جنى ولم يصل اليها غيره وتحصر فكره وفكر علمائنا داخل أوامم المناسبة بين اللفظ والمعنى .

فقد طبق ابن جنى بفطرته على بعض الظواهر اللغوية الموجودة بين أيدينا قوانين متعددة توصل اليها العلماء المحدثون أخيرا واستنادوا منها في مجالات مختلفة (٣٢) ٠٠٠,٠٠٠ وقد جاء تطبيق ابن جنى لها معتمدا على دقته في الملاحظة مع فهمه لروح اللغة ودقة حسه فيها وتفاعله تفاعلا قويا في معاشته للناطقين بها وفهمه لاستعمالاتهم وربطهم بين الرمز اللغوي والشيء الدال عليه والمعنى المختزن له في الذهن .

وإن ما يعرف اليوم بقانون التبعية (law of belongingness) الذى مؤداه أن الانسان يتعامل مع الأشياء المحيطة به عن طريق ترابط يكون حالة اتباعية استجابات بين الإدراك الحسى والدركات ، وأن ادراك الانسان يربط الأشياء بعضها ببعض مما ينتهى بالمخزون المدرك عند الاستدعاء الى حالة تداعى المعاني حيث يدعو بعضه بعضا . وبذلك تتحقق تبعية الاستجابات للمواقف - وقد استفيد من هذا القانون في مجالات متعددة ومن أهمها مجال التعلم حيث ان التعلم يكون اسرع في التكوين في حالة تبعية الاستجابات للمواقف (٣٣) ٠٠٠ وهذا له اليوم في مجال الدراسات اللغوية النفسية أهمية بالغة ٠٠٠,٠٠٠ - فإين هى الرمزية الصوتية في كل هذا ، فإذا جئنا اليوم وحصرنا هذا الجهد الخلاق في مجال دائرة الرمزية الصوتية والعلاقة أو المناسبة الطبيعية بين الألفاظ والمعانى نكون

(٣٢) منها ما يتصل بعلم النفس اللغوى (psycholinguistics) ومنها ما يتصل بالإدراك الحسى عند الانسان والجهاز العصبى والوظائف العصبية Cellular functions ومنها ما يتصل بعملية التعلم .

(٣٣) اقرأ : التعلم (السابق) - ص ١٢٩ .

قد أسانا الى تراثنا والى فكر علمائنا • وإن ما صنعه ابن جنى في هذا المجال يعد نموذجاً يحتذى تطبيق عليه أعمال اللغويين العرب القدماء الذى جمعه جلال الدين السيوطى واتخذ منه معصداً وسنداً لایمانه بقضية المناسبة الطبيعية : : : : : أو الرمزية الصوتية ••

ونتناول بالتحليل الأساس الذى بنى عليه الدكتور صبحى الصالح رأيه فى هذه القضية •

وأن نظرة واحدة على ما قدمه جلال الدين السيوطى تكشف عن مدى مسئوليته عما آل اليه الأمر فى هذه القضية : : : : : فقد جمع حشداً من أقوال العلماء ليؤيد وجهة نظره فى هذه القضية التى صهرها فى بوتقة توقيفية اللغة واتخذ الدكتور صبحى الصالح منها أساسه ومنطلقه -

ونعرض نص ما جاء عند السيوطى •

فقد جاء بعد نصه السابق مباشرة وتكملة له قوله : (٣٤) •

« وقد عقد ابن جنى فى الخصائص باباً لمناسبة الالفاظ للمعانى وقال : اعلم أن هذا موضع شريف لطيف وقد نبه عليه الخليل وسيبويه وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته ، : : : : : »

وبعد أن استوفى من ابن جنى ما أراد جاء قوله :

« قلت ومن أمثلة ذلك ما فى الجمهرة : الخنق الكلام أشد من الفن والحنة أشد من الغنة والأنيت أشد من الأنين ، والرنين أشد من الحنين •

وفى الابدال لابن السكيت يقال : القبض أصغر من القبضة •

قال فى الجمهرة : القبض الأخذ بأطراف الأنامل والقبض الأخذ بالكف كلها •

وفى الغريب المصنف عن أبى عمرو : هذا صوغ هذا ، إذا كان على قدره ، وهذا سوغ هذا إذا ولد بعد ذلك على أثره ويقال نقب على قومه ينتقب نقابة من النقيب وهو العريف ، ونكب عليهم ينكب نكابة وهو عون العريف •

وقال الكسائي : القضم للفرس ، والخضم للانسان .

وقال غيره : القضم باطراف الاسنان ، والخضم بأقصى الاضراس .

وقال أبو عمرو : النضج بالضاد المعجمة : الشرب دون الزى ، والنضج بالصاد المهملة : الشرب حتى يروى والنشح بالشين المعجمة دون النضج بالصاد المعجمة .

وقال الأصمعي من أصوات الخيل : الشخير والنخير والكريير فالأول من النخم والثاني من المنخيرين والثالث من الصدر .

وقال الأصمعي : البتل من المطر أصغر من البطل .

وفي الجمهرة العططة باهمال العين تتابع الأصوات في الحرب وغيرها ، والنظنطة بالأعجام صوت غليان القدر وما أشبهه - والجمجمة بالجيـم أن يخشى الرجل في صدره شيئا ولا يبيده - والحممة بالحاء أن يردد الفرس صوته ولا يصيل والذداح بالذال : الرجل القصير والرحراح بالراء : الاناء القصير الواسع ، الجففة بالجيـم : هزيز الموكب وخفيفه في السير - والأحففة بالحاء حفيف جناحي البطائر - ورجل دحاح بفتح الدالين واهمال الحاءين : قصير - ورجل دخخ بضم الدالين واعجام الخاءين : قصير ضخم والجرجرة بالجيـم : صوت جرع الماء في جوف الشارب - والخرخرة بالحاء : صوت تردد النفس في الصدر ، وصوت جرى الماء في مضيق - والدردرة حكاية صوت الماء في بطون الأودية وغيرها إذا تدافع فسمعت له صوتا - والغرغرة : صوت ترديد الماء في الحلق من غير مج ولا اساعة - والقرقرة : صوت للشراب في الحلق - والهرهرة : صوت ترديد الأسد زئيره - والكككة : صوت ترديد البعير مديده - والقيقبة : حكاية استغراب الضحك - والوعوعة : صوت نجاح الكلب إذا رده - والوقوقة : اختلاط أصوات الطير - والوكوكة : مديـر الحمام - والزغزة بالزاي : اضطراب الأشياء بالريح - والززعزة بالراء : اضطراب الماء الصافي والشراب على وجه الأرض - والزغزة بالزاي واعجام الغين : اضطراب الانسان في خفة ونزق - والكركرة بالكاف = الضحك والقرقرة بالقاف : حكاية الضحك إذا استغرب الرجل

فيه : والزفرقة بالراء : صوت اجحة الطائر اذا حام ولم يديرج - والزفرقة بالزاي : صوت خفيف الريح الشديدة الهبوب .

وتسمعت زفرقة الموكب : اذا سمعت هزيمة والسفينة باعمال البين : تحريك الشيء من موضعه ليقطع مثل الوند وما اشبهه ومثل السن - والسفينة بالاعجام : تحريك الشيء من موضعه ليتمكن يقال : شغشغ السنان في الطخة اذا حركه ليتمكن - والو موسسة بالسين : حركة الشيء كالخلى - والوشوشة بالاعجام : حركة القوم وهمس بعضهم الى بعض ، (٣٥) .

الى هنا وما عرضه جلال الدين السيوطي تكمن وراءه نظرية لغوية توصل الغربيون اليها وليس ببعيد أن يكون هاديتهم الى اكتشاف تلك النظرية ما عرضه علماء العربية في التراث مما هو خاص بهذه الظاهرة . .

وفي رأيي أن علمائنا كان من الممكن أن يتنبهوا الى تلك النظرية (٣٦) ففى بين أيديهم وفي تراثهم ومادتي مجموعة غير أن جلال الدين السيوطي قد حصر فكر الباحثين في ذلك الوادى الذى حدد أبعاده حيث جاء يعد نصه السابق قوله الآتى : -

« فانظر الى تديع مناسبة الألفاظ لمعانيها ، وكيف فاوتت العرب في هذه الألفاظ المقترنة المتقاربة في المعانى ، فجعلت الحرف الأضعف فيينا والأكين والأخفى والأسيل والأهمس لما هو أدنى وأقل وأخف عملاً أو صوتاً .

وجعلت الحرف الأقوى والأشد والأظهر والأجهر لما هو أقوى عملاً وأعظم حساً » (٣٧) . .

ثم يتبع ذلك مباشرة بفيض من الأمثلة على نحو السابق مباشرة .

فيقول :

« ومن ذلك المد والمط فان فعل المط أقوى - لأنه مد وزيادة جذب فناسب

(٣٥) السيوطي : المزهري (السابق) ص ٥٣/٥٢٥ .

(٣٧) السيوطي (السابق) ص ٥٣ .

الطاء التي هي أعلى من الدال - قال ابن دويد : المحاولت والمط متقاربة في
المعنى •

ومن ذلك الجف بالجيم وعاء الطلعة (٣٨) إذ جفت - والخف بالخاء :
الملبوس - وخف البعير والنعامة :

ولاشك أن الثلاثة أقوى وأجلد من وعاء الطلعة فخصت بالخاء التي هي أعلى.
من التجم •

- وفي ديوان الأدب للفارابي : الشازب : الضامر من الابل وغيرها ،
والشاصب أشد ضمرا من الشازب - وفيه قال الأصمعي : ما كان من الرياح
من نفخ فهو بارد وما كان من نفع فهو حر -

- وفي فقه اللغة للثعالبي : إذا انحسر الشعر عن مقدم الرأس فهو أجلح -
فإن بلغ الانحسار نصف رأسه فهو في أجلى وأجله (٣٩) •

وفيه النقش في الحائط - والرقش في القرطاس ، والوشم في اليد ،
والوسم في الجلد والرشم على الحنطة والشعير ، والوشى في الثوب •
وفيه الحوص : ضيق العينين - والخوص : غؤورها مع الضيق •
وفيه : اللسب : من المعرب ، واللسع : من الحية •
وفيه وسخ الأذن : أف - ووسخ الأظفار تف •
وفيه اللثام : النقاب على حرف الشفة ، واللفام على طرف الأنف •

وفيه الضرب بالراحة على مقدم الرأس : صقع - وعلى القفا : صنع -
وعلى الخد ببسط الكف لطم وبقبض الكف لكم وبكلتا اليدين لدم - وعلى
الجبين بالاصبع : وخز ، وعلى الصدر والجنب وكز ولكز ومع الحنك والمزقن :
وهز - ولهز •

(٣٨) الطلعة واحدة نور النخل مادام في الكافور •
(٣٩) الذي في الثعالبي : إذا انحسر الشعر عن جانبي جبهته فهو نزع.
فاذا زاد قليلا فهو أجلح •

وفيه : اذا اخرج المكروب أو المريض صوتا رقيقا فهو الرنين ، فان اخفاه فهو الهنين ، فان أظهره فخرج خافيا فهو الحنين ، فان زاد فهو الأنين ، فان زاد في رفعه فهو الخنين (٤٠) .

ثم بعد أن ينتهى السيوطى من نصه السابق يتبعه أيضا بقوله : « فانظر الى هذه الفروق واشباهها باختلاف الأحرف بحسب القوة والضعف ، وذلك في اللغة كثير جدا ، وفيما نوردناه كفاية » (٤١) .

ويتخذ الدكتور صبحى الصالح من هذه النصوص الأساس الذى بنى عليه إيمانه بقضية الرمزية الصوتية .

يقول : « أما الذى نريد الآن بيانه فهو مالا حظه علماؤنا من مناسبة حروف العربية لمعانيها ، وما لحوه في الحرف العربى من القيمة التعبيرية الموحية ، اذ لم يعنهم من كل حرف أنه صوت ، وإنما عناهم من صوت هذا الحرف أنه معبر عن غرض ، وأن الكلمة العربية مركبة من هذه المادة الصوتية التى يمكن حل أجزائها الى مجموعة من الأحرف الدوال المعبرة ، فكل حرف منها مستقل ببيان معنى خاص مادام مستقل بإحداث صوت معين ، وكل حرف له ظل واشعاع اذا كان لكل حرف صدى وإيقاع .

واثبتات القيمة التعبيرية للصوت وهو حرف واحد في كلمة كاثبات هذه القيمة نفسها للصوت المراكب وهو ثنائى لا أكثر ، أو ثنائى الحق به حرف أو أكثر ، أو ثلاثى مجرد ومزيد ، أو رياعى منحوت ، أو خماسى أو سداسى على طريقة العرب مشتق أو مقيس .

لكل حال من هذه الأحوال التى تبدو لك أول الأمر الغازا معقدة أو طلاسما محيرة فكر علماء العرب الأمثلة واحتجوا بالشواهد التى لا يسهل دفعها ، فقد مالوا الى الاختتاع بوجوب التناسب بين اللفظ ومدلوله ، في حالتى البساطة وطورى النشأة والتوليد ، وصورتى الذاتية والاكتساب .

(٤٠) السيوطى الزهر (السابق) ص ٥٤/٥٥ .

(٤١) السابق ص ٥٥ .

ـ معنى خال البساطة تراوا الحروف الواحد ـ وهو جزء من كلمة ـ يقع على صوت معين ؛ ثم يوضح بالمعنى المناسب ؛ سواء كان في أول اللفظ أم وسطه أم آخره (٤٢) .

ويأتى بأمثلة من خصائص ابن جنى ومن تعليقاته لنا وقع في أول الكلمة ووسطها وآخرها فمما وقع في أولها (٤٣) : ـ

صعد ـ وسعد (٤٣)

خضم ـ وقضم (٤٤)

وسد ـ وصد (٤٥)

وهذا هو الذى قلنا عنه انه يتصل بنظرية الفوينم بمفهومها الحديث ويتدرج بها مرتبة تلو أخرى فهو يتحدث عن الوحدات الصوتية التى بموجبها يتغير معنى كلمة عن معنى كلمة اتخذت حروفها ؛
ونتناول بالتحليل هذه الأمثلة : ـ

صعد

سعد

ص ع د = فهذه لصعود الجسد ولما يشاهد من الأعمال المعالجة المتجشمة .
س ع د = وهذه الثانية لصعود الجد ولما تعرفه النفس وإن لم تره العين .

الحروف فى الكلمتين واحدة عدا وحدة صوتية واحدة اختلف بموجبها معنى كلمة عن الأخرى ـ فإل الصاد هى التى أعطت المعنى الأول ـ والسين هى التى أعطت المعنى الثانى ـ فالحروف الباقية متشابهة فى الكلمتين فهى واحدة .

(٤٢) دراسات فى فقه اللغة . د . صبحى الصالح ـ دار العلم للملايين بيروت ط ٧ ص ١٤٢ .

(٤٣) الخصائص ١ / ٥٥٣ .

(٤٤) الخصائص ١ / ٥٤٩ .

(٤٥) الخصائص ١ / ٥٥٣ .

ان كان الأمر كذلك فلننظر في الكلمتين اللتين يعدهما وهما :

ص د

س ذ

هذه هي الصاد في كلمة وتلك هي السين في كلمة أخرى اتحدت مكونات الكلمتين واختلفت وحدة صوتية واحدة وهي الصاد في الأولى والسين في الثانية أيضا أين هو صعود الجسد وما يشاهد من الأفعال المعالجة المتجسمة - وأين هو صعود الجسد وما تعرفه النفس وان لم تره العين •

أنظر : سد = السد للباب وقد يكون لثقب الكوز ورأس القارورة •

وصد = الصد جانب الجبل والوادي والشعب •

فأينت هي المناسبة الطبيعية هنا بين الحرف وما يرمز اليه - سواء بين الصاد والسين أو بين بقية الحروف المجتمعة في الكلمتين •

ان النظرية واضحة وقد اعتدى اليها علماء العربية القدماء وهي التي تعرف اليوم في الحراسة اللغوية الحديثة بنظرية « الفوينم (Phoneme) » وهي الوحدة الصوتية الصغرى التي بموجبها يتغير معنى كلمة عن معنى كلمة أخرى اتحدت مكوناتهما واختلفت وحدة صوتية صغرى واحدة فيهما فيتغير بموجبها معنى الكلمتين (Minimal Pairs)

خضم

قضم

الخضم لأكل الرطب

القضم الصلب اليابس

ق ت ر

ق ط ر

ق د ر

وسيلة

وصيلة

قد تكون الوحدة الصوتية التي يتغير بموجبها معنى الكلمتين في أول الكلمة ، على نحو ما مر في المثال الأول - وقد تكون في وسطها على نحو ما نرى في هذه الأمثلة وقد تكون في آخرها على نحو هاتين الكلمتين الآتيتين :

ن ض ح

ن ض خ

ولكن الدكتور صبحي الصالح يدل أن يرى الأمر من هذه الزاوية الواضحة
يطالعك تملتيه الآتي :

• وإذا كان علماء العربية قد استشهدوا بالأمثلة السابقة على القيمة التعبيرية للحرف الواحد وهو بسيط يقع في أول الكلمة تارة ، وفي وسطها تارة أخرى ، وفي آخرها أحيانا - فما جاءوا يشواهدهم تلك سدى ولا القوا بيبا جزافا ، بل اعتقدوا أن في تقديم ما قدم منها وتأخير ما أخر وترتيبها على نحو معين أسراراً مدهشة يعجب الباحث اليوم كيف تنبهوا إليها واستنبطوها ويكاد يسلم بها ولو استشعر فيها الكثير من التكلف « (٤٦) » .

الواقع أنه ليست هناك أسرار مدهشة ، ولكن الباحث حقا يعجب بنظرات علماء العربية الصائبة في اللغة ويسلم لهم بالسبق والريادة في مجال الدراسات اللغوية ونظرياتها ولا يستشعر فيها لا كثيرا من التكلف ولا قليلا .

وان كان الدكتور هنا يصفها بالكثير من التكلف على نحو ما سبق أن وصفها بها الدكتور ابراهيم أنيس - فكيف يقرأها من جانب ويحس بتلق ازاءها من جانب آخر . . . الا أن يكون الأمر في حاجة الى إعادة نظر من جانبه فاذا نظر اليه من زاويته الصحيحة فلا يستشعر قلقا ولا يجد تكلفا لا كثيرا ولا قليلا

ولكن فكرة المناسبة الطبيعية بين الحرف وما يرمز اليه تسيطر على
الدكتور سيطرة تامة .

فيقول : « والآن فلتختلط هذه الحروف ولتتمتزج ولتقلب في تركيب ثلاثي تقالبيها العقلية الستة المحتملة ولينظر في النهاية الى الحرف الواحد من أحرفها حيثما كان موضعه منها على أنه صوت ما يزال بسيطاً له دلالة التعبيرية الخاصة وليستطرف الباحثون ما استنتجته علماؤنا من أمر هذه اللغة التي لا يكاد يعلم بعدما ولا يحاط بقاصيها فما برح هذا الحرف البسيط كما يتصورون يوحى بمعناه الذاتي من خلال صوته وإيقاعه » (٤٧) .

أي أن معنى ذلك أن الحرف أينما وضع داخل الكلمة في أولها أو وسطها أو آخرها محتفظ بدلالة (حيثما كان موضعه منها على أنه صوت ما يزال بسيطاً له دلالة التعبيرية الخاصة) وهذا أمر لا يمكن أن يكون - ويستطيع القارئ أن يضع أمامه قوائم متعددة على نحو ما مر ولا يجد أبداً للحرف دلالة تعبيرية خاصة - واللغة أمامنا حية - وكما يقولون : « الماء يكذب الغطاس » .

فليس للحرف من خلال صوته وإيقاعه دلالة .

أليست لغات العالم كلها مكونة من حروف ذات صوت وإيقاع ان كان الحرف من خلال صوته وإيقاعه له دلالة المعبرة في اللغة العربية - فإين هي تلك الدلالة المعبرة في بقية اللغات - ولماذا اختلفت في العربية عنها في غيرها من بقية اللغات - وأين اذن الخاصّة الطبيعية - أليست هي اعتباطية الحدث اللغوي كما جاء في كتب التراث عندنا وكما يذعب اللغويون المحدثون اليوم .

ومع ذلك نجد الدكتور يختم حديثه في هذه بنصه الآتي :

« كأنه يومئ الى أنه شاهد على وجود العلاقة الذاتية الطبيعية بين اللفظ ومدلوله أو بعبارة أدق بين صوت الحرف البسيط وقيمتة اللفظانية » (٤٨) .

الدكتور حصر القضية فقط داخل دائرة اللغة العربية وسيطر عليه جانب التعاطف وحسب أمرها خاص بالفكر العربي وحده واعتبرها ملكاً لتراثنا فاندمج

(٤٧) دراسات في فقه اللغة (السابق) ص ١٤٦ .

(٤٨) السابق ص ١٤٧ .

يدافع عنها - ومن هنا استثار حماس القارىء على حين أن القضية ليست خاصة باللغة العربية فالتضحية موجودة في الفكر الانساني من قديم ؛ موجودة عند علماء اليونان على نحو ما مر - والرومان وغيرهم ووجد من بين علماء العربية القدماء في التراث الاسلامي من رفضها وفنذ أفكارها على نحو ما مر أيضاً - كما وجد منهم من أقرها ودافع عنها وحاول سد ثغراتها فالتضحية قديمة ولا تخص الفكر الاسلامي وحده .

وما لاحظته علماء اللغة العربية القدماء في اللغة العربية هو نظرية متكاملة الأبعاد عندهم على مستوى الفكر اللغوي الانساني بصفة عامة اهتدى اليه نكر ابن جني اللغوي وتابعه فيه غيره من بقية العلماء - وكان من الممكن أن تؤصل فيه نظرية الوحدة الصوتية الصغرى التي بموجبها تتغير دلالة الكلمات - وتتبع فيه أبعاد النظرية مما هو خاص باللغة العربية إلا أن جلال الدين السيوطي جمع ما قاله العلماء مما هو خاص بتلك النظرية وحصره داخل تلك الدائرة الضيقة .

وجاء الدكتور صبحي الصالح ومن تبعه وانذفع يحافظ على تلك النظرة داخل دائرتها تلك ويخضع جهود ابن جني لها .

فهو يقول مثلاً :

« بل نجد ابن جني في موضع آخر من خصائصه يبذل جهداً مشكوراً في توضيح هذا الرأي وتقريره .

فيخصه ببحث قيم عنوانه « باب في أساس الألفاظ أشباه المعاني » ويستهل الباب بقوله : اعلم أن هذا موضع شريف لطيف وقد نبه عليه الخليل وسيبويه وقلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته - قال الخليل : كأنهم توهّموا في صوت الجندب استطالة ومد فقالوا : صر - وتوهّموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا صرصر - قال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفعلان أنها تأتي للاضطراب والحركة نحو النقران والغليان والغثيان - فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال ووجدت أنا (ابن جني) من هذا الحديث أشياء كثيرة على سمت ما حذياه ومنهاج ما مثلاه وذلك أنك

تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير نحو الزعزة والقلقلة والصلصلة
والثقلعة والأجرحة والقرقرة - وجدت أيضا الفطلى فى المصادر والصفات أنما
تأتى للسرعة نحو البشكى والجمزى والولقى (٤٩) (الخصائص ح أ ص ٥٤٤)

ثم يعلق د. صبحى الصالح بعد ذلك على هذا النص بقوله :

« هذا النص عظيم الفائدة شديد الأيحاء وحسبنا أننا عرفنا منه أن هذه
المناسبة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله قد تنبه إليها علماء اللغة القدامى كالخليل
وسيبيويه ، بل لقد نبه عليها الأخيران تنبيها شديدا سمح لابن جنى أن يقول:
ان هذا الموضع الشريف تلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته» (٥٠).

وأنا أقول ليس هنا ولا فى النص السابق حديث عن المناسبة الطبيعية
بين اللفظ ومدلوله لأن الخليل ولا من سيبويه ولا من ابن جنى على نحو ما
سبق أن أوضحنا وعلى نحو ما سيأتى

فان اعتبرنا ما قاله الخليل مما جاء فى اللغة يمثل أسماء الأصوات أو نظرية
المحاكاة .

فان ما قاله سيبويه يمثل بنيات شكلية ذات أوزان صرفية معينة يتشكل
فى ضوئها ما يستجيب لها من صيغ فان وزن (الفطلى) فى المصادر والصفات
يجىء للسرعة فليس هنا رمز صوتى بعينه يرتبط بدلالة بعينها - وإنما هنا
أوزان صرفية وقوالب لغوية توضع بداخلها أية حروف فتحدث الدلالة التى
تراها الجماعة اللغوية .

وكذلك ما قاله ابن جنى وقد سبقت مناقشته وتوضيحه (٥١) .
وكله على نحو ما رأينا بنيات لغوية وأوزان صرفية ذات قوالب معينة
توضع بداخلها أية رموز صوتية فيتشكل المعنى على ضوئها وفق ما اتحد عليه
رأى الجماعة اللغوية .

(٤٩) اقرأ دراسات فى فقه اللغة السابق ص ١٤٩ / ١٥٠ .

(٥١) اقرأ - السابق من ص ٣٠ وما بعدها .

ونستطيع في ضوء التحليل اللغوي للمادة التي عرضها اللغويون العرب القدماء واتخذ منها جلال الدين السيوطي الأساس الذي بنى عليه إيمانه بمبدأ المناسبة الطبيعية بين الألفاظ ومعانيها أو ما عرف بمبدأ الرمزية الصوتية في الدرس اللغوي الحديث - تلك التي بنى عليها الدكتور صبحي الصالح ومن تبعه من اللغويين المحدثين إيمانهم الذي لا يرد بمبدأ الرمزية الصوتية أو المناسبة الطبيعية بين الألفاظ ومعانيها - أن نتبين حقيقة أفكارهم وأبعاد نظريتهم في ذلك وكليم حصروا أنفسهم داخل نظرية واحدة لها اليوم مكانها داخل الدرس اللغوي المحدث نجد بذورها في الباب الذي عرضه عند ابن جني - غير أنه بقي لابن جني بعد ذلك أبوابه الباقية في كتابه الخصائص والتي يمثل كل واحد منها نظرية مستقلة مترامية ذات أبعاد وأصول نجدها عند اللغويين اليوم - وليس ببعيد أن يكونوا قد استفادوها من أعمال ذلك اللغوي العبقري .

يقول السيوطي في نصه السابق ، ومن أمثلة ذلك ما في الجمهرة :

الخن

والغنن

وقبل أن نستطرد في التحليل فلاحظ أن العلماء الذين ذكرهم السيوطي هم: ابن دريد في الجمهرة - وابن السكيت في الإبدال - وأبو عمرو في الغريب المصنف - والكسائي ، والأصمعي ، والفارابي في ديوان الأدب - والثعالبي في فقه اللغة - وضرب أمثلة متناثرة جاءت في أقوالهم في غير هذا الغرض وجعل من ذكرهم لها في مصنفاتهم شاهدا على صحة روايتنا فيما جاءت عليه - فهو جمع منهم المادة فقط وهو الذي قال بفكرة المناسبة ولذلك فنتك مسئوليته في القديم والحديث .

الخن

والغنن - الخن أشد من الغنن

والخنة أشد من الغنة

خ ن

غ ن

خ د نة

خ د نة

فألدى حدث أن حرفا واحدا في الكلمتين اختلف فاختلف بموجبه المعنى
- أما بقية البنية فهو متحد في الكلمتين - ومعنى ذلك أن الجزء الثابت في
الكلمتين واحد ولا دور له في تغير المعنى وأن وحدة صوتية واحدة في كل من
الكلمتين تغير بموجبنا المعنى - فالخاء في الكلمة الأولى (فونيم)

والعين فونيم آخر - تغير بموجب كل واحد منهما المعنى - وبين المعنيين تقارب
وبين الحرفين تقارب - وهذا ما عجز عنه ابن جنى : بتصائب الألفاظ لتصائب
المعاني - وعذا خاضع لقانون التقارب وقانون التبعية - وهو بدوره راجع
للمتكلمين باللغة فعندما وضعوا الخاء في بنية هذه الكلمة أعطت هذا المعنى -
وعندما وضعوا العين في بنية الكلمة الأخرى أعطت المعنى الآخر - واختاروا
الخاء لما هو شديد سواء في الفعل أو الاسم أو المصدر .

والخاء : حنكى قصى احتكاكى مهموس

والعين : حنكى قصى احتكاكى مجبور

ومثله المثال الثانى : الأنيت - والأنين .

والأنيت أشد من الأنين .

فمكونات البنيتين على النحو الآتى :

أنيت ت

أنين ن

اتحدت المكونات ماعدا وحدة صوتية صغيرة يمثلها في الكلمة الأولى حرف
التاء وفي الثانية حرف النون واختيرت التاء لما هو أشد - ولكن ليست التاء
في حد ذاتها هي الأنين الأشد وليست النون في حد ذاتها الأضعف - ولو نطق
التاء منفردة عن بنية كلمتها تلك لما عرف السامع المقصود - ولو نطقت النون
وحدها منفردة عن بنية كلمتها ما استطاع السامع أن يميز المقصود كذلك -

وقد أدرك علماء العربية القدماء ذلك ونصوا على أن المعنى خاص ببنية الكلمة وليس بوحدة صوتية واحدة فيها .

وكذلك المثال الثالث = الرنين - والحنين

والرنين أشد من الحنين .

فمكونات الكلمتين متحدة ماعدا وحدة صوتية واحدة تغير بموجبها المعنى
هى فى الكلمة الأولى حرف الراء وفى الكلمة الثانية حرف الحاء .

اذن فنحن أمام بنيتان تمثل ثنائيات اتحدت فى كل مكوناتهما ماعدا وحدة صوتية صغرى تغير بموجبها المعنى .

وتلك هى نظرية الفوينم فى الدرس اللغوى الحديث غير أن علماء العربية زادوا عليها بعدا جديدا وهو بعد التقارب بين الوحدة المتغيرة المتغيرة الذى تقاربت بموجبها الدلالة بين البنيتين . وهذا بعد جديد من الأبعاد التى أضافها علماء العربية القدماء لتلك النظرية .

فالذى استخرجه السيوطى من كتاب الجوهرة وغيره يعزز هذه النظرية التى وضع أسسها ابن جنى فى باب (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعانى) - وهى ما تعرف اليوم بنظرية (الفوينم) إلا أنها عند علماء المسلمين القدماء أقدم وأرسخ وذات أبعاد متنوعة لم يطرقها اللغويون الغربيون حتى اليوم مما هو خاص بسيكولوجية اللغة العربية الناطقين بها مما لا نظير له فى غيرها من اللغات الأخرى ولا سيما اللغات الهندوأوروبية .

وكذلك ما جاء فى كتاب الإبدال (٥٢) لابن السكيت مما ذكره السيوطى مما هو خاص بهذه النظرية أيضا .

فالتقبضة

والقبضة

(٥٢) سواء كان الإبدال مصدر ابدل ابدالاً أم الأبدال جمع بدل - فالذى أمامنا وحدات صوتية صغرى يتغير بموجب كل واحدة منها المعنى .

القبضة أصغر من القبضة

قب / ص /

قب / ض /

وفي الجمهرة قال : القبص الأخذ بأطراف الأنامل

والقبض الأخذ بالكف كلها

فالكلمتان اتحدتا في مكوناتهما ماعدا وحدة صوتية صفري واحدة جاءت

في النهاية وهى في الكلمة الأولى (الصاد) وفي الكلمة الثانية (الضاد) .

فالصاد جعلت القبضة أصغر من القبضة - والضاد جعلت القبضة أكبر

من القبضة .

والقبض في اللغة الأخذ بالكف كلها والقبص في اللغة الأخذ بأطراف الأنامل

على نحو ما ذكره ابن دريد في الجمهرة .

وكذلك ما ذكره السيوطى من الغريب المصنف عن أبى عمرو هو أيضا

ضمن هذه النظرية فقد ذكر من الغريب المصنف عن أبى عمرو :

هذا صوغ هذا اذا كان على قدره .

وهذا سوغ هذا اذا ولد بعد ذلك على أثره .

صوغ / ص / و غ

سوغ / س / و ع

ونكتفى بعد ذلك بأن نضع الفوينم وهو الوحدة الصوتية التى يتغير

بموجبها المعنى بين خطين مائلين على نحو ما هو متعارف عليه بين اللغويين في

هذا المجال - ويتبين القارئ أن المكونات واحدة وأن الذى اختلف فتغير بموجبه

المعنى هو ما بين المائلين .

وقد ذكر السيوطى بعد السابق مباشرة :

يقال : نقب على قومه ينقب نقابة من النقيب وهو العريف - ونكيب

عليهم ينكيب وهو المنكيب وهو عون العريف .

نقب نـ / ق / ب

نكب ن / ك / ب

مكونات الكلمتين واحدة غير أن وحدة صوتية واحدة اختلفت فاختلغ بموجبها المعنى وهذه الوحدة جاء موقعها في الوسط - ومن قبل جاءت في أول الكلمة - وفي المسابقة عليها جاءت في النهاية وفي الاسبق جاءت في البداية وهكذا على نحو ما مر -

ومما ذكره السيوطي أيضا ما قاله الكسائي :

القضم للفرس

والخضم للإنسان •

قضم / ق / ضم

خضم / خ / ضم

المكونات في الكلمتين واحدة سواء كان فعلا أو مصدرا والذي بين الخطئين المائلين هو الفوينم الذي تغير بموجبة المعنى •

وكل الأمثلة التي ذكرها السيوطي خاصة بنظرية الفوينم وجاءت وفق قانون واحد وهو التقارب •

واليك بقية الأمثلة التي جاءت عند السيوطي :

« وقال غيره : القضم بأطراف الأسنان •

والخضم بأقصى الأضراس •

/ رـ / ضم

/ خ / ضم

ففي الحالتين سواء كان المعنى هذا أو ذاك - (وتعدد المعنى دليل على اعتبارية الحدث) •

فإن الذي حدث هو أن المعنى تغير نتيجة لوحدة صوتية صغرى - وبغية

المكونات في الكلمتين واحدة - وأن تغير المعنى جاء نتيجة لهذا الذي اختلف وهو في الأولى القاف وفي الثانية الخاء فإذا كان بين الخاء والقاف تقارب في الصفات أو الخصائص أو المخرج وحدث نتيجة لذلك تقارب في المعنى فهذا خاضع لقانون التقارب وهو الذي تتطلبه البيئة الأمية التي تعتمد على الذاكرة وعلى تداعي الألفاظ نتيجة لقانون التتابع على نحو ما أوضحنا .

وكذلك بقية الأمثلة - قال أبو عمرو :

- النصح بالصاد المعجمة الشرب دون الرى
- والنصح بالصاد الميملة الشرب حتى يروى
- والفعل والمصدر في ذلك سواء :

نصح ن - ض / ح

نصح ن - ص / ح

نشح ن - ش / ح

على نحو ما هو واضح مما بين الخطين المائلين ، انكلمات الثلاث اتحدت في المكونات و اختلف وحدة صوتية واحدة في كل كلمة منها .

وبين الضاد والصاد بعض الصفات الصوتية المتقاربة فتقارب المعنى وهذا التقارب أمر خاص باللغة العربية وبالألفاظ بها وبين الصاد والشين بعض الصفات الصوتية المتقاربة كذلك وبذلك حدث نوع من التقارب في المعنى تطلب ذلك قانون التداعي والتذكر وقانون التقارب في البيئة الأمية .

وما انطبق على السابق ينطبق على ما قاله الأصمعي :

اليتل من المطر أصغر من اليتل - المصدر - والفعل -

متل م - ت / ل

مطل م - ط / ل

الذي بين الخطين المائلين هو الوحدة الصوتية الصغرى التي اختلفت فتغير المعنى بموجب اختلافها .

وكذلك بقية الأمثلة :

الزعزعة بالزاي اضطراب الأشياء بالريح •
والرعة بالراء اضطراب الماء الصافي والشراب على وجه الأرض
والزعزعة بالزاي واعجاب الفين - اضطراب الانسان في خفة ونزق -

الزعزعة / ز / ع / ز / ع /

/ ر / ع / ر / ع /

/ ز / غ / ز / غ /

والكركرة بالكاف الضحك • والفرقرة بالقاف : حكاية الضحك اذا استقرّب
الرجل فيه •

كركرة / ك / ر / ك / ر /

ترقر / ق / ر / ق / ر /

قرقرة / ق / ر / ق / ر /

والزفرقة بالراء : صوت أجنحة الطائرة اذا حوام ولم يبرح - والزفرقة
بالزاي : خفيف الريح الشديدة الهبوب وسمعت زفرقة الموكب اذ سمعت هزيمة •

زرف / ز / ف / ز / ف /

زفزف / ز / ف / ز / ف /

والسفسفة باعمال السين تحريك الشيء من موضعه ليقطع مثل الوقود وما أشبهه
ومثل السن ، والسفسفة بالاعجام : تحريك الشيء في موضعه ليتمكن يقال
سفسغ السنان في الطعنة اذا حركة ليتمكن •

سفسغ / س / غ / س / غ /

شفشغ / ش / غ / ش / غ /

والوسوسة بالسين : حركة كالحلى ، والوشوشة بالاعجام : حركة القوم
وهمس بعضهم الى بعض •

وسوس و / س / و / س /

وشوش و / ش / و / ش /

أى أن كل الذى عرضه السيوطى خاص بنظرية واحدة وجاء وفقا لقوانين وقواعد خاصة بعلم النفس اللغوى • فالمسألة أبعادها واضحة •

وهناك تقارب فى المعانى لتقارب فى صفات الحروف وقد جاء هذا عند ابن جنى واضحا : تصاقب الألفاظ لتصاقب المعانى – وبقي لابن جنى بقية النظريات اللغوية الأخرى التى تمثلها الأبواب المختلفة التى عرضناها فى هذا القسم من الكتاب على النحو الذى جاءت عليه •

● ويعد السيوطى هو المسئول الأول عما آل إليه الأمر فى هذه القضية • فبعد أن جاء السيوطى بهذه الأمثلة جاء تعقيبه الآتى :

فانظر الى بديع مناسبة الألفاظ لمعانيها – كيف فاوتت العرب فى هذه الألفاظ المترنة المتقاربة فى المعانى فجعلت الحرف الأضعف فيها والأكين والأخفى والأسهل والأهمس لما هو أدنى وأقل وأخف عملا أو صوتا ••

وجعلت الحرف الأقوى والأشد والأظهر والأجهر لما هو أقوى عملا وأعظم حسا •

وهذه كلمة حق – ولكن بسبب قصر النظر عليها ضاعت معالم النظرية وقوانينها عند السيوطى وعند من تبعه من علماء اللغة المحدثين •

ثم يعقب السيوطى على ما سبق بأمثلة تؤكد صدق رؤية يقول : (٥٣) •
• ومن ذلك المد والمط فان فعل المط أقوى لأنه مد وزيادة جذب فناسب الطاء التى هى أعلى من الدال ••

| | | |
|----|------|---------|
| مد | المد | م / د / |
| مط | المط | م / ط / |
| مت | المت | م / ت / |

(٥٣) المزهر السابق ص ٥٣ •

قال ابن دريد الد والمت والمتارية في المعنى .

ثم يقول : ومن ذلك الجف بالميم : وعاء الطلعة (٥٤) اذا جفت - والخف بالخاء : اللبوس ، وخف البعير والنعامة ولا شك أن الثلاثة أقوى وأجلد من وعاء الطلعة - فخصت بالخاء التي هي أعلى من الميم . .

الجف / ج/ ف

الخف / خ/ ف

وفي ديوان الأدب للفارابي الشازب : الضامر من الإبل وغيرها ، والشاصب : أشد ضمرا من الشازب . . .

شازب شا / ز / ب

شاصب شا / ص / ب

وفي فقه اللغة للثعالبي : اذا انحسر الشعر عن مقدم الرأس فهو أجلى .
فان بلغ الانحسار نصف رأسه فهو أجلى وأجله .

أجلى أجلى / ح/

أجلى - أجلى = أجلى / ع/ = أجلى / ي/

وفيه : النقش في الحائط

والرقتش في القرطاس .

والوشم في اليد

و/ش/م

والوسم في الجلد

و/س/م

والرشم على الحنطة والشعير

ر/ش/م

والرشم على الحنطة والشعير

ر/ش/م

والوشى في الثوب

و/ش/ى

(٥٤) للطلعة : واحدة الطلع ، والطلع : نور النخل مادام في الكافور -

وفيه الحوص : ضيق العينين /د/ و ص

والخوص : عذورها مع الضيق /ذ/ و ص

وفيه اللسب : من العقرب . لسـ/ب/

واللسع : من الحية . لسـ/ع/

وفيه وسخ الأذن : أف /ا/ ف

ووسخ الأنف : تف /ت/ ف

و فيه : اللثام : النقب على حرف الشفة لـ/ث/ ام

واللثام : على طرف الأنف . لـ/ف/ ام

وفيه : الضرب بالراحة على مقدم الرأس : صغ صـ/تـ/ع

وعلى القفا : صغ صـ/فـ/ع

وعلى الخد ببسط الكف : لطم لـ/ط/ م

وبقيض الكف : لكم لـ/ك/ م

وبكلتا اليدين : لدم لـ/د/ م

وعلى الجنب بالاصبع : وخز و/خ/ ز

وعلى الصدر والجنب : وكز - ولكز و/ك/ ز لـ/ك/ ز

وعلى الحنك والحنق : وهز - ولهز و/ه/ ز لـ/ه/ ز

وفيه يقال : خذفة . بالحصي . /خ/ ذفـ

و حذفه . بالعصا . /ذ/ ذفـ

و قذفه . بالحجر . /قـ/ ذفـ

فبهذه المجموعات كلنا تدور حول معنى عام يجمعها وهو الضرب - ولكن

كل مجموعة تقاربت في صفات حروفها وتقاربت في معناها ولكن أين هو التقارب

للعام بينها ؟ أليس كله خاص بالضرب .

وفيه اذا أخرج المكروب أو المريض صوتا رقيقا فهو : الرنين /ر/ نين

فان أخاه فهو : الهنين /ه/ نين

فان أظهره خافيا فهو : الحنين /ح/ نين

فان زاد فهو : الأنين /ا/ نين •

فان زاد فيه فهو : الخنين /خ/ نين •

ثم يختم قوله :

• فأنظر الى هذه الفروق وأشباهها باختلاف الحرف بحسب القوة والضعف (٥٥) •

فعلى الرغم من أن للسيوطي التفاتات ذكية كان من الممكن أن تنمى ويتخذ منها انطلاقة جديدة نحو آفاق رحبة في دراسة الخصائص الصوتية للحرف العربى من خلال بنية الكلمة مما يتصل بتغير معانى الكلمات ويدخل تحت نظرية الفوينم في اللغة بصفة عامة على أن تفهم النظرية في ضوء الدرس اللغوى العربى مما ينبثق عن العربية ويتصل بخصائصها وتمثل فيه النظرية مراحل رتبت بعضها اثر بعض ٠٠٠٠٠ مما كان في مقدوره أن يعطى للدراسة اللغوية العربية أبعادا وأعماقا لا توجد في نظيراتها من بقية اللغات ٠٠٠٠٠ وذلك يجىء وفق دراسة مبنية على أسس علمية ، ووفق مناهج تتميز من خلالها العربية بخصائص تتجلى من خلال نظرية علمية قائمة على دراسة مستقصية لأمجال فيها للعاطفة •

الا أننا مع ذلك بكل أسف حصرنا القضية داخل دائرة ضيقة والبسنا ما رداء الانفعال العاطفى وأخفنا دور في تلك الدائرة الضيقة المغلقة التي لا تقدم نفعا للعربية - ولا للنظرية اللغوية بصفة عامة •

وكان ذلك سببا في ضياع نظريات لغوية أخرى اهتمدى اليها ابن جنى وسجل أسسها ومبادئها العامة في كتابه «الخصائص» وقد عرضنا بعض هذه

النظريات من خلال أبوابها على نحو ما هو واضح في هذا القسم من هذا الكتاب (٥٦) .

غير أننا وجدنا من علماء العربية المحدثين من أصر على أن يحصر كل إبداع لابن جنى داخل تلك الدائرة دائرة المناسبة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله . . بل وادخل غيره من العلماء معه في هذه الدائرة . . ونأتى ببعض أمثلة سريعة تسبق عرض الأبواب الأخرى عند ابن جنى التى تتمثل من خلالها نظرياته المتعددة داخل النظرية اللغوية العامة .

فمثلا عندما يقول ابن جنى فيما يتصل بنشأة اللغات : « وذهب بعضهم الى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوى الريح ، وحنين الرعد ، وخرير الماء ، وشحیح الحمار ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس ، ونزيب الظبى ونحو ذلك . . ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد ، وهذا عندى وجه صالح ومذهب متقبل » (٥٧) .

بالتى الدكتور صبحى الصالح يأخذ هذا الرأى الواضح في مجاله منا وهو خاص بنشأة اللغات ، كما يراها ابن جنى . وله فيها نظرية ذات أبعاد متكاملة جمعت بين نظريات متعددة هي في مجموعها غاية في الدقة والاصابة وليس ببعيد أن المحدثين أفادوا منه بخصوصها كثيرا ، فابن جنى عنده دقة وأمانة فهو يقول هنا : « وذهب بعضهم » . . أى أنه لا يدعى أنه مبدع هذا القول . .

وهكذا شأنه في البقية :

ولكن الدكتور صبحى الصالح يأخذ هذا القول الذى يمثل هذا في مجاله . . ثم يضيف له بعد ذلك مباشرة قوله الآتى : « بل نجد ابن جنى في موضع آخر من خصائصه يبذل جهدا مشكورا في توضيح هذا الرأى وتقديره فيخصه ببحث

(٥٦) انظر الأبواب من صفحات

(٥٧) الخصائص لابن جنى ح ١ ص ٤٤/٤٥ -

قيم عنوانه : « باب في أساس الالفاظ اشباه المعاني » (٥٨) وهذا لا صلة له
بهذا على نحو ما مر

وسوف نتناول هذا الباب بالتفصيل ويتبين منه القارئ انه يحمل
أبعاد نظرية متكاملة أخرى وضع ابن جنى أسسها واهتدى إليها بحسه اللغوي
وتمكنه التام من العربية ومعرفته بخصائصها وأن للعربية فيها سمات تفترد
بها بين اللغات (٥٩) .

والأكثر من ذلك أننا نجد الدكتور صبحي الصالح يدخل أعمال ابن فارس
في كتابه مقاييس اللغة ، وفي كتابه مجمل اللغة .. داخل دائرة الرمزية الصوتية
أو المناسبة الطبيعية بين الالفاظ ومعانيها ..

ويطالعك نص قوله الآتي :

فهذا ابن فارس في المقاييس يرد أصل باب القاف والطاء وما يثلثهما الى
معنى القطع فيراه في قطع الذي يدل على صرم وإبانة شيء من شيء . وفي قطع
الذي يدل على أخذ ثمرة من شجرة - وفي قطع : الذي يدل على قطع الشيء أيضا
فالعين والفاء واللام والميم جاءت أحرفا زائدة على الأصل الثنائي (ق ط) فخصت
معنى القطع ونوعته بين الصرم والإبانة والأخذ ، وردته تبعا لأصواتها بين
درجات الشدة والغلظة في أحداث القطع ، .

ثم يضيف بعد ذلك :

« وهذا ابن فارس أيضا يرد أصل باب الفاء والراء وما يثلثهما الى معنى
التمييز والافراد ، واذا بهذا المعنى يصير تفتحا في الشيء وشقا في (فرج) بسبب
الجيم ويصير بمعنى التوحد في (فرد) بسبب الدال وبمعنى عزل الشيء عن
غيره في (نرز) لكان الزاي - وبمعنى الدق في (فرس) لكان السين وبمعنى
اقتطاع شيء عن شيء في (فرص) بواسطة الصاد وبمعنى تأثير شيء في شيء من
حز أو غيره في (فرض) لصوت الضاد وبمعنى ازالة شيء من مكانه وتنحيته

(٥٨) دراسات في فقه اللغة ص ١٤٩ .

(٥٩) أنظر ماجاء بخصوصه من تحليل في القسم الثاني من هذا الكتاب .

عنه في (فرط) لقوة الطاء وبمعنى التمييز والتنزيل بين شيئين في (فرق) ،
«للاصيل المجهور المقتل في القاف » .

ثم يأتي بعد ذلك أيضا قوله :

ومن ذلك أنه يرد باب الجيم والذال وما يثلاثهما في المجمل الى معنى
الأصل فتجده واضحا في (جذر) ومنها جذر اللسان : أصله « -

ثم يضيف معقبا على ما سبق مباشرة قوله :

« بيد أن معنى الأصل يتفاوت قوة وضعفا وكثرة وقلة وقربا وبعدا بين
هذه المواد المذكورة كأن الحرف المزيد الذي ثلث أصلها الثنائى تد عين كيفها -
ووصف كمها ورسم حدما » .

فالجذر أصل عام للشجر ، ولكنه للنخل جذع - والعين الحقية أقوى من
اللام المدقة .

والجذر : أصل الحساب حين تقول مثلا عشرة في عشرة مئة - ولكن الجذع
من الابل هو الذى أتى له خمس ، ومن الشاء ما تمت له سنة ففي الرأ في معنى
التكرار مالا نظير له في العين على قوتها - اذا العين كجميع أخواتها الحقية
تخرج من الخلق دفعة واحدة تنبر بها نبرا ولا ريب أن في التكرار مضاعفة
وكثرة وأن في النبرة الواحدة تضائلا وقلة ، « (٦٠) -

لايكاد يقترب حتى يبعد بسبب « الرمزية الصوتية » أو « المناسية
الطبيعية » التى يصر عليها ويريد أن يلاحظها بالحروف ، أعد قوله « التى تخرج
من الحلق دفعة » . . . الخ وغاب ما جاء بخصوص نظرية الفوينم وهو
واضح : -

الجذر = أصل عام للشجر

الجذع = للنخل

(٦٠) دراسات في فقه اللغة ص ١٥٦/١٥٧/١٥٨ .

الجذع = من الابل هو الذى اتى له خمس - ومن الشاء
 ما تمت له سنة
 الجذر = اصل الحساب -

وحدة صوتية صغرى واحدة تغيرت فتغير بموجبها المعنى وقد يحدث تقارب في المعنى وتقارب في الصفات فبين الجذع تغير في الحركات تغير بموجب المعنى ولكن العين الحلقية هي هي في الجذع والجذع - واللام المزقة ، أعطت معنى العين الحلقية العام في الجذر ولكنه يصير على أن يقول العين الحلقية اقوى من اللام المزقة .

ويقول : في الراء معنى التكرار مالا نظير له في العين على قوتها .
 اذ العين كجميع أخواتها الحلقيات تخرج من الحلق دفعة واحدة تنبر بها نبرا ولا ريب أن في التكرار مضاعفة وكثرة وأن في النبرة الواحدة تضاعفا وقلة . وهذا كله كلام لا يمثل في الدراسات الصوتية أى حقائق علمية ولا معنى له عند الحديثين في علم الأصوات فهو لا يمثل مضمونا وإنما يمثل اندفاعا عاطفيا وأنها تخرج من الحلق دفعة تنبر بها نبرا فهذا كلام لم يقل به أحد من العلماء في القديم أو الحديث على السواء ولا مفهوم له لأنه لا وجود له عند القدماء ولا عند الحديثين في علم الأصوات فهو لا يمثل مضمونا وإنما يمثل اندفاعا فقط .

وفوق هذا وذاك أليس الجذع للنخلة
 والجذع من الابل - ومن الشاء -

أليست الحروف واحدة ؟ - أليست المعانى متعددة ؟ إذن أين المناسبة الطبيعية بين اللفظ وتلك المعانى المتعددة لكن أنظر أن أخذتها من زاوية الفونيم تجد أن الفتحة والكسرة تمثل فونيميا في موقعها - الجذع بالكسر والسكون غير الجذع بالفتح - أى أن الحركة فونيميا تعطى معنى جديدا للمكاملة وهذا يعمن أبعاد نظرية الفونيم ومادتها مجموعة لدينا في اللغة العربية وعلماء العربية القدماء قدموا المادة والملاحظة - وفهمها عنهم الغربيون وأخرجوا نظرية الفونيم بكل

أبعادها التي هي في المادة الى بين أيدينا : لنا الله نحن الذين نسيء الى أنفسنا ، وما ظلمهم الله ..

ثم يستشهد من ابن فارس في مقاييسه وفي مجمله فيقول :

« فهذا ابن فارس في المقاييس يرد أصل باب القاف والطاء وما يثلثهما إلى معنى التقطع فيراه في قطع ، الذي يدل على صرم وإبانة شيء من شيء (٦١) وبعد أن ينتهي مما أورده في هذه المادة يقول :

« وهذا ابن فارس أيضا يرد أصل (باب الفاء والراء وما يثلثهما) إلى معنى التمييز والافراد » (٦٢) .

ثم ينتقل إلى مجمل اللغة لابن فارس بعد أن ينتهي من عرض ما يعرضه من هذه المادة فيقول :

« ومن ذلك أن يرد باب الجيم والذال وما يثلثهما في المجمل إلى معنى الأصل فتجده واضحا في جذر ٠٠٠ الخ » (٦٣) .

وعندما نعود إلى كتب ابن فارس نجد ما لا تتجه اتجاهها مخالفا لما عليه بقية الكتب التي في مجالها ولا تقول بالدلالة الطبيعية بين الألفاظ ومملولاتها ولا تتعرض للرمزية الصوتية أو المناسبة الطبيعية ولناخذ كتاب المجمل الذي أرجعنا إليه الباحث :

(باب الجيم والذال وما يثلثهما) - (٦٤) فنجد المادة تسير على النحو الآتي :-

جذر : الحذر الأصل وأصل اللسان حذره ٠٠

والمجذر = الرجل القصير بفتح الجيم وتضعيف الذال - والجؤذر = ولد البقرة ٠٠٠٠٠٠

والجذر = قال الخليل : (٦٥) أصل الحساب ٠ يقال عشرة في عشرة مئة

(٦١) ابن فارس : مقاييس اللغة ج ٥ ص ١٠١ .

(٦٢) المقاييس (السابق) ج ٤ ص ٤٩٨ - / ٥٠٠

(٦٣) مجمل اللغة لآحمد ابن فارس ج ١ ص ١٤٦ / ١٤٧ .

(٦٤) مجمل اللغة - لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي

ت ٣٩٥ م دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سليمان مؤسسة الرسالة ط أولى

١٤٠٤ / ١٩٨٤ م ج ١ ص ١٨٠ - نهر (٢) .

(٦٥) العين ج ٢ / ١٢٣ .

جذع : الجذع : جذع النخلة - والجذع من قولك : جذعت الشئ اذا عفسته. ودلكته ..

وجذع : اسم رجل

جذف : جذفت الشئ قطعته ...

جذم : جذم : جذم الشئ : أصله - والجذمة : القطعة من الحبل وغيره ..
(بكسر الجيم وسكون الذال)

والأجذم : المقطوع اليد ...

وانجذم الحبل : انقطع ...

الاجذام : سرعة السير ...

جذو : الجذوة : الجمرة الملتهبة والجمع جذى - وجذى ... بكسر الجيم
في الألى وضمها في الثانية

ولو أخذنا كل مجموعة على حدة لوجدناها تدور حول دلالات متباعدة على الرغم من اتحاد الأصول فمادة جذر مثلا أو جذع أو حزم كل واحدة تنل على معان كثيرة متباعدة فإين هي المناسبة ، ولا أجد في هذه المادة التي عرضها ابن فارس في مجمه ما يشير من قريب أو من بعيد الى ما يحل على وجود علاقة طبيعية بين الألفاظ ومدلولاتها - ولا يختلف مجمل ابن فارس عن أى معجم لغوى آخر في عرض المادة وبيان اشتقاقاتها ومعانيها دون أن يربط بين طبيعة الألفاظ ومدلولاتها لاتصريحا ولا تلميحا ..

فاذا تركنا المجمل ورجعنا الى المقاييس (٦٦) وكشفنا عن الفاء والراء فنجده يقول :

فر : الفاء والراء أصول ثلاثة فالأول الانكشاف وما يقاربه من الكشف عن الشئ ، والثانى جنس من الحيوان - والثالث دال على خفة وطيش .
فالأول قولهم فر عن أسنانه - وافتر الانسان اذا تبسم
والأصل الثانى : الثفرير : ولد البقرة - ويقال : الفرار من ولد المعزة ماصفر جسمه واحده فرير

(٦٦) معجم مقاييس اللغة لأبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا
ت ٣٩٥ هـ تحقيق : عبد السلام محمد هارون دار الفكر ح ٤ ص / ٤٣٨ .

والثالث :- الفرقة : الطيش والخفة • يقال رجل فرفار - وامرأة فرقارة -
والفرقارة : شجرة •

فتو : الفاء والزاء أصيل يدل على خفة وما قاربها ...
فنى : الفاء والسين ليس فيه شيء الا كلمة معربة يقولون : ألففسفة
الرطبة ••

فنى : الفاء والسين يدل على انتشار وقلة تماسك
فنى : الفاء واتصاد كلمة تدل على فصل بين شيئين - من ذلك النصوص
هى مفصل العظام كلها قال أبو عبيد : الا الأصابع - واحدا : فص ...
فنى : الفاء والضاد أصل صحيح يدل على تفريق وتجزئة من نك
ففضت الشيء : اذا فرقته ••

فظ : الفاء والظاء كلمة تدل على كراهة ونكره ...
فتح : الفاء والغين ليس فيه كلام أصيل وهو شبه حكاية لصوت • يقولون :
الفغفنة (٦٧) ••

وما جاء فى المقاييس لا يختلف عما جاء فى الجمل لا من حيث المادة ولا من
حيث المنهج ولم يجيء فيه تصريحاً ولا تلميحا شيء عن المناسبة الطبيعية
ولا نجد فى هذه المادة التى عرضها ابن فارس فى مقاييسه ما يشير من خلاله
الى ما يدل على علاقة طبيعية بين الالفاظ ومثولاتها • ومثل معجزة فى ذلك
مثل بقية المعاجم يعرض للكلمة واشتقاقاتها والمعانى التى تدور حولها ...
على نحو ما رأينا وعلى نحو ما هو معروف •

ولست أدري من أين جاء الدكتور صبحى الصالح بما نسب لـ ابن فارس
الذى يظهر انه اعتنق فكرة وذنب يبحث لها عما يؤيدها ... بكل وسيلة
فإذا تتبعته فالأمر على نحو ما نرى ...

(٦٧) وأنظر بقية ح ٤ من ص ٤٨٥ مادة فرز - فرس - فرش - قرص -
فرض - فرط - فرع - فرغ - فرق - فرك - فرم - فره - فرى - فرت - فرث -
فرج - فرح - فرخ - فرد من ص ٤٨٥ / ٥٠٠ •

ولنعد الآن الى معجم ابن فارس المتايبس لنتتبع القاف والطاء وماء
يثلثهما حسبما أرجعنا (٦٨) .

قطع : القاف والطاء والعين أصل صحيح واحد ، يدل على صرم وابانة.
شيء من شيء ...

تقطف : القاف والطاء والفاء أصل صحيح يدل على أخذ ثمرة من
شجرة

تدال : القاف والطاء واللام أصل صحيح يدل على قطع الشيء ...

تطم : القاف والطاء والميم أصل صحيح يدل على قطع الشيء ، وعلى
شيوة ...

تطن : القاف والطاء والنون أصل صحيح يدل على استقرار بمكان وسكون.
يقال تطن بالمكان أقام به ...

تطر : القاف والطاء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على مقاربة في الشيء.
يقال : التظو : مقاربة الخطو وبه سميت القطاة وجمعها قطا ...

تطب : القاف والطاء والباء أصل صحيح يدل على الجمع - يقال : جاءت.
العرب قاطبة اذا جاءت باجمعها

قطر : القاف والطاء والراء هذا باب غير موضوع على قياس - وكلمه
متباينة الأصول وقد كتبناها - فالقطر : الناحية - والأقطار : الجوانب .
ويقال طعنه فقطره أى القاء على أحد قطرية وهما جنباه ... (٦٩) .

وهكذا نجد المادة التى يرجعنا اليها ليس فيها غير الفونيم وما يتضمن بيان
من قوائين خاصة بالتقارب أو التتابع .

| | | | |
|--------|---------|--------|--------|
| قط / ع | ق ط / ل | قط / ن | قط / ب |
| قط / ف | ق ط / م | قط / و | قط / ر |

(٦٨) المتايبس ح ٥ / ص ١٠١ .

(٦٩) اقرأ المادة فى الباب من ص ١٠١ / ١٠٦ .

وهكذا راجت قضية المناسبة الطبيعية على حساب نظريات علمية متعددة
 -وضع أسسها عماؤنا منها: نظرية الوحدة الصوتية (الفونيم) ، ولقى
 -رأى الدكتور صبحي الصالح رواجاً بما استثاره من عاطفة قومية نحو التراث-
 وقد كان بموقفه هذا في الواقع يهجم أعظم ما قدمت عبقرية علماء العربية مما
 هو خاص بعبقرية اللغة العربية . ويسهم في خدمة دراسات اللغات الانسانية
 -وفي نظرية اللغة العامة .- فضلاً عن أنه أضاع على علمائنا دورهم الريادي
 -الذي حققوه بإخلاصهم لربيعهم في خدمة لغتهم .- لغة كتاب الله الكريم .-

ويأتى الدكتور محمد المبارك صاحب كتاب فقه اللغة وخصائص العربية
 -ويندفع في قوة مؤيدا ومناصرا قضية المناسبة الطبيعية بين اللفظ والمعنى ،
 -ويحصر أفكار علماء العربية القدماء داخل تلك الدائرة .- .-

• ويفرد في كتابه مبحثين كاملين لتلك القضية (٧٠) •

فهو مثلا يقول تحت مبحث : الوظيفة البيانية والقيمة التعبيرية للحروف
 -في اللغة العربية :

• لاحظ بعض الباحثين قديما وحديثا أن اشتراك كلمات في حرفين من
 -الحروف الأصلية يفيد اشتراكهما في شيء من المعنى أو في معنى عام جامع
 -لمعانيها مثل جمع - وجمل - وجمد - وجمر - ففيها كلها معنى الجمع -
 -ومثلها كسر - وكسف - ثم أمنعوا النظر في تتبع الحرف الواحد في الألفاظ
 -فوتعوا على عدد من الأمثلة يبدو فيها معنى عام مشترك في الألفاظ
 -التي تشترك بينها في حرف واحد كإفادة الراء معنى الاستمرار والتكرار في :
 -مر - وجر ورد - ورعى - ورقى - وعرف - وإفادة الغين معنى الاستتار في
 -غار - وغاص - وغاض - وغمض - وغمر - وغيم - وغطى •

• وإفادة القاف معنى الشدة والانفصال أو الاصطدام في مثل : قد - وتط -

(٧٠) الأول من ص ١٠١ تحت عنوان : القيمة التعبيرية للحرف الواحد في
 -اللغة العربية ص ١٠١ / ١٠٦ والثاني تحت عنوان الوظيفة البيانية والقيمة
 -التعبيرية للحروف في اللغة العربية من ص ٢٥٩ الى ص ٢٦٣ •

وقتل - وقطع - وقطف - وقصل - ودق - وطق - وشق - وفرق - وقلق -
ونقر - ونقف ، (٧١) .

ويأتى بعد ذلك مباشرة نص قوله الآتى : -

« وقد نبه ابن جنى فى مواطن كثيرة وأبواب متعددة من كتابه الخصائص
الى التقابل بين المعانى والحروف فى الكلمات . وعقد فصلا عنوانه « فى تصاقب
الألفاظ لتصاقب المعانى » . وفصلا آخر بعنوان : (فى أساس الألفاظ أشباه
المعانى) » (٧٢) .

ثم يأتى تعقيبه الآتى بعد قوله السابق مباشرة عن ابن جنى :
« وتكلم فى هذا الموضوع كلاما يفهم منه تعميم هذه النظرة فى اللغة .
وأطراد القول فى التقابل بين كل صوت فى الكلمة وجزء من أجزاء معناها بحيث
أن المعنى العام للكلمة ناشئ عن اجتماع معانى الحروف المركبة لها » (٧٣) .

ونتابع ما جاء عند الأستاذ محمد المبارك حيث يقول : « ونرى أن ثمة
أمثلة كثيرة فى العربية تدل على التناسب الصوتى والتقابل الموسيقى فى تركيب
الكلمات وحروفها ، ولكن هذه الملاحظات والأمثلة التى أوردها بعض اللغويين
قديما وحديثا لا تكفى لإقامة نظرة عامة واستنباط قانون عام قبل توسيع أفق
الملاحظة والاستقراء ، وهى على كل حال تدل على ما فى اللغة العربية من
الخصائص الموسيقية فى تركيب كلماتها وعلى ما بينها وبين الطبيعة من تقابل
صوتى وتوافق فى الجرس - وذلك أول دليل تقدمه لنا العربية من خاصتها ،
الطبيعية وعلى أنها بنت الفطرة والطبيعة » (٧٤) .

أنظر باى شئ اهتم اهتم بالسطح بالشكل الخارجى خصائص موسيقية
مناسبة طبيعية تقابل صوتى توافق فى الجرس ٠٠٠/٠٠٠ ، كلام ، وترك الجوزر

(٧١) السابق ص ٢٥٩ / ٢٦٠ .

(٧٢) السابق ص ٢٦٠ .

(٧٣) السابق ص ٢٦٠ .

(٧٤) فقه اللغة وخصائص العربية (السابق) ص ٢٦١ .

ثم يأتى بعد ذلك مباشرة بهذا القول الفصل :-

« ونستطيع أن نقول في غير تردد أن الحرف في اللغة العربية إحياء خاصا فهو ان لم يكن يدل دلالة قاطعة على المعنى يدل دلالة اتجاه وإحياء ويثير في النفس جوا يهئ لقبول المعنى ويوجه اليه ويوحى به » (٧٥) .

وهذا الكلام الأخير أيضا لا نقبض منه على شيء - ولكن الاستاذ المبارك في الواقع أثار أفكارا كثيرة متداخلة تحتاج كل واحدة منها الى وقفة خاصة بها لمناقشتها .

فبو مثلا يتحدث عن الوظيفة البيانية والقيمة التعبيرية للحرف في اللغة العربية . . . ليست لغات العالم كلها مكونة من حروف ؟ ! أليس الأحرف هو الحرف ؟ ! ليست من الحروف تتكون الكلمات في العربية وغيرها من اللغات اذن الأمر ليس خاصا بالعربية وبأبنائها - فاينت الى المناسبة الطبيعية اذن التى تجعل الحرف في ذاته يستدعى المعنى ؟ ! ان استدعاه عندنا استدعاه عندهم .

ثم هو في فكرة أخرى يقلب القضية أو كما يقولون يجعل العربى أمام الحصان فيقول : ان اشتراك كلمات في حرفين من الحروف الأصلية يفيد اشتراكها في شيء من المعنى أو في معنى عام جامع لمعانيها - ويضرب على ذلك المثل :

جمع جمل جمد جمر فالبنية متحدة واختلف حرف واحد فالجزء المتحد موجود في الجميع - فهل هو وحده يعطى معنى ؟ ننظر أذن وقد وضعت الكلمات وضعا رأسيا وننطق الجزء المتحد في كل الكلمات ماذا أفاد وهل اختلف من كلمة الى الأخرى - الذى أفاد هو الوحدة الصوتية التى بموجبها تحدد المعنى .

جم / ع /

جم / ل /

جم / د /

جم / ر / المقاطع وحدها عديمة المعنى على أى من الجانبين

(٧٥) السابق ص ٢٦١ .

• فهذه هى نظرية الفوينم الوحدة الصوتية الصغرى التى يتغير بموجبها
المعنى ويؤدى فيها قانون التقارب والتتابع وظيفته •

هل الاشتراك فى الحرفين معا هو الذى أعطى المعنى العام الجامع - هل
لو وقفنا عند الحرفين معا فقط نستفيد شيئا ؟ •

• الحرف الثالث فقط هو الذى بموجبه تغير المعنى •

• ثم ادى قانون التقارب وقانون التتابع وظيفته •

• ومثل المثال السابق مثال : كسر - وكسف •

كسـ / ر /

كسـ / ف /

وأما قوله عن أفادة الراء معنى الاستمرار والتكرار فى : مر - وجر ، ودر ،
روعى ، ورقى ، وعرف • فهذا لا يخضع لنظرية واحدة ولا لقانون واحد - ففيه من
نظرية الفوينم مع قوانين التقارب والتشابه والتداعى والراء وحدها لم تفد
المعنى العام وإنما الذى أفاد المعنى هو حروف الكلمة مجتمعة - ولو وقف
الأمر عند الراء وحدها ما عبر عن معنى ولا عرف السامع مقصدا - فلكل كلمة
دالتها وتقسم مجموعات على النحو الآتى :

ج / د / ر / ع / ا غرق

م / د / ر / ق / ا

د / ر /

ومثله كلامه عن الغين • فهل الغين وحدها أفادت معنى الاستتار فى

غا / ص / غم / ض / غمر غيم غطى

غا / ر / غم / ر /

غا / ض / غم / ز /

حروف الكلمة مجتمعة أفادت المعنى - والغين وحدها لم تفد معنى الغياب
والحرف الذى يختلف فى كل كلمة هو الذى حدد نوع المعنى المطلوب - والتقارب

حين الحروف هذا خاضع لقوانين معروفة لدى الدراسين وما تشترك فيه الكلمات من معنى عام فهذا راجع لقوانين خاصة سبقت الإشارة إليها مثل قانون التآرب ... الى آخره مما هو وثيق الصلة بطبيعة المتكلمين بالعربية وبخصائص العربية نفسها ومثله ما جاء بخصوص افادة القاف الشدة والانفصال او الاصطدام فانه يجمع أى مادة ويحاول أن يوجد بينها أى تقارب لأوى الأسباب .

| | | | | | |
|-----------|-----------|-----------|-----------|-----------|-----------|
| قـ / د / | قـ / نـ / | قـ / عـ / | قـ / دـ / | قـ / رـ / | قـ / قـ / |
| قـ / طـ / | قـ / صـ / | قـ / فـ / | قـ / طـ / | قـ / طـ / | قـ / شـ / |
| | | | | | قـ / دـ / |
| | | | | | قـ / فـ / |

مادة جمعت أى جمع على غير قانون - مع محاولة الربط بينها بأوى الأسباب .

● وأما ما جاء من أقوال له خاصة بأبن جنى فتلك قضية أخرى يوضع تحليل كل باب من الأبواب الخاصة بأبن جنى حقيقة مايريده صاحبه بشأنها . فمن الممكن الرجوع الى ما جاء فى باب « فى تصاقب الألفاظ لتصاقب المعانى » .

وباب فى امساس الألفاظ أشباه المعانى .
بل وغير ذلك من الأبواب الأخرى التى تعرضنا لها .

وأما قوله عما أورده اللغويون قديما وحديثا من ملاحظات وأمثلة وانها لا تكفى لاقامة نظرة عامة واستنباط قانون عام

اعتراف صريح باهدار جهود علماء العربية فى القديم - وبإضاعة كل ماقدموه من نظريات ودور ريادة وتبديد لما فى التراث .

● أما عن جهود المحدثين : - اذن ففيم كل هذا الجهد ان كنت بعد كل هذا لا يمكن أن تخرج منه بقانون أو اقامة نظره عامة - هل هو إضاعة وقت وجهد . اذن فلننفض اليد أو نضعن النظر .

● ألا يمثل أن يكون الطريق قد ضاع .

ان من يعرف الطريق يجد النظرية متكاملة الأبعاد وإن هناك أسساً
انبعثت عنها النظرية وهناك قوانين تحكمها على نحو ما أوضحنا .

أما قوله : وهي على كل حال تدل على ما في اللغة العربية من الخصائص
الموسيقية في تركيب كلماتها ، فهو كلام لا نحصل من ورائه على طائل وليس
فيه كبير نفع .

وكذلك قوله : أنها تدل على ما بين كلماتها وبين الطبيعة من تقابل صوتي
وتوافق في الجرس وذلك أول دليل تقدمه لنا العربية من خاصتها الطبيعية
وعلى أنها بنت الفطرة والطبيعة .

فهو كلام له رنين غير أنه لا يمثل أمام الباحث أو طالب العلم أي معمم
على طريقة .

ونقدم عرضاً تحليلياً تطبيقياً لباب في أساس اللفاظ أشباه المعاني -

باب في أساس الالفاظ أشباه المعاني (١)

يترسم ابن جنى في هذا الباب خطوات الخليل وسيبويه على نحو ما ينصر
هو على ذلك ثم ينطلق في عرض قوالب لغوية عامة وبنيات شكلية من خلال
صيغ صرفية يدخل ضمنها ما يستجيب لها من معان على نحو ما مر
في الباب السابق - ولكن في شيء من التفصيل والموازنة التي يتطلبها المقام

يقول ابن جنى : -

• اعلم أن هذا موضع شريف لطيف • وقد نبه عليه الخليل وسيبويه
وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته •

قال الخليل : كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدا فقالوا : صر
وتوهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا : صرصر •

وقال سيبويه (٢) في المصادر التي جاءت على الفعلان : أنها تأتي
للاضطراب والحركة ، نحو : النقران ، والغليان ، والغثيان ، فقالوا : بتوالي
حركات المثال توالي حركات الأفعال ، • ثم يتابع ابن جنى نصه قائلا :

• ووجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سمت ماحداه ، ومنها ج
ما مثلاه :

-
- (١) الخصائص (السابق) ح ٢ ص ١٥٢ •
(٢) الكتاب ح ٢ ص ٢١٨ - عبارة سيبويه في الكتاب : • ومن المصادر
التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك : النزوان والنقران •
والقفزان • - وإنما هذه الأشياء في زغرة البدن واحتراز في ارتفاع •
ومثله العسلان والرتكان
ومثل هذا الغثيان لأنه زغرة وتحرك : ومثله الغثيان لأنه تجيش نفسه
وتثور :
ومثله الخطران واللمعان لأن هذا اضطراب وتحرك • ومثل ذلك التهابان
والوهجان لأنه تحرك الحر وتثوره - فانما هو بمنزلة الغليان •

وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير ، نحو : الزغزغة ،
والقلقة ، والصلصلة ، والقعقعة ، والبصصة ، والقرقرة •

ووجدت أيضا الفعلى في المصادر والصفات انما تأتي للسرعة نحو :
البشكى ، والجمزى ، والولقى • قال رؤبة :

أو بشكى وخذ الظليم النز (٣) •

وقال الجذلى (٤) :

كأنى ورحلى اذا هجرت على جمزى جازىء بالرمال
أو أصحم حمام جراميزه حزابية جيدى بالدحال (٥)

فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر - أعنى باب القلقة •

والثال الذى توالى حركاته للأفعال التى توالى الحركات فيها •

ومن ذلك وهو أصنع منه - أنهم جعلوا استعمل فى أكثر الأمر للطلب ،
نحو : استسقى ، واستطعم ، واستقوع ، واستمنح ، واستقدم عمرا -
واستصرخ جعفرأ فرتبت فى هذا الباب الحروف على ترتيب الأفعال (٦) •

وبعد أن يفسر ابن جنى كيف جعلوا (استعمل) فى أكثر الأمر للطلب
يقول :

« فجاءت الهمزة والسين والتاء زوائد - ثم وردت بعدها الأصول الفاء
والعين واللام فهذا من اللفظ وفق المعنى الموجود هناك - وذلك أن الطلب للفعل
والتماسه والسعى فيه والتأتى لوقوعه تقدمه - ثم وقعت الإجابة اليه -

(٣) الديوان ٦٥ - الظليم النز : يقال ظليم فز : لا يستقر فى مكان •
(٤) فى اللسان فى جمز : هو أمية بن أبى عائذ • وانظر الهذليين ١٧٦/٢
(٥) الجمزى : حمار وحش : وجازى : يستغنى بالربط عن الماء -
والأصحم : حمار وحش أيضا من الصحمة وهى سواد الى صفرة - وجراميزة :
جسده وفسه ، يحميا من الصائد ، حزابية = غليط - حيدى = جيد من
سرعته - والدحال : جمع الدحل ، وهو هوة ضيقة الأعلى واسعة الأسفل •
(٦) الخصائص (السابق) ح ٢ ص ١٥٣ •

تتبع الفعل والسؤال فيه والتسبب لوقوعه - فكما تبعت أفعال الإجابة أفعال
الطلب تبعت حروف الأصل الزائدة التي وضعت للالتماس والمساءلة - وذلك
نحو : استخرج ، واستقدم ، واستوهب ، واستمنح ، واستعطى واستدنى .

فهذا على سمت الصنعة التي تقدمت في رأى الخليل وسيبويه الا أن هذه
أغمض من تلك ، غير أنها وإن كانت كذلك فإنها منقولة عنها ، ومعقودة عليها
ومن وجد مقالا قال به وإن لم يسبق اليه غيره .

فكيف به اذا تبع العلماء فيه ، وتلاهم على تمثيل معانيه (٧) .
ثم يذكر أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلا على تكرير الفعل .

فيقول :

« ومن ذلك أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلا على تكرير الفعل .
فقالوا : كسر - وقطع - وفتح وغلق - وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلا
المعاني فاقوى اللفظ ينبغى أن يقابل به قوة الفعل والعين أقوى من الفاء
واللام »

... فلما كانت الأعمال دليلا المعاني كرروا اقواما وجعلوه دليلا
على قوة المعنى المحدث به ، وهو تكرير الفعل كما جعلوا تقطيعه في نحو صرصر
وحقق دليلا على تقطيعه »

... ، ... وقد اتبعوا اللام في باب المبالغة العين اذا كررت العين معنا
في نحو :

دممك ، وصمحم ، وعركرك ، وعصصب ، وغشمشم ، والموضع في
ذلك العين ، وانما ضامتها اللام هنا تبعا لها ولاحقه بها .

الا ترى الى ما جاء عنهم للمبالغة من نحو :
اخلولق واعشوشب ، واغدون ، واحمومي ، واذلولي ، وانطوطي

وكذلك في الاسم ، نحو : عثوثل ، وغودن ، وخفيدد ، وعقنقل ، وعنبيل
وهجنجل قال :

ظلت وظل يومها حوب حل وظل يوم لأبي الهجنجل (٨)

فدخل لام التعريف فيه مع العامية يدل على أنه في الأصل صفة كالحارث ،
والعباس ، وكل واحد من هذه المثل قد فصل بين عينيه بالزائد لا باللام .

فعلت أن تكرير المعنى في باب صمصحح انما هو للعين ، وإن كانت اللام
فيه أقوى من الزائد في باب : لفعول - وفعول - وفعيعل - و وفنععل .

لأن اللام بالعين أشبه من الزائد بها . ولهذا أيضا ضاعفوها كما ضاعفوا
العين للمبالغة نحو : عتل ، وصل ، قمد ، حزق .

ألا أن العين أقعد في ذلك من اللام - هذا هو الباب .
فأما : اقعنسس : واستحكك - فليس الغرض فيها التوكيد والتكرير
لأن ذا إنما ضعف لللاحاق فهذه طريق صناعية .

وباب تكرير العين هو طريق معنوية .
ألا ترى أنهم لما اعتزموا افادة المعنى توفروا عليه ، وتحاموا طريق
الصنعة واللاحاق فيه - فقالوا : قطع - وكسر - تقطيعا وتكسيرا .
ولم يجيئوا بمضمره على مثل فعلة فيقولوا : قطعة - وكسرة . كما
قالوا في الحق بيطر بيطرة - وحوقل حوتلة ، وجبور جهوره .

وبذلك على أن افعول لما ضعفت عينه للمعنى انصرف به عن طريق
اللاحاق تغليا للمعنى على اللفظ - واعلاما أن قدر المعنى عندهم أعلى وأشرف
من قدر اللفظ .

(٨) حوب : زجر للابل الذكور منها - وحل : زجر لاناثها - ومعناه :
أنه يريد : ظل بومها مقولا فيه : حوب حل - وورد هذا الرجز مع صلة له
في شرح التبريزي للحماسة ٣٣٣/١ تحقيق : الشيخ محمد محي الدين عبد
الحميد .

أنهم قالوا في أفعول من رددت : آردود ولم يقولوا : اردود فيظهروا
التضعيف لللاحق - كما أظهروه في باب اسخكك ، واكثد - لما كان لللاحق
بأخرنجم وأخرنطم .

ولا نجد في بنات الأربعة نحو : أخرجهم ، فيظهروا (أفعول) من رددت
فيقال اردود - لأنه لا مثال له رباعي فيلحق به .

فهذا طريق المثل واحتياطاتهم فيها بالصنعة ودلالاتهم منها على الإرادة
والبغي (٩) .

يتخذ ابن جنى مما قدمه الخليل وسيبويه منها يحتذيه في البحث ويقدم
في ضوئه صيغا مختلفة تمثل أبعادا متنوعة .

ويقول : « وجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سمت ماحداه
ومنهاج ما مثلاه » .

وذلك على النحو الآتي : -

١٠ - المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير .

| الفعول الرباعية | مصدر الفعل الرباعي | وزن الفعل | وزن مصدره |
|-----------------|--------------------|-----------|-----------|
| زغزغ | زغزغة | فعلل | فعللة |
| ثقل | ثقللة | فعلل | فعللة |
| صلصل | صلصلة | فعلل | فعللة |
| تعتع | تعتعة | فعلل | فعللة |
| صعصع | صعصعة | فعلل | فعللة |
| قرقر | قرقررة | فعلل | فعللة |

فكل المصادر الرباعية السابقة التي جاءت في قالب

(٩) الخصائص (السابق) ح ٢ ص ١٥٧ / ١٠٦ .

فعللة مصدر فعلل جاءت للتكرير
فعلل = فعللة • أى أن المثال المكرر للمعنى المكرر -

٢ - ٠ - وزن الفعلى فى المصادر والصفات للسرعة

الفعلى مثل البشكى تفيد السرعة

الفعلى مثل الجمضى تفيد السرعة

الفعلى مثل الولقى تفيد السرعة

ثم يقول أن : المثال الذى توالى حركاته (فـ هـ لى) • للأفعال التى توالى الحركات فيها ••

● فهو قالب شكلى معين يستجيب لأى أصل قابل لأن يتقلب فيه
فيمتدحج له المعنى وليس هنا ربط رمز صوتى معين بدلالة وقفت عليه وإنما
تجمعات صوتية مختلفة أتاحت معنى واحدا •

| الوزن | فى أكثر الأمر للطلب | ٣ - ٠ - استفعل |
|--------|---------------------|----------------|
| استفعل | طلب السقيا | استسقى |
| استفعل | طلب الطعام | استطعم |
| استفعل | طلب الهبة | استوهب |
| استفعل | طلب منحا أو مذحة | استمنح |
| استفعل | طلب قدوم عمرو | استقدم عمرا |
| استفعل | طلب الاغاثة بالصراخ | استصرخ |

أى أن است + الأصول (أى أصل كان وذلك على النحو الآتى)

است + ف ع ل

است + ط ع م

است + و ه ب

است + ص ر خ

است + ج ز ح

است + د ن و

فهى صيغ شكلية قابلة لأن تستجيب لآى أصول تتغير المعانى بمقتضاها
وليس وقفا على أصل واحد - أو رمز صوتى معين فننسبها للرمزية الصوتية
أو نقول انه يربط بين دال بعينه ومداول بعينه .

- ٤ - ٠ - فعل = تكرير العين دليلا على تكرير الفعل (فعل)
كسر = تكرير العين دليلا على تكرير التكسير (كسر)
قطع = تكرير العين دليلا على تكرير التقطيع (قطع)
فتح = تكرير العين دليلا على تكرير التفتيح (فتح)
غلق = تكرير العين دليلا على تكرير التغلق (غلق)

وهذا قالب شكلى أيضا يستجيب لآى أصل يتغير المعنى بمقتضاه -
وليس وقفا على أصل واحد وإنما هو قاعدة يتشكل فى صونها ما يستجيب ليا
من صيغ فليس هنا ربط رمز صوتى بعينه بدلالة بعينها .

- ٥ - ٠ - اتبعوا تكرير العين فى باب المبالغة أن كرروا اللام أيضا .
فعلل كررت العين - وكررت اللام . فاللام جاءت تبعا للعين
ولاحقة بها : -

اتبعوا تكرير العين فى المبالغة تكرير اللام ولذلك فصيغ فعلل فى المبالغة
أقوى من افعل - وفعل - وواضح أنه يتحدث هنا عن بنيات شكلية
على نحو ما يأتى مفصلا : -

٦ - ٠ -

| | | |
|-------|--------|-------|
| (١) | (٢) | (٣) |
| نعلل | افعلل | فعلل |
| دمكم | اخلولق | عثول |
| صمحم | اعشوشب | عنون |
| عركرك | اغدون | خفيدد |

| | | |
|---------------------|--------|-------|
| عققل | احمومى | عصبصب |
| عتنقل | اذلولى | غشمشم |
| هجنجل | افطوطى | |
| الهجنجل (دخول) ال | | |

التعرف فيه يدل على انه فى الأصل صفة كالحارث والعباس .

فى الأول فصل بين عينيه باللام - (فهو أقوى)

وفى الثانى والثالث فصل بين عينيه بالزائد وهو الواو .

تكرير المعنى فى الأول (صحصح) انما هو للعين . وان كانت اللام فيه

أقوى من الزائد فى باب أفوعول - وفيعيل - وفعنعل .

٧ - ٠ - وكما ضاعفوا العين للمبالغة ضاعفوا اللام للمبالغة كذلك نحو : -

فعل = فعملل ضم الاول والثانى وتضعيف الثالث

عتل = عتئل

صمل = صمئل

قمم = قممم

خزق = خزقق .

وكذلك نماذج المثال السادس والمثال السابع تتحدث عن بنيات شكلية

وصيغ وأوزان صرفية ولا تتحدث عن رموز صوتية معينة أو ألفاظ يربط بينها

وبين مدلولاتها رابط ضرورى طبيعى .

٨ - ٠ - أما اتعنسى ، واسحنكك فالتضعيف للاحاق وليس للتوكيد

والتكرير واللاحاق طريق صناعية أى تلحق صيغة بصيغة عن طريق

صناعى (صرفى) أما تكرير العين فهو طريق معنوى أى هدفه مرتبط

بالدلالة لا بالصنعة فاللاحاق يتم بالصيغ الشكلية وتضعيف العين

يرتبط بالدلالة توضيح ذلك :

«نهم» عندما يريدون افادة المعنى يتحامون طريق الصنعة واللاحاق فيه .
 مثال ذلك : - أنهم لم يجيئوا بمصدره على فملة .

| الفعل | المصدر |
|-------|----------|
| فعل | تفعيلا |
| قطع | تقطيعا |
| كسر | تكسيرا |
| | ل X كسرة |

٩ - أما اللحق

| الفعل | المصدر | الوزن | المصدر |
|-------|--------|-------|--------|
| بيطر | بيطرة | فيعل | فبيطة |
| حوقل | حوقلة | فوعل | فوعلة |
| جهور | جهورة | فُعول | فُعولة |

١٠ - افعول لما ضعفت عينه للمعنى أنصرف به عن طريق اللاحاق
 تغليباً للمعنى على اللفظ .

افعول من رددت .

ارحود بتضعيف الدال الاخيرة ولم يقولوا أدود

فيظهر التضعيف لللاحاق كما أظهروه في باب اسحتكك .

الكنند لما كان لللاحاق باجر نجم واخر نظم .

ولا تجد في بنات الأربعة نحو :

اخرجهم فيظهروا لفعول من رددت فيقال

اردود - لأنه لا مثال له رباعي فيخلق هذا به .

نماذج المثال الثامن والمثال التاسع والمثال العاشر يوازن بين حالات يكون فيها التضعيف بهدف شكلي صرفي بحث - (التضعيف) وبين التضعيف عندما يكون استجابة لدلالة داخل البنية الشكلية (التضعيف للتوكيد والتكرير) وكيف يترتب على ذلك اختلاف في البنيات الشكلية من حيث الأوزان الصرفية .

ومن خلال العرض السابق يتبين أن النماذج التي عالجها ابن جني داخل هذا الباب إنما هي بنيات شكلية وصيغ وأوزان صرفية قابلة لأن تحتوى الأصول التي تتواءم معها لتنبثق عنها ما تقتضيه الدلالة المشار إليها .

وهكذا أوضح ابن جني معالم منيج ورسم طريقا للبحث بنماذج وأمثلة نتيجة تتبع واع لما يعرض له من ظواهر لغوية في أوضاع استعمالاتها المختلفة متخذاً من صيغ الاستعمال وبنياتها الشكلية المختلفة ما يحدد أبعادها سواء ما يتصل منها بالصنعة أو ما يتصل منها بالدلالة والمعنى وترك للباحث من بعده طريقاً هو على بينة فيه من أمره - أو على حد عبارة ابن جني نفسه : فهذا طريق المثل واحتياطاتهم فيها بالصنعة ودلالاتهم منها على الإرادة والبنية » (١٠) .

اذن فنحن أمام نظرية لغوية عامة تكشف عن جانب هام من جوانب اللغة ، وهي التي تعرف في علم اللغة اليوم باسم *morphonologie* Ou *la morpho phonologie* معالجها واضحة عند ابن جني وأبعادها محددة ، وقد أعانه على صياغتها والتمثيل لها ورسم حدودها طبيعة اللغة العربية فهي لغة تصريفية اعرابية - لذلك فالنظرية واضحة مستقرة ، وكان على اللغويين أن ينتقبوا لها قديماً أو حديثاً لتأخذ مكانها في حقل الدرس اللغوي - فدراسة البنيات الشكلية على هذه الصورة الصرفية الصوتية الدلالية لم يصل إليها علم اللغة - حتى اليوم إلا بصورة غير كاملة ولذلك مازال الدرس اللغوي العربي رائداً فيها - وذلك لان طبيعة لغات الغربيين لم تسعفهم بإبراز معالم هذه النظرية على حين

(١٠) الخصائص (السابق) ح ، ص ١٥٧ .

(١١) الخصائص (السابق) ح ، ص ١٤٥ .

أن اللغة العربية أو الساميات عامة تعطى النماذج التي تسهل إبراز معالم النظرية مما يدفعني الى القول بأن علماء اللغة الغربيين استفادوا فكرة هذه النظرية - وفكرة الدراسة الخاصة بها مما هو موجود لدى علمائنا في التراث - وبنوع خاص مما هو موجود في أعمال ابن جنى ولا سيما تلك الاعمال التي هي بين أيدينا .

دراسة البنيات الشكلية ذات الصور الصوتية الدلالية

وبعد :

فان الموضوع الذي ننتقل له الآن عند ابن جنى يتصل بتلك القضية الكبرى التي نحن بصدد علاجها ، وينبثق عنها . وقد جاء في كتاب الخصائص تحت عنوان :

باب في قوة اللفظ لقوة المعنى (١)

وهم يدخلون هذا الباب عند ابن جنى ضمن قضية الرمزية الصوتية (٢)
* ويطلعنا ابن جنى من عرضه لهذا الباب على ظاهرة لغوية في العربية
جديرة بأن تأخذ حظها من عناية الدارسين لما تقوم به من دور وظيفي على
المستوى الدلالي من ناحية ومستوى الصيغة وبنية الكلمة من ناحية أخرى .
وخلاصة نكرة هذه الظاهرة عنده تتحدد أبعادها على النحو الآتي :

يقول ابن جنى :

« هذا فصل من العربية حسن - منه قولهم : خشن واخشوشن • فمعنى
خشن دون معنى اخشوشن • لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو • ومنه قول
عمر رضى الله عنه : اخشوشنوا وتمعدنوا أى اصلبوا وتناهوا فى الخشنة (٣)
وكذلك قولهم : أعشب المكان ، فاذا أراد كثرة العشب فيه قالوا : أعشوب
ومثله : حلا واحلولى • وخلق واخولق • وغدن واغدودن •
ومثله باب فعل واقتعل نحو : قدر واقتدار •
فاقتدر أقوى معنى من قولهم قدر • كذلك قال أبو العباس وهو محض
القياس •

قال سبحانه : « أخذ عزيز مقتدر » (٤) فمقتدر هنا أوفق من قادر من حيث
كان الموضع لتفخيم الأمر وشدة الأخذ - وعليه - عندى قول الله - عز وجل -
« لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » (٥) ٠٠٠٠ / ٠٠٠٠ / ٥٠٠٠٠
فعلم بذلك قوة فعل السيئة على فعل الحسنة • ولذلك قال - تبارك وتعالى - :

(١٢) على نحو ما سيتبين فيما بعد ان الدكتور أنيس يرى في كيفية علاجه
رأيا آخر مخالفا لما يراه ابن جنى وكذلك للدكتور صبحى الصالح رأى آخر
بخصوصه على نحو ما سيأتى ••

(١) الخصائص (السابق) ح ٣ ص ٢٦٤ •

(٢) الخشنة : مصدر خشن كالخشونة •

(٣) سورة القمر آية ٤٢ •

(٤) سورة البقرة آية ٢٨٦ •

« تكاد السموات يتفطرن منه وتتشق الأرض وتخر الجبال هذا أن دعوا للرحمن ولدا ، (٥) » فإذا كان فعل السيئة ذاهب بصاحبه الى هذه الغاية البعيدة المترامية - عظم قدرها - وفخم لفظ العبارة عنها فقيل : « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » - فزيد في لفظ فعل السيئة لما ذكرنا .

ومثله سواء . بيت الكتاب :

أنا اقتسمنا خطيتنا بيننا فحملت برة واحتملت فجار (٦)

فعبر عن البر بالحمل - وعن الفجرة بالاحتمال - وهذا هو ما قلناه في قوله - عز اسمه : « ليا ما كسبت وعليها ما اكتسبت » - لا فرق بينهما -

وذاكرت بهذا الموضوع بعض أشياخنا من المتكلمين فسر به وحسن في نفسه ومن ذلك أيضا قولهم : رجل جميل ، ووضي ، فإذا أرادوا المبالغة في ذلك قالوا : وضاء ، وجمال - فزادوا في اللفظ هذه الزيادة لزيادة معناه - قال (٤) :

والمرء يلحقه بفتيان الندى خلق الكريم وليس بالوضاء

وقال (٧) :

تشى بهم حسن ملاح أجم حتى هم بالصياح
وقال :

منه صفيحة وجه غير جمال وكذلك حسن وحسان

ضم الأول وتضعيف الثاني .

قال (٨) :

دار الفتاة التي كنا نقول لها يا ظبية عطلا حسانة الجيد

وكان أصل هذا أنما هو لتضعيف العين في نحو المثال ، نحو قطع وكسر وبابهما وَأَتَمَّ جعلنا هذا هو الأصل لأنه مطرد في بابيه أشد من اطراد

(٥) سورة مريم آيتا ٩٠ ، ٩١ .

(٦) أبو صدقة الدبيري اللسان مادة وضاء - والمخصص لابن سيدة

١٥ / ٨٩ .

(٧) البيت في اللسان - مادة : ملح : والحديث عن امرأة . ويعنى بالجهم :

فرجهما .

(٨) الشماخ : وهو من قصيدة في ديوانه يهجو فيها الربيع بن علباء -

والعطل - التي لا حلى عليها .

باب الصنعة • وذلك نحو قولهم قطع وقطع - وقام الفرس وقومت الخيل - ومات البعير وموتت الابل - ولأن العين قد تضعف في الاسم الذي ليس بوصف .
نحو : قبر (٩) وتمر (١٠) وحر (١١) .

••• / ••• ونحو من تكثير اللفظ لتكثير المعنى المدول عن معتاد حاله •
وذلك فعال في معنى فاعيل نحو : طوال فهو أبليغ معنى من طويل ، وعراض
فانه أبليغ معنى من عريض • وكذلك خفاف من خفيف ، وقلال من قليل ،
وسراع من سريع •

فعمال الممرى وإن كانت أخت فاعيل في باب الصفة - فان فاعلا أخص
بالباب من فعال - ألا تراه أشد انقيادا منه - تقول : جميل - ولا تقول : جمال
- وبطىء ولا تقول : بطاء - وشديد ولا تقول : شداد - ولحم غريض ولا يقال :
غراض •

فلما كان فاعيل هي الباب المطرد وأريدت المبالغة عدلت الى فعال ، فصارعت
فعال بذلك فعال - والمعنى الجامع بينهما خروج كل واحد منهما عن أصله ،
أما فعال فبالزيادة بتضعيف المعنى •

• أما فعال فبالانحراف به عن فاعيل (١٢) •
بعد أن استعرضنا مع ابن جنى أبعاد فكرة هذا الباب عنده نستطيع أن
نخلص بالحقائق الآتية : -

● يتتبع ابن جنى في هذا الباب ظاهرة لغوية يعرضها من خلال صيغ
صرفية وبنيات شكلية ••• ، فالتقضية اللافتة لابن جنى قضية قوالب لغوية
عامة تستجيب الدلالة لها وتتغير المعاني بامتصاصها - من خلال تغير الصيغ •

من ذلك :

• - فعل وافعول

-
- (٩) القير : هو من الطيور وواحدته قبرة •
(١٠) والتمر : جمع التمرة - وهو طائر أصغر من العصفورة •
(١١) والحر : هو طائر أيضا - واحدته حمرة •
(١٢) كتاب الخصائص (السابق) ح ٣ من ص ٢٦٤ / ٢٦٨ •

خشن واخشوش

فعل دون انفعول لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو - ومثله :

خلق واخْلوق

حلا واحْطولي

• - فعل وانفعول - بكسر عين فعل

غدن واغدون

• - افعل واضعول

أعشب واعشوشب

• - فعل واقتعل - بفتح عين فعل

تقدر واقتدار

اقتدر أقوى من قدر من قولهم = « أخذ عزيز مقتدر » •

كسب واكتسب = « لها ما كسبت وعليه ما اكتسبت » •

حمل واحتمل = « فحملت برة واحتملت فجار » •

• - فعيّل وفعال - بضم الفاء وتضعيف العين في فعال

جميل وجمال

وضى ووضاء

ملّيح وملّاح

• - فعل وفعال - فتح الـياء والعين في فعل وضم الفاء وتضعيف العين

في فعال •

حسن وحسان = حسانة الجيد •

• - العدول عن معتاد الحال في فعال في معنى فعيّل

فعيّل وفعال

| | |
|------|-------|
| طويل | طوال |
| عريض | وعراض |
| خفيف | وخفاف |
| قليل | وقلال |
| سريع | وسراع |

ضارعت فعال بذلك - ضم الفاء وفتح العين في الأولى - وضم الفاء وتضعيف العين في الثانية - والمعنى الجامع بينهما خروج كل واحد منهما عن أصله فعال - بالزيادة - وفعال بالانحراف عن فاعيل .

ويأتى قول ابن جنى جامعا لخلاصة فكرته ازاء ما نحن بصده فيقول :
 « وبعد فاذا كانت الألفاظ أدلة المعانى ثم زيد فيها شئ أوجبت القسملة زيادة المعنى به - وكذلك أن انحراف به عن سمته وهديته (١٣) كان ذلك دليلا على حادث متجدد له وأكثر ذلك أن يكون ما حدث له زائدا فيه لا منتقصا منه (١٤) » .

وواضح أنه لا صلة بين الظاهرة اللغوية التى عرضها علينا ابن جنى في بابيه السابق - وبين قضية الرمزية الصوتية .

فالقضية التى مرت عند ابن جنى قضية قوالب لغوية وبنيات شكلية تستجيب لها الدلالة وتتغير المعانى بمقتضاها ٠٠ من خلال صيغ صرفية ذات أوزان معلومة صالحة لأن يدخل ضمنها ما يستجيب لها من معان وليست قاصرة على معنى مادة واحدة محدودة ٠٠ / ٠٠ وانما معنى أى مادة شئت ينطبق عليه القانون اذن هو قانون عام .

ومعنى ذلك أن ابن جنى وضع أيضا بين أيدينا منهجا - وقدم نماذج تحتذى في البحث والدرس - وأضاف بعدا آخر من أبعاد نظرية القوالب الشكلية.

(١٣) البديية : الطريقة والسيرة .

(١٤) الخصائص (السابق) ح ٣ ص ٣٦٨ .

وقريب من هذه النظرة عند ابن جنى - ولكن من زاوية أخرى نظرتة لموضوع آخر يعرضه علينا تحت عنوان :

باب في السلب (١)

بطلنا ابن جنى من خلال بابيه هنا على ظاهرة لغوية جديدة في العربية الى اليوم لم تنل حظها لدى الباحثين وخلاصة فكرة هذه الظاهرة عنده :

أن زيادة تطراً على الكلمة فتكسيبها معنى مضادا لما عليه معانى أصل المادة وقد تكون هذه الزيادة : حرفاً - أو تضعيفاً - أو حركة ... فيتحول المعنى بوحدة منياً الى الضد - وأطلق على هذه الظاهرة : ظاهرة السلب ، من قبل أن السلب معنى حادث على اثبات الأصل الذى هو الايجاب - ثم يعمل ذلك بقوله :

« فلما كان السلب معنى زائداً حادثاً لاق به من الفعل ما كان ذا زيادة من حيث كانت الزيادة حادثة طارئة على الأصل الذى هو الفاء والعين واللام » (٢) .

وبناء على ذلك فالسلب عنده تحدثه وحدات لغوية تتراد على الكلمة فتكسيبها معنى مضادا .

فاذا نظرنا الى هذه الظاهرة في ضوء الدرس اللغوى الحديث نجدها تقترب من فكرة الفونيم *phoneme* وان كان الخلاف بينهما كبيراً .

فوظيفة الفونيم أو الوحدة الصوتية *Unit* التمييز بين الكلمات وأعطائها قيمة لغوية مختلفة أهمها القيمة الدلالية ؟ وقد تكون له قيمة صرعية أو قيمة نحوية .

(١) الخصائص ح ٣ ص ٧٥ / ...

(٢) الخصائص ح ٣ ص ٨٠ / ...

وعلى نحو ما مر ينبغي ابن جنى الى أن هذا الموضوع ليس له فيقول :
• نبيها أبو علي - رحمه الله - من هذا الموضوع على ما ذكره وأبسطه
لتعجب من حسن الصنعة فيه ، •

اعلم أن كل فعل أو اسم مأخوذ من الفعل أو فيه معنى الفعل ، فإن وضع
ذلك في كلامهم على اثبات معناه لاسليم اياه •

وذلك قولك : قام فهذا لاثبات القيام ، وجلس لاثبات الجلوس ، وينطلق
لإثبات الانطلاق ، وكذلك الانطلاق ، ومنطلق جميع ذلك وما كان مثله انما هو
لإثبات هذه المعاني لا لنفيها ، ألا ترى أنك إذا أردت نفي شيء منها الحقته
حرف النفي قلت : ما فعل ، وإن يفعل ، ولا تفعل ونحو ذلك •

ثم انهم مع هذا قد استعملوا ألفاظا من كلامهم من الأفعال ومن الأسماء
الضامنة لمعانيها في سلب تلك المعاني لالشيائتها •

ألا ترى أن تصريف (ع • ج • م) • أين وقعت في كلامهم انما هو
لإلزامهم ، وضد البيان ، من ذلك : العجم لانهم لا يفصحون :

وعجم الزبيب ونحوه لاستتاره في ذى العجم :
ومنه عجمة الرمل لما استبهم منه على سالكيه فلم يترجعه لهم :
ومنه عجمت العود ونحوه إذا عضضته : - لك فيه وجهان :
ان شئت قلت انما ذلك لادخالك اياه في فيك وإخفائك له •
وان شئت قلت : ان ذلك لأنك لما عضضته ضغطت بعض ظاهري أجزائه
فغارت في المعجوم مخفيت •

ومن ذلك استعجمت الدار إذا لم تجب سائلها • قال (٤) •
صم مداها وعفا رسمها واستعجمت عن منطق السائل

ومنه جرح المعجماء جبار (٥) لان البهيمه لا تفصح عما في نفسها .
ومنه قيل : لصلاة الظهر والعصر : المعجماء وان لانه لا يفصح فيهما بالقراءة
وهذا كله على ما تراه من الاستبهام وضد البيان .

ثم انهم قالوا أعجبت الكتاب اذا بينته وأوضحته فهو اذا لسلب معنى
الاستبهام لا لاثباته ،، (٦) .

من عرض ابن جنى لمثاله السابق تتضح أماننا حقيقتان يركز ابن جنى
عليهما :

الأولى : أنه يركز على أن مشتقات المادة كلها تدور حول معنى أصل المادة
ويوضح ذلك من خلال عرض الاستعمالات اللغوية لمشتقات المادة - يتضح هذا
من واقع الاستعمال ومن عرف الجماعة اللغوية . وليس عدا من الرمزية الصوتية
في شيء / ...

الثانية : أن الهمزة عندما أضيفت الى أصل المادة (ف . ع . ل) =
(ع . ج . م) سلبت أصل المادة معناها الأساسى وأعطتها معنى الضد .

تفسير ذلك أن كل مشتقات مادة (ع . ج . م) انما هو للملابهام الذى هو ضد
البيان - ولكن عندما زيدت الهمزة - فصارت (أ ع . ج . م) . صارت لازلة
لعجمة أى لاعطاء معنى البيان والتوضيح .

فدور الهمزة الدلالى داخل هذه الكلمة انما هو لسلب معنى الاستبهام ،
أى أنها وحدة صوتية ذات وظيفة دلالية .

ويعرض ابى جنى أمثلة أخرى أدت فيها الهمزة هذا الدور الوظيفى : -
يقول : « ومثله تصريف (ش ك و) فأين وقع ذلك نعمناه : اثبات الشكو ،
والشكوى ، والشكاة ، وشكوت ، واشتكيت .

(٥) ومقصود القول : أن البهيمه المعجماء اذا تنقلت من صاحبها وأتلفت
شيئا فلا ضمان على صاحبها . وأما الجبار فمعناه البدر .
(٦) الخصائص (السابق) ج ٣ ص ٧٦ .

فالباب فيه كما تراه لاثبات هذا المعنى :

- ثم انهم قالوا : أشكيت الرجل اذا أزلت عنه ما يشكوه .
- فهو اذا لسلب معنى الشكوى لا لاثباته .

أنشد أبو زيد :

تمد الأعناق أو تلويها وتشتكى لو أننا نشكيها
مس حوايا قلما تجفيها (٧)

وفي الحديث (٨) : شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حر الرمضاء .
فلم يشكنا ، أى : فلم يفسح لنا فى ازالة ما شكوناه من ذلك اليه ، (٩) .
ومنه حكاية الفراء عن أبي الجراح :

بى اجل - فاجلوني - أى داوونى ليزول عنى .

والاجل : وجع فى العنق (١٠) .

فالميزة أدت وظيفة واحدة فى الأمثلة المختلفة فإين هى الرمزية أو العلامة الطبيعية ؟

أما الزيادة التى تأتى نتيجة للتضعيف فقودى الدور الوظيفى السابق -
فيوضحها قول ابن جنى الآتى : حيث يقول :

(٧) جاء : قال ابن الأثيرافى : « وصف ابلاقد أتعبها السير ، فهى
تمد أعناقها » .

والابل اذا أعيت ذلت ومعت أعناقها أولوتها .

وأما قوله : (مس حوايا) : مفعول تشتكى - والحوايا جمع الحوية :
وصى كساء محشو حول سنام البعير .

- وقوله : (نجفيها) : أى نزيل عنها الحوايا - وذلك بترك الرحيق -
حاشية (٣) - السابق - وانظر الخزانة ح ٤ ص ٥٣٠ - واللسان : مادة .
(جفو) .

٨ - رواه مسلم فى أوقات الصلاة . والرمضاء الذى اشتدت حرارته -
وكانوا سألوه تأخير صلاة الظهر - وقيل : ان هذا نسخه حديث الإبراد . انظر

شرح النووى - والخصائص حاشية (٤) ص ٧٧ .

(٩) الخصائص (السابق) ح ٣ ص ٧٧ .

(١٠) لخصائص (السابق) ح ٣ ص ٧٨ .

ومنه تصريف (م ر ض) - أنها لاثبات معنى المرض نحو :

مرض - يمرض - وهو مريض - ومارض - ومرضى - ومراعى .

ثم انهم قالوا : مرضت الرجل تضعيف الراء : أى داويته من مرضه - حتى
أزلقته عنه - أو لتزيله عنه .

وكذلك تصريف : (ق . ذ . ي) أنها لاثبات معنى القذى : منه قذت
عينه ، وقذيت وأقذيتها .

ثم انهم مع هذا يقولون :

قذيت عينه : اذا أزلت عنها القذى . (تضعيف الذال) .

وهذا لسلب القذى لا لاثباته (١١) .

ومعنى ما قاله ابن جنى هنا : أن تضعيف العين في مادة (م ر ض) أى
تصويرها (مرض) وتضعيفها أيضا في مادة (ق . ذ . ي) أى تصويرها (قذيت)
ميز الصيغ من حيث الدلالة وأعطاهما قيمة لغوية مختلفة - والتضعيف هو
زيادة في كمية الصوت الصحيح تحدث نتيجة لتوتر في موضع النطق به - أى
هى زيادة صوتية ذات وظيفة دلالية ..

ودور تضعيف العين داخل هذه الكلمات إنما هو لسلب المعنى الذى عليه
أصل المادة (أى لاعطاء الضد) ويضرب ابن جنى مثلا آخر بهذا الخصوص فنقول

ومن ذلك تصريف (أ ث م) أين هى وقعت لاثبات الاثم : نحو :

أثم - يأثم - وأثم ، وأثيم ، وأثوم - والمأثوم - وهكذا كله لاثباته . ثم
ينهم قالوا :

تأثم : أى ترك الاثم (بتضعيف الثاء) .

ومثله : تحوب : أى ترك الاحوب ، ، (١٢) .

(١١) الخصائص (السابق) ح ٣ ص ٧٦ / ٧٧ .

(١٢) الخصائص (السابق) ح ٣ ص ٧٨ .

ومنه تصريف (ب ط ن) انما هو لاثبات معنى البطن : نحو : بطن وهو :
بطين - ومبطان .

ثم قالوا : رجل مبطن للخميص البطن . (بتضعيف الطاء) .

فكانه سلب هذا المعنى .

قال الهذلي :

✽ مخطوف الحشا زرم ✽

وهذا مثله سواء (١٤) . فالزيادة الصوتية نتيجة للتضعيف أدت وظيفة
دلالية وهو سلب المعنى الذى عليه الاصل واخطائه الضد .

اما الزيادة التى تأتى نتيجة للحركات - وتؤدى على أثرها الدور الوظيفى
السابق - أى تسلب المعنى الاصلى من المادة الأساسية - وتعطيها معنى
الضد . فيوضحها قول ابن جنى الآتى :

« وكان أبو على رحمه الله يذهب فى الساهر الى هذا - ويقول : أن قولهم :
سهر فلان : أى نبا جنبه عن الساهرة - وهى وجه الأرض . وقال عز وجل :
فاذا هم بالساهرة (١٥) - فكان الانسان اذا سهر قلق جنبه عن مضجعه ولم
يكد يلاقى الارض ، فكانه سلب الساهرة » .

ويوضح ابن جنى أن الزيادة فى هذا المثال جاءت نتيجة لبعض الحركات فيه
فيقول فاما سهر فانه فى بابيه : وانه خرج الى سلب أصل الحرف بنفسه من
غير زيادة فيه .

(١٣) جاء : هو مساعدة بن جوبة - والبيت بتمامه :

موكل بشدوف الصوم يرقبه من المعازب مخطوف الحشا زرم .
والصوم : شجر على شكل الانسان . وشدوفة : شخوصه .
والمعازب : الأمكنة البعيدة .

ومخطوف الحشا : ضامره - وزرم : لا يثبت فى مكان - وهو يصف ثورا .
قال الأصمعي : انه يرقب شجر الصوم يخشى أن يكون انسانا

حاشية (١٠) - السابق ص ٧٩ - وانظر الأمالى ح ١ ص ٢٥ .

(١٤) الخصائص (السابق) ص ٧٩ .

(١٥) سورة النازعات آية ١٤ .

فلك فيه عذران :

● ان شئت قلت : انه وان عرى من زيادة الحروف فانه لم يعر من زيادة
معاهو مجار للحرف : وهو ما فيه من الحركات • وقد عرفت من غير وجه مقاربة
الحروف للحركات ، والحركات للحروف : فكان في سهر الفا وياء حتى كانه
(ساهير) •

فكانه اذا ليس بعار من الزيادته ؟ اذ كان فيه ما هو مضارع للحرف •
اعنى الحركة •

● وان شئت قلت خرج (سهر) منتقلا عن اصل بابيه الى سلب معناه
منه ... / ...

... ومثل (سهر) في تعريه من الزيادة قوله (١٦) •

• يخفى (١٧) التراب بأظلاف ثمانية ،

وابن جنى يرى هنا أن السلب في مادة (سهر) حدث من المعنى الأصلي
الى البضد بأحد طريقتين :

١ - الاول بحركات هو يقدرها .. والطريق الثانى انه خرج منتقلا عن
أصل بابيه الى سلب معناه بدون زيادة ، ولكن الرأى الذى اراه انه اذا حدث
سلب المعنى بدون وجود وخدة لغوية منهما قلت حتى وان كانت حركة او صفة

(١٦) الخصائص (السابق) ح ٣ ص ٨٠ •

(١٧) قول عبدة بن الطيب - والبيت بتمامه •

يخفى التراب بأظلاف ثمانية في أربع مسهن الأرض تحليل •
والبيت من قصيدة طويلة مفضلية ، يصف فيه ثورا وحشيا صارع كلاب
الصيد ، ونجا منها وأسرع السير ؟ وهو في عدوه يستخرج التراب ، ويظهره
بأظلافه الثمانية في أربع توائمه • في كل قائمة ظلفان : وذكر أن القوائم تلمس
الأرض لمسا خفيفا ، كمن يفعل الشيء لتحليل القسم على فعله • لا رغبة فيه •
وانظر حاشية (٣) ص ٨١ - السابق •

(١٨) الاخفاء : هو الستر - ولكن يخفى هنا بمعنى يثير - فالثور يظهر
بأظلافه التراب ويثيره لذا فهذا على نحو ما أوضحنا من الاضداد وليس من
السلب •

تتصل بها من نحو زيادة في الكمية أو تقخيم أو غيره أو اختلاف في النوع من حركة خلفية ضيقة الى أمامية ضيقة، مثلا ٠٠٠ / ٠٠٠ الخ فان ذلك عندى يدخل ضمن باب الأضداد وي طرح من هذا الباب (باب السلب) ٠٠٠ / ٠٠٠

ويظل هذا الباب تحدثه نوع من الوحدات اللغوية على اختلاف أنواعها ما بين حرف أو صوت أو زيادة في الكمية بتضعيف الصحيح - أو اطالة الحركة (انملة) أو وجود صفات صوتية أخرى .. طالما أن الاستعمال اللغوى في عصور الاحتجاج أو جدما ٠٠٠ / ٠٠٠ وتكشف عنها الدراسة الخاصة بهذا الباب ٠٠٠ / ٠٠٠

ومعنى ذلك أن ابن جنى وضع بين أيدينا منهجا ، وقدم نماذج تحتذى في الدرس اللغوى .. هـ واليوم من أهم النظريات اللغوية عند اللغويين وهم لم يصلوا بعد الى كل تلك الأبعاد التى عرض مادتها ابن جنى على نحو ما قمنا ونرى .

وأخيرا :

فمن الواضح انه لا صلة هناك بين هذا الموضوع هو الآخر وقضية الرمزية الصوتية أو المناسبة الطبيعية بين الألفاظ والمعانى ٠٠٠

وانه لمن الظالم البين لهذا الفكر المبدع الذى انتهى الى عباقره من اسلافنا العلماء رضوان الله عليهم أن نحصر ابداعهم داخل دائرة الرمزية الصوتية التى لا تقدم للغة العربية من حيث الظواهر أو الخصائص شيئا يذكر وليست خاصة بالعربية وحدها فقد ناقشها اللغويون في كل العصور وطبقوها على كل اللغات . أما النظرية التى انتهى اليها هذا العالم فله فضل السبق فيها وهو رائد فيها وهى نظرية لغوية تباهى بها الغربيون وفي اللغة العربية أبعاد تميزها عن غيرها من اللغات .

وبهذا يكون قد رد الحق لأصحابه وقال الفضل مستحقوه فابن جنى عالم عربى مبدع والعربية منفردة بخصائصها داخل النظريات اللغوية العامة التى توصل اليها علم اللغة المحدث وفق مناهجه فيظل لعلماء العربية السبق والعربية التفرد بخصائصها بين اللغات داخل النظريات اللغوية عامة التى تجمع كل اللغات فهى مسيطرة للمنهج ونافعة للدرس اللغوى ومقرة الحق لصاحبه .

وان ما صنعه ابن جنى فى باب : -

فى تلاقى المعانى على اختلا الاصول والمباني (١)

يبين كيف أن ابن جنى استفاد من معاشته للبيئة اللغوية زمانيا ومكانيا
فى الحاطة واعية بسيكوجية اللغة ، وسيكلوجية المتحدثين بها ٠٠٠ / ٠٠٠

وهذا الباب فى حاجة لأن يسلط عليه ضوء التحليل اللغوى ، وذلك لاعتبارات
متعددة ٠٠٠ / ٠٠٠ على نحو ما يتبين فيما ياتى :

يقول ابن جنى :

هذا فصل من العربية حسن كثير ألفظة قوى الدلالة على شرف هذه اللغة ،
وذلك أن تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة ، فتبحث عن أصل كل اسم منها فتجده
مقضى المعنى الى معنى صاحبه (٢) .

وذلك كقولهم : (خلق الانسان) فهو فعل من خلاط الشيء أى ملسته ومنه
صخرة خلاء للمساء ومعناه أن خلق انسان هو ما قدر له ورثب عليه ، فانه
أمر قد استقر وزال عنه الشك ، ومنه قولهم - فى الخبر : قد فرغ الله
من الخلق والخلق ، (بضم الخاء واللام فى الثانية) .

والخليفة : فعيلة منه .

وقد كثرت فعيلة فى هذا الموضع . وهو قولهم : (الطبيعية) وهى
من طبعت الشيء أى قررت على أمر ثبت عليه ، كما يطبع الشيء كالدرهم
والدينار - فتلزمه اشكاله ، فلا يمكنه انصرافه عنها ، ولا انتقاله .

(١) كتاب الخصائص (السابق) ح ٢ ص ١١٣ .

(٢) حديثه هنا عن ظاهرة الترداف فى اللغة العربية ، ويتناولها تناولاً مخالفاً
لسابقه أو اللاحق من بعده حيث يوجد علاقة تبعية وتقارب بين الالفاظ المتباعدة
المتراصة التى تدور حول المعنى الواحد ويحلل ويربط فى توضيح ينضوى وفق
مفهوم الدراسة الحديثة تحت قوانين علمية لم يتوصل لها المحدثون اليوم الا
متأخراً ٠٠٠ / ٠٠٠

ومنها النحيطة : وهي فعيلة من تحت الشيء أى جلسته وقررتة على ما أردته منه فالنحتية كالخليفة . هذا من نحت وهذا من خلقت .

ومنها الغريزة : وهي فعيلة من غرزت كما قيل لها طبيعة لأن طبع الدرم ونحوه ضرب من اسمه وتغريزه بالآلة التى تثبت عليه الصورة . وذلك استكراه له وغمز عليه كالطبع .

ومنها النقيبة : وهي فعيلة من نقتب الشيء ، وهو نحو من الغريزة .

ومنها الضريبة : وذلك أن الضبع لابد معه من الضرب لتثبت له الصورة المرادة .

ومنها النحيضة : وهي فعيلة من نخرت الشيء أى دققته - ومنه انحاز : الهاوون لأنه موضوع للدخن به والاعتماد على الحقوق . قال (٣) .
« ينحزن من جانبها وهي تنسلب » (٤) .

أى تضرب الابل حول هذه الناقة للحاق بها ، وهي تسبقهن وتنسلب أمامهن .

ومنها السجبية : وهي فعيلة من سجا يسجو إذا سكن ، ومنه طرف ساج ، وليل ساج ، قال :

(٣) ذو الزمة .

(٤) وصدرة : « والعيس من عاسج أو واسع خبيا » .

والعيس : الابل البيض يخالط بياضها شقرة ، والعاسج : المسرع - وكذلك اتواسج - والانسلاب : انضاء فى السير - والبيت من التصيدة التى مطلعها : -

ما بال عينك منها الماء ينسكب كانه من كلى مغرية سرب

انظر : اللسان مادة نحز - وانظر الحيوان / ٨

وقال الراعي :

ألا اسلمى اليوم ذات الطوق والماعج والذل والنظر المستانس الساجي (٦)

وذلك أن خلق الانسان أمر قد سكن اليه واستقر عليه ، ألا تراهم يقولون في مدح الرجل : فلان يرجع الى مروءة ، ويخلد الى كرم ، ويأوى الى سداد وثقة فيأوى اليه هو هذا ، لأن المأوى خلاف المعتمل ، لأنه انما يأوى الى المنزل ونحوه اذا اراد السكون .

ومنها الطريقة : من طرقت الشئ أى وطأته وذللته : وهذا هو معنى ضربته ونقبته وغرزته ، ونحته ، لأن هذه كلها رياضيات وتدريب واعتمادات وتبذيب .

ومنها السجيجة : وهى فعيلة من سجع خلقه ، وذلك أن الطبيعة قد قرت واطمأنت فسجحت (٦) . وتذللّت . وليس على الانسان من طبعه كلفة - وانما الكلفة نغما يتعاطاه ويتجشمه ، قال حسان :

فروا التخابؤ وامشوا مشية سجحا ان الرجال ذوو عصب وتذكير (٧)

وقال الأصمعي : اذا استوت أخلاق القوم قيل : هم على سرجوحة واحدة (٨) ومرن واحد .

ومنهم من يقول سرجيحة : وهى فعيلة من هذا فسر جوحة : فعلولة من

(٥) البيت فى الكامل ١ / ٢٤٤ (طبعة شاكر) وفى اللسان : مادة سجا - والملاء : جمع ملاءة .

شبه خيوط الطرق فى ضوء القمر بخيوط الملاءة .
(٦) الراعى : اسمه عبيد بن حصين ، عاصر جريرا والفرزدق - ونضل الفرزدق فهجاه جرير مات سنة ٩٠ هـ .

وفى الشعر والشعراء : ١٥٦ ان اسمه حصين بن معاوية .
(٦) الاسجاع : حسن العفو اذا ملكت فاسجح - ومشية سجع : سبلة .
(٧) التخابؤ فى المشى : التباطؤ ويريد بهما هنا التبختر والخيلاء - وفى الصحاح : (دعوا التخابؤ) مادة خجا وانظر الديوان : ١٢٣ .
(٨) وكذلك هى فى الصحاح (مادة سرج) :

لفظ السرح ، ومعناه - والتقاؤهما أن السرج انما أريد للراكب ليعمله ويزيل اعتلاله وميله - فهو من تقويم الأمر - وكذلك اذا استقبروا على وتيرة واحدة فقد تشابهت أحوالهم • وزاح خلافهم ، وهذا أيضا ضرب من التقرير والتقدير - فهو بالمعنى عائد الى النحيطة والخليفة لأن هذه كلها صفات تؤذن بالمشابهة والتقاربة •

والمرن مصدر كالحلف والكذب ، والفعل منه مرن على الشيء اذا ألفه فلان له ، وهو عندي من مارن الانف لالان منه فهو أيضا عائد الى أصل الباب ، ألا ترى أن الخليفة والنحيطة والطبيعة والسجية وجميع هذه المعاني التي تقدمت تؤذن بالالف والملاينة والاصحاب والمتابعة •

ومنها السليقة : وهي من قولهم فلان يقرأ بالسليقة أى بالطبيعة وتلخيص ذلك أنها كالنحيطة - وذلك أن السليق ما تحات من صفار الشجر - قال :
تسمع منها في السليق الأشهب معمة مثل الأباء الملهب (٩)

وذلك أنه اذا تحات لان وزالت شدته ، والحت كالنحت - وهما في غاية القرب - ومنه قول الله سبحانه « سلفوكم بالسنة حداد » (١٠) ، أى نالوا منكم وهذا هو نفس المعنى في الشيء المنحوت المحتوت • ألا تراهم يقولون : فلان كريم النجار والنجر ، أى الأصل ، والنجر ، والنحت ، والحت ، والضرب ، والحق والنحر ، والطبع ، والخلق ، والفرز ، والسلق كله التمرين على الشيء وتليين القوى ليضحب وينجذب •

فاعجب للطف صنع البارى سبحانه في أن طبع الناس على هذا ، وأمكنهم

(٩) الشبهة : البياض الذى غلب على السواد •

والأباء : جمع أباءة كعباءة وهى القصبة •

وانظر سر الصناعة ٧٨ / ٧٩ فيما فاؤة وعينه همزتان •

واللهب : لسان النار - ولهب الرجل : عطش فهو لهبان وهى لهبى -

والهب الفرس اضطرم جريه •

(١٠) سورة الا حزاب ٢٣ / ١٩ •

من ترتيبه وتنزيله وهدامم للتواضع عليه وتقريره (١١) .

ومن ذلك قولهم : للقطعة من المسك : الصوار بضم الصاد وكسرهما .
قال الأعتى :

إذا تقوم يضوع المسك صورة والعنبر الورد من أردانها شمل

فقيل له : صورا لأنه فعال من صاره يصوره إذا عطفه وثناه - قال الله سبحانه : « فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك » (١٣) وانما قيل له ذلك لأنه يجذب حاسة من يشمه إليه ، وليس من خبائث الأرواح فيعرض عنه ، وينحرف الى شق غيره (١٤) ألا ترى الى قوله :

ولو أن ركبا يمموك لقادهم نسيمك حتى يستدل بك الركب (١٥)

وكذا نجد أيضا معنى المسك . وذلك أنه فعل : ه نأصكت الشيء كأنه لطيب رائحته يمسك الحاسة عليه ولا يعدل بها صاحبها عنه (١٦) .

(١١) رأى ابن جنى فى نشأة اللغة : أتوقيف هى من الله أم تواضع واصلاح . . . ، . . . قد مر .

(١٢) التبيت من قصيدة الأعتى التى مطلعها :
ودع هريرة أن الركب مرتحل وهل تطيق وداعا أيها الرجل ؟
ورواية الديوان : والزنبق الورد . . . ، . . . والأردان : الأكمام -
والورد ما كان بلون الورد أى أحمر .

(١٣) سورة البقرة ٢٦ والآية فصرهن إليك - أى وجهن . وفى اللسان :
الصور : الميل - وصرت إلى الشيء وأصرته : أملتة - وفى حديث
عمر عن العلماء : « تنعطف عليهم بالملم قلوب لا تصورهما الأرحام »
أى لا تميلها .

(١٤) فى اللسان : الصوار : القليل من المسك : وقيل القطعة منه - والجمع
أصورة - فارسى (وهما نظر) .

(١٥) يمموك : أى وجهوك ، قادهم نسيمك : أى عطفهم وأمالهم - وفى
لأخصائص للمحقق أن المناسب أن تكون الرواية يستدل به
الركب .

(١٦) ذكر الجواليقى : المسك فارسى - وهو عند العرب المشموم -
(الزهر) (٢) / ١١٦ / وكتاب المغرب - للجواليقى وفى اللسان : مادة
مسك : قال الجوهرى : المسك من الطيب : فارسى معرب ، وكانت
العرب تسميه المشموم .

ومنه عندي قولهم للجلد (المسك) هو فعل بفتح الفاء وسكون الميم من .
هذا الوضع ، ألا ترى أنه يمسك ما تحته من جسم الانسان وغيره من الحيوان .
(١٧) • ولولا الجلد لم يتماسك ما في الجسم من اللحم والشحم والدم وبتيية
الامشاج وغيرها •

فقولهم اذا : مسك يلاقى مغناه معنى الصوار ، وان كانا من أصلين مختلفين ،
وبنايين متباينين أحدهما : مسك - والآخر صور كما ان الخليفة من خلق
والسجية من سجو والطبيعة من طبع والنحيّة من نحت والغريزة من غرز
والسليقة من سلق والضريبة من ضرب والسجحة من سجع والسرجوجة
من سرج والنجار من نجر ، والمرن من مرن فالاصول مختلفة والأمثلة
متعادية - • والمعاني من ذينك متلاقية •

(فإين هي المناسبة الطبيعية بين اللفظ والمعنى ؟)

ومن ذلك قولهم : صبي وصبية ، وطفل وطفلة ، وغلام وجارية ،
وكله للين والانجذاب ، وترك الشدة والاعتياص وذلك ان صبيا من صبوت
الى الشئ اذا ملت له ، ولم تستعصم دونه ، وكذلك الطفل هو من لفظ ،
طلعت الشمس للغروب : اى مالت اليه ، وانجذبت نحوه - ألا ترى الى
قول العجاج :

والشمس قد كاحت تكون دنفا (١٨) .

يصف ضعفها واكبابها ، وقد جاء به بعض المولدين فقال (١٩) .

وقد وضعت خدا الى الأرض أضرا

ومنه قيل : فلان طفيلي ، وذلك أنه يميل الى الطعام (٢٠) -

(١٧) جاء في كتاب حضارة مصر القديمة ، ان حلب الحيوان باللغة المصرية
القديمة : مسكا - وهو بالأكادية مشكو • والآرامية ماشكا •

(١٨) وبعده : ••••• ادفعها بالراح كي ترحقا • وانظر للسان مادة : دنف

(١٩) ابن الرومي : في وصف غروب الشمس : وتماه :

ولاحطت النوار وهي مريضة وقد وضعت خدا الى الارض أضرا •

(٢٠) قيل انه نسبة الى رجل اسمه طفيل بن زلال من أمل الكوفة كان •
يأتى الولاثم من غير دعوة •

وعلى هذا قالوا له : غلام لأنه من النعمة ، وهى اللين ، وضعة العصمة — وكذلك قالوا : جارية - فهى غائلة من جرى الماء وغيره ، ألا تذى أنهم يقولون : انها غصة بضة رطبة ، ولذلك قالوا : قد علاها ماء الشباب ؟ — قال عمر (٢١) :

وهى مكنونة تحير منها فى أديم الخدين ماء الشباب (٢٢)

وذلك أن الطفل والنسبى والغلام والجارية ليست لهن عصمة الشيوخ ، ولا جساءة (٢٣) الكهول ، وسألت بعض بنى عقيل • عن قول الحمصى (٢٤) :
لم تبلى جدة سمرهم سمر ولم تسم السوم لأدمهن أديما •

فقال : هن بمائهن كما خلقنه

فاذا اشتد الغلام شيئا قيل له : حزر وهو : فعول - من اللين. الحازر اذا اشتد للحموضة قال العجلي (٢٥) :

وارضو بأحلابه • وطب قد حزر (٢٦) •

وقال (٢٧) : نزع الحزور بالرشاء المصد (٢٨)

(٢١) يقصد : عمر بن أبى ربيعة •

(٢٢) تحير الماء : اجتمع - واستحار شباب المواة وتحير : امتلا وبلغ. الغاية - اللسان (مادة : حير) •

(٢٣) الجساءة : الصلابة •

(٢٤) ديك الجن : وهو عبد السلام بن رغبان - وقد لقي إلباثام وتوفى سنة ٢٢٥ - انظر وفيات الاعيان ٣٥٦/٢

(٢٥) هو : الاغلب بن عمرو العجلي من بكر بن وائل ، جاهلى ادرك الاسلام وحسن اسلامه واستشهد فى معركة نهاوند قال : الآمدى فى المؤتلف والمختلف : هو ارجز الرجاز وأرصنهم كلاما واصحيم معانى. ترجمته فى الخزنة ٣٣٣/١ •

(٢٦) هو فى اللسان : مادحزر •

(٢٧) النابغة ، من تصيدته المشهورة فى المتجردة :

من آل ميه رائج أو مفتد عجلان ذا زاد وغير مزود •

وكانهم زادوا الواو وشددوها لتشديد معنى القوة (٢٩) •

كما قالوا لىء الخلق : عذور • فضاعفوا الواو الزائدة لذلك :
قال (٣٠)

إذا نزل الاضياف كان عذورا على احدى حتى تستقل مراجله (٣١) •
ومنه : رجل كروس : للصلب الرأس ، وسفر عطود ، للشديد
قال :

إذا جشمن قنفا عطودا رمين بالطرف مداه الأبعدا (٣٢) •

ومثل الأول : قولهم : غلام رطل ، وجارية رطلة اللينيا - وهو من قولهم :
رطل شعره : إذا اطاله فاسترخى - ومنه عدى : اترطل الذى يوزن به -
وذلك ان الغرض فى الأوزان ان تميل أبدا الى أن يعادلها الموزون بنا :
ولهذا قيل لها مثاقيل فبى مفاعيل من الثقل • والشىء اذا ثقل استرسل وارجحن
فكان ضد الطائش الخفيف •

فهذا ونحوه من خصائص هذه اللغة الشريفة اللطيفة ، وأنما يسمع
الناس هذه الالفاظ فتكون الفائدة عندهم منها انما هى علم معنياتها •
فأما كيف ؟ ومن أين ؟ فهو ما نحن عليه • وأحج به أن يكون عن كثير
منهم نيفا لا يحتاج اليه ، وفضلا غيره أولى منه •

ومن ذلك أيضا قالوا : ناقة - كما قالوا : جمل • وقالوا ما بها دبيج -

(٢٩) الحزور من الأضداد : فمن معناه : الضعيف غير البالغ - جاء فى اللسان
قال أبو حاتم فى الأضداد : الحزور : الغلام اذا اشتد وقوى •
والحزور : الضعيف من الرجال وأنشد :

ان أحق الناس بالنية حزور ليست له ذرية

(٣٠) أنظر الأمالى ٢ / ٨٣ - من أبيات مختلطة لزينب الطثرية فى
رثاء أخيها يزيد - وللعجبر السلولى •

(٣١) والمعنى : انه كريم يتعب أحله بأضيافه ، فهو مع أهله لىء الخلق
حتى يرحل ضيوفه •

(٣٢) فى اللسان : فلاة قذف وقذف : أى بغيتكم تقاذف بمن يسلكها - وهو
فى وصف الابل •

كما قالوا : تناسل عليه الوشاء ، والتقاء معانيهما أن الناقة كانت عندهم
مما يتحسنون به ويتباهون بملكه فهي (فعله) من قولهم : تنوقت في
الشيء إذا أحكمته وتخيرته - قال ذو الرمة :

... تنوقت به بحضرميات الأكف الحوائك (٣٣)

وعلى هذا قالوا : جمل لأن هذا فعل من اتجمال كما أن تلك فعلة من
تنوقت وأجود اللفتين تأنقت - قال الله سبحانه : ولکم فیہا جمال حین
تريحون وحين تسرحون ، (٣٤) .

وقولهم ما فيها دبيع . هو فعيل : من لفظ الدباج ومعناه . وذلك
أن الناس بنم العمارة وحسن الآثار وعلى أيديهم يتم الانس وطيب انديار ،
ولذلك قيل لهم : ناس لأنه في الاصل اناس فحذفت الهمزة لكثرة الاستعمال
فهو فعال من الانس ، قال (٣٥) :

اناس لا يملون المنايا اذا دارت رحى الحرب الزبون (٣٦)

وقال :

اناس عدا علقت فيهم وليتني طلبت اتهوى في رأس ذى زلق اشم (٣٧)

وكما اشتقوا دبيجا من الدباج ، كذلك اشتقوا الوشاء من الوشى : فهو
(فعال) منه وذلك أن المال يشي الأرض ويحسنها . وعلى ذلك قالوا : الغنم
لأنه من الغنيمة ، كما قالوا لها : الخيل ، لأنها (فعل) من الاختيال .
وكل ذلك مستحب .

أفلا ترى المر تقالى هذه المعانى وتلاحظها ، وتقابلها وتناظرها ؟ وهى :

(٣٣) صدره : كان عليها سحق لفق تنوقت ... والسحق : البالى -
واللفق : أحد شتى اللاءة - وانظر ديوانى الرمة : ٤١٦ .
(٣٤) الأنعام : ٥ / ٦ .

(٣٥) البيت لأبى الغول الطهوى .

(٣٦) الزبن : الدفع - والحرب زبون لأنها تصدم الناس وتدفعهم .
(٣٧) هو له لدى قوم متباعدين غرباء وليته كان فى رأس جبل وعز كثير
المزاق - إذا لكان أيسر وأهون .

التنوق - والجمال ، والأنس ، والديباج ، والوشى ، والغنيمة ،
والاختيال .

ولذلك قالوا : البقر من بقرت بطنه أى شققته فعبو الى السعة والفسحة :
وضد الضيق والضيقة .

فان قلت : فان الشاة من قولهم : رجل أشوه ، وامرأة شوها ، للتقبيح ،
وهذا ضد الأول ففيه جوابان : أحدهما أن تكون الشاة جرت مجرى القلب لدفع
العين عنها لحسنها ، كما يقال فى استحسان الشيء قاتله الله . كقوله (٣٨) .
رمى الله فى عينى بثينة بالقذى وفى الشنب من أنيابها بالقوادح (٣٩)

وهو كثير .

والآخر : ان تكون من باب السلب ، كانه سلب القبح منها كما قيل للحرم
ناله (٤٠) ولخشبة الصرار (٤١) تودية (٤٢) ولجو السماء السكاك (٤٣)
ومنه تحوب وتائم أى ترك الحوب والاثم .

(٣٨) جميل بثينة .

(٣٩) الشنب : رقة وعذوية وبرد فى الفم وفى الاسنان - قال ذو النمة :
لباء فى شفتيها حوة لعس وفى اللثا وفى أنيابها شنب .
والقوادح : جمع قادح وهو سواد يظهر فى الاسنان .
وانظر ديوان جميل تحقيق د . حسين نصار ص : ٥٣ - وروايته :
وفى الغر من أنيابها .

(٤٠) ناله : النال : مصدر نلت أنال ، مثل : النال والمنالة . والنالة :
ما حول الحرم ، وهى عند ابن سيدة من النول - وعند ابن جنى من النيل -
وانظر اللسان : مادة نول .

(٤١) خشبة الصرار : خيط تشد به القوادى على أطراف الناقة - وتذيل
الأطباء بالبعير الرطب لئلا يؤثر الصرار فيها .

وصررت الناقة : شددت عليها الصرار - وفى الحديث : لا يحل لرجل يؤمن
بالله واليوم الآخر أن يحل صرار ناقة بغير إذن صاحبها فانه خاتم أهلها .
كناية عن حلبها - (انظر اللسان : مادة صرر) .

(٤٢) والتودية : خشبة تشد على أطباء الناقة لئلا يسيل حليبها ،
ولتردى : السيلان - ودى : سال - فالتودية : تسمية على السلب لأنها
تحول بين الفصيل واللبن .

(٤٣) السكاك : الضيق ، ، واستكت مسامعه ضاقت .

وهو باب واسع وقد كتبنا منه في هذا الكتاب ما ستراه باذن الله

تعالى

وأهل اللغة يسمعون هذا فيرونها ساذجا غفلا ، ولا يحسنون لما نحن فيه
من حديثه فرعا ولا أصلا (٤٤) .

ومن ذلك قولهم : الفضة سميت بذلك لانفضاض أجزائها ، وتفرقها في
تراب معدنها ، كذا أصليا وإن كانت فيما بعد قد تصفى وتهذب وتسبك . وقيل
لها فضة كما قيل لها لجين : وذلك لأنها ما دامت في تراب معدنها فهي ملتزقة
في التراب ملتجة (٤٥) به .

قال الشماخ :

وماء قد وردت أميم طام عليه الطير كالورق اللجين (٤٦)

أى المتلرز المتلجن ، وينبغى أن يكونوا إنما ألزموا هذا الاسم التحقير
لاستصغار معناه مادام في تراب معدنه . ويشهد عندك بهذا المعنى قولهم في
مراسلة : الذئب : وذلك لأنه مادام غير مصفى فهو كالذاهب - لأن مافيه من
التراب كالمستهلك له - أو لأنه لما قل في الدنيا فلم يوجد الا عزيزا صار كأنه
مفقود ذاهب ، ألا ترى أن الشيء إذا قل قارب الانتقاء . وعلى ذلك قال العرب :
قل رجل يقول ذلك الا زيد ، بالرفع لأنهم أجروه مجرى : ما يقول ذلك أحد
الا زيد ، وعلى نحو من هذا قالوا : قلما يقوم زيد - فكفوا (قل) بـ
(ما) عن اقتضائها الفاعل ، وجاز عندهم إخلاء الفعل من الفاعل لما دخله من
مشابهة حرف النفي كما بقوا المبتدأ بلا خبر في نحو هذا من قولهم : أقل امرأتين
تقولان ذلك لما ضارع المبتدأ حرف النفي - أفلا ترى الى أنسهم باستعمال القلة
مشاركة للانتقاء . فكذلك لما قل هذا الجوهر في الدنيا أخذوا له اسما من الذاهب
الذى هو الهلاك .

(٤٤) سبق علاج هذا الباب . وينبغى ابن جنى هنا الى شيء هام غفل
عنه اللغويون .

(٤٥) أى ملتجة .

(٤٦) الشماخ : معتل بن ضرار ، شاعر صحابي ، والبيت من أبيات قالها
في مدح عرابية ابن أوس كما في الخزائن ح / ٢٢٢ والرواية فيها : وماء قد
وردت لوصول أروى - والتصيدة في الديوان : ٩٠ (طبع في مصر سنة
١٣٢٧ هـ شرح الشنقيطي .

ولأجل هذا أيضا سموه تبراً لأنه (فعل) من التبرار - ولا يقال له
(تبر) حتى يكون في تراب معنه أو مكسورا .

ولهذا قالوا للجام من الفضة (الغرب) وهو (فعل) من الشيء الغريب .
وذلك أنه ليس في العادة والعرف استعمال الآنية من الفضة ، فلما استعمل
ذلك في بعض الاحوال كان عزيزاً غريباً - هذا قول أبي اسحق (٤٧) .

وان شئت جذبتة الى ما كنا عليه فقلت : ان هذا الجوهر غريب من بين
الجواهر لنفسه وشرفه ، ألا تراهم اذا اثنوا على انسان قالوا : هو وحيد
وقته ، وغريب فزمانه ، ومنقطع النظر ، ونسيج وحده ومنه قول الطائي
الكبير :

غريبة الملا على كثرة النا س فاضى في الأقربين جنيبا (٤٨)
فليطل عمره فلو مات في مر و مقيما بها مات غريباً
وقول شاعرنا (٤٩) :

أبدو قيسجد من بالسوء يذكرنى ولا أعاتبه صفحا واهوانا
وهكذا كنت في أهلى وفي وطنى ان النفيس عزيز حيثما كانا
ويذلك على أنهم قد تصوروا هذا الموضع من امتزاجه (٥٠) بترابمعنه
أنهم اذا صفوه وهذبوه أخذوا له اسما من ذلك المعنى فقالوا له : الخلاص ،
والابريز ، والعتيان فعلان من عقى الصبى يعقى وهو اول ما ينجيه عند
سقوطه من يطن أمه قبل أن يأكل ، وهو العقى . فقليل له ذلك لبروزه ، كما
قيل له البراز .

(٤٧) أبو اسحق الزجاج .

(٤٨) الجنيب : الغريب - والبيتان في مديح أبي سعيد محمد بن يوسف
النفرى - انظر الحيوان ١ / ٢٦٢ .

(٤٩) يقصد المتنبى وقد كانت بينهما مودة وتقدير - والبيان في شرح
العكبرى ٤٦٩ .

(٥٠) أى امتزاج التبر .

فالتأني والتلطف في جمع هذه الأشياء وضمتها ، وعلامة ذات بينها هو
خاص اللغة وسرها ، وطلاوتها الرائية وجوهرها : قاما حفظها ساذجة ،
وقمشها (٥١) محطوبة مرجة (٥٢) فنعود بالله منه ، ونرغب بما آتاه
سيحانه عنه .

وقال أبو علي رحمه الله - قيل له حبي ، كما قيل له سحب تفسيره ان
حبيا (فميل) من حبا يحبو وكان السحاب لثقله يحبو حبوا - كما قيل له
سحب وهو (فعال) من سحب لأنه يسحب أعدابة وقد جاء بكليهما شعر
العرب قالت امرأة :
وأقبل يزحف زحف الكسير سياق الرعاء البطاء العشارا (٥٣)
وقال أوس :

دان مسف فسويق الارض هيدبه يكاد يدفعه من قام بالراح (٥٤)
وقالت صبية منهم لأبيها فتجاوزت ذلك :

أناخ بذى نفر بركه كان على عضديه كتافا (٥٥)

(٥١) التقييش : الجمع على غير هدى وبدون انتقاء .

(٥٢) الهرج ، والهرج بفتح الهاء وكسرهما : « هرج البعير : سدر من
شدة الحر وكثرة الظلاء بالقطران فكانه يريد أن تكون ضعيفة . وفي اللغة
العربية . الهرج بكسر الهاء : الضعيف »

(٤٣) مادة (حبا) في اللسان : الرواية : زحف الكبير . . . / . . .
والعشار من الأجل التي أتى عليها عشرة أشهر وبه فسر قوله تعالى : « وإذا
العشار عطلت » والفرد : ناقة عشاء . يقال : عشت الناقة عشيرا أو عشت -
(انظر اللسان مادة عشر) .

(٥٤) أوس بن حجر - والقصيدة في ديواني أوس وعبيد بن الأبرص
ديوان عبيد : ٣٣ تحقيق د- حسين نصار - وفي اللسان مادة حبا منسوب
إلى أوس .

(٥٥) ذو نفر : اسم موضع وبه وردت رواية اللسان (مادة حبا) -
وبرك الأجل : صدره - والكتاف : ما يشد به - وكتفه : شد يديه من خلفه
بالكتاف .

• وقال أبوهم (٥٦) :

والقى بصحراء الغبيط بماءه . تنزل العناب كذي العناب المخمل (٥٧)

قال ومن ذلك قولهم في أسماء الحاجة :

الحاجة ، والحواء ، والتوجاء ، والارب ، والاربة ، والماربة ،
واللبانة . - والثلاوة - بقية الحاجة - والتلية أيضا - والشهداء .

قال الشاعر :

لم أقض حين ارتحلوا شهلأى من الكعاب الطفلة الغيداء (٥٨)

وأنت تجد مع ذلك من اختلاف أصولها ومبانيها جميعا راجعا الى موضع واحد ، ومخطوما بمعنى لا يختلف وهو الإقامة على الشيء والتشبيث به - وذلك أن صاحب الحاجة كتب بها ملازم للفكر فيها مقيم على تنجزها واستجائها قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « حبك الشيء بمعنى ويصم (٦١) » - وقال المولد :

صاحب الحاجة أهمي لا يرى إلا قضاها

وتفسير ذلك أن الحاج : شجر له شوك ، وما كانت هذه سبيله فهو متشبت بالاشياء ، فأى شيء مر عليه اعتاقه وتشبت به - فسميت الحاجة

(٥٦) أبوهم : يعنى امرؤ القيس وهو من خير وصافي الشعاب .

(٥٧) البيت من معلقة امرؤ القيس . - صحراء الغبيط : موضع .

البعاع السحاب المقل بالماء - العناب : جمع عيبة : وهي وعاء من آدم يكون فيه المتاع - ويريد باليماني الحمل : الجمل - ومن روى الحمل : أراد التاجر اليماني ينزل ويقيم حتى يبيع بضاعته - وفي الديوان : المخول : أى الكثير المتاع والخول - (انظر الديوان ٢٥ تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم - دار المعارف) .

(٥٨) اللسان : مادة (شهل) - روايته : من العروب الكعاب الحسناء .

(٥٩) أى تجد جميعها راجعا .

(٦٠) خطمت البعير : جعلت فيه الخطام وهو حبل ربط به ليقاد - والخطم من الطائر منقاره ، ومن الدابة : مقدم الانف والفم .

(٦١) فى الجامع الصغير (حرب الحاء) وفى شرح الجامع أن أسناده

ضعيف .

تغضبها بالشجر ذات الشوك ، ، أو لنا ، مقيم عليها ، متمسك بقضائها كهذه
الشجرة في اجتذابها ما مر بها ، وقرب منها ، والحجاء منها ، وعينها تصرف
الفعل : احتاج يحتاج احتياجا ، وأحوج يحوج - وحاج يحوج فهو حاجج .

واللوحاء من قولهم : لحت الشيء ألوجه لوجا : إذا أدركته في فيك .
والتقاؤهما أن الحاجة مترددة على الفكر ، ذاهبة جائية الى أن تقضى ،
كما أن الشيء ، إذا تردد في الفم فإنه لا يزال كذلك الى أن يسيغه الإنسان أو
يلفظه .

والأرب ، والأربة والماربة ، كله من الأربة وهي العقدة ، وعقد مؤرب ،
إذا اشتد ، وانشد أبو العباس (٦٢) لكناز بن نفيح (٦٣) يقول للجربين :
غضبت علينا أن هلاك بن غالب قبلا على جحيك إذ ذاك تغضب
مما حين يسعي المرء مسعاة جده أنا خا فشدك العقال المؤرب (٦٤)

والحاجة معقودة بنفس الإنسان مترددة على فكره .
واللبانة من قولهم : تلبن بالمكان إذا أقام به ولزمه - وهذا هو المعنى
صحيح .
والتلاوة والتنية من تلوث الشيء إذا تفوته واتبعته لتدركه . ومنه قوله :
الله بيني وبين قليمها ، ثم يفر منى بها واتبع (٦٥)

والأشكلة كذلك ، كأنها من الشكال (٦٦) أي طالب الحاجة مقيم عليها ،
كأنها شكال له ، وممانعة من تصرفه ولتصرفه عنها ، ومنه في الأشكال من

(٦٢) اللسان : مادة أرب : يعنى : تغلبا .

(٦٣) من شعراء تميم .

(٦٤) ابن غالب : الفرزق : يريد أنه الفرزون سعى كجعية على حين تعد
بك جدك ، وذلك هو العقال المؤرب حقا - ورفع العقال على أنه خبر لمبتدأ
محذوف - ويزى المبردة أنها جعل استعمال من ضمير شدك - انظر الخصائص
ج ٢ ص ١٢٨ حاشية ٦

(٦٥) البيت للأحوص . والضمير في تميمها يعود على لبنى المذكورة سابقا
- انظر الشعر والشعراء ٢٠٤ / ٤ / ٤٤٧ .

(٦٦) الشكال : حبل تربط به الدابة من يدها ورجلها لئلا تتبادر مكانها .

الألف واللام الذي خالطت شهرته بغيره فكان كل واحد من اللذين اعتناق صاحبه
أن يصح ويصفوا له . .

والشبهاء كذلك لأنها من المشاهدة وهي مراجعة القول قال (٦٧) .

قد كان فيما بيننا مشاهدة ثم تولت وهي تمشي البادلة

البادلة : أن تحرك في مشيتها بآدله ، وهي لحم صدرها - وهي مشية
القصار من النساء .

فقد ترى إلى ترامي هذه الأصول والميل بمعانيها إلى موضع واحد .

ومن ذلك ما جاء عنهم في الرجل الحافظ للمال : الحسن الرعية له ، والقيام
عليه ، يقال : هو خال مال - وخائل مال ، وصدى مال ، وسرسور مال ، وشؤبان
مال ، ومحدث مال ، وازاء مال ، وبلو مال ، وحبل مال ، وعسل مال ، وزر مال
وجميع ذلك راجع إلى الحفظ لها (٦٩) ، والمعرفة بها .

فخال مال (٧٠) يحتمل أمرين : أحدهما أن يكون صفة على (فعل) كبطل
وحسن ، أو (فعل) ككبش صائب : ورجل مال ، ويجوز أن يكون محقوفا
من فاعل ، كقوله (٧١) .

• لاث به الأشياء والمعبرى (٧٢)

فاما خائل مال ففعال لا محالة ، وكلاهما من قوله : كان رسول الله (صلى

(٦٧) أبو الاسود العجلي اللسان : مادة : شهل وبازل - وفي اللسان أن
الصواب : البازلة .

(٦٩) المال يؤنث ويذكر - (المال : ثروة) .

(٧٠) الخائل : الحافظ للشيء ، الرجل يخلو على عياله ، وخال المال
يخلوه : إذا ساسه وأحسن القيام عليه - والخولى : القائم بأمر الناس ،
الخلول : الرعاة - والخولى : الراعى الحسن القيام على المال والغنم .

(٧١) العجاج - من أرجوزة له .

(٧٢) في وصف أريك . لاث أصله لاثت من لاث يلوث ووزنه فالع
والأشياء : صفار الذخل - والمعبرى : ما ينبت من شجر الصال على الشطوط ،
أي أنه كثير النبات والماء .

الله عليه وسلم) يتخولنا بالموعظة ، أى يتعهدنا بها شيئا فشيئا ويراعينا (٧٣)
قال أبو علي : هو من قولهم تساقطوا أخول أخول : أى شيئا فشيئا بعد شئ -
وانشدنا : (٧٤) •

يساقط عنه روقه ضارياتها سقاط حديد القين أخول أخولا

فكان هذا الرجل رعى ماله وتعهد حفظه له وشحا عليه •

وأما صدى مال فانه يعارضها من هاهنا وهاهنا ولا يضيع
أمرها ، ومنه الصدى لما يعارض الصوت ، ومنه قراءة الحسن رضى الله عنه :
« صاد القرآن » وكان يفسره : عارض القرآن بعملك أى قابل كل واحد منهما
بصاحبه - قال العجلي (٧٦) « يأتى ليا من أيمن وأشم » (٧٧) •

وكذلك سر سور مال : أى عارف بأسرار المال ، فلا يخفى عنه شئ من
أمره ، ولست أقول كما يقول الكوفيون ، وأبو بكر معهم (٧٨) •

إن سرسورا من لفظ السر ، لكنه قريب من لفظه ومعناه - بمنزلة عين ثرة
وثرارة وقد تقدم نكر ذلك (٧٩) •

وكذلك سوبان مال ، هو (فعلان) من الساب ، وهو الزق للشراب •

قال الشاعر :

إذا فقت فاهما قلت علق ممسأ أريد به قيل فغودر في ساب (٨٠)

(٧٣) اللسان : التخول : التعمد - والحديث نفسه •

(٧٤) ضابى بن الحارث البرجمى (اللسان - مادة خول) •

(٧٥) وهو في وصف الثور - ومدافعه للكلاب - والروق : القرن •

(٧٦) أبو النجم العجلي - ومن أرجوزة له •

(٧٧) والبيت في وصف الراعى •

(٧٨) أبو بكر : يقصد محمد بن السرى السراج •

(٧٩) الخصائص ح ٢ ص ٤٤ - تداخل الأصول الثلاثية والرابعة
والخامسية - وفيه أن أبا بكر قال في نحو ثرة وثرارة : أن الأصل فيها ثرة
فأبدل من الراء الثانية ثاء فقالوا ثرارة - وكذلك طرد هذا الطرد • وهذا وأن
كان عندنا غلط لا ببدال الحرف ، مما ليس من مخرجه ولا مقاربا في المخرج له ،
فانه شق آخر من القول ح ٢ ص ٥٥ •

والتقاؤهما أن الزق أنما وضع كحفظاً فيه . فكذلك هذا الراعي يحفظ المال
ويحتاط عليه احتياط الزق على ما فيه .

وكذلك يحجن مال : هو (مفعول) من احتجنت الشيء إذا حنطته وأخترته .
وكذلك ازاء مال : هو (فعال) من أزى الشيء يأزى إذا تقبض واجتمع .

قال (٨١)

• ظل لها يوم من الشعرى أزي ، (٨٢) •

أي يغمر الانفاس ويضيئها لشدة الحر - وكذلك هذا الراعي يشح عليها
ويمنع من تسربها وأنشد أبو علي عن أبي بكر لغماره :
هذا الزمان مول خير أزي صارت رؤوس به أذنان أعجاز

وكذلك بلومال ، أي هو بمعرفته به قد بلاه واختبره - قال الله سبحانه :
ولنبلوكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ، (٨٣) •

قال عمر بن لجا (٨٤) •

فصادفت أعصل من أبلانها يعجبه النزع على ظمائها (٨٥) •

وكذلك حبل مال ، كأنه يضبطها ، كما يضبطها الحبل يشد به ، ومنه

(٨٠) انظر اللسان : مادة ساب ، وفي المحيط : النفيس من كل شيء والعتيق
من الخمر علق - والعلق الخمر لنفاستها - والمدمص : المخيو •

(٨١) قائل الرجز من باهلة - وتتمته : نعوذ منه بزر انيق الركي •

(٨٢) يوم أزي : يغمر الأنفاس من شدة حره ، والشعرى : كوكب يطلع
في شدة الحر والزرائيق : جمع زرنوق وهو دعامة البئر ويجعل على كل
زرنوقين خشبة تعلق فيها البكرة - وللركي : جمع ركية : وهي البئر - انظر
مادة أزي ومجالس تعلب ح ٢ ص ٦١٤ •

(٨٣) سورة محمد ٤٧ / ٣١ •

(٨٤) ويقال عمر بن لجا بالحاء الملهة وهو بالمعجمة أشهر قال فيه جرير :

أنت ابن بركة منسوب الى لجا عند العصاراة والعيدان تعصر

وبرزة : أمة - ولحاء الشجر لا عصارة له انظر الخزانة ١ / ٣٦٠ ،
وتاج العروش : ١ / ١١٥ •

(٨٥) الأعصل : اليابس البدن ، وهو قوة له ، والنزع : نزع الدلو من
البئر •

الجدي : الداهية من الرجال ، لأنه يضبط الأمور ويحيط بها : (٨٦)

وكذلك غسل مال : لأنه يأتيها ويغسل اليها من كل مكان ، ومنه الذئب الغسول ، لا يترى أنه إنما يسمى ذئبا لتذاؤبه (٨٧) وخبثه ومجنيته ، تارة من هنا ومرة من هناك .

وكذلك زرمال أي يجمعه ويضبطه كما يضبط الزر الشيء الزرور .
فهذه الأصول وهذه الصيغ على اختلاف الجميع مرتمية الى وضع واحد على ما ترى .

ومن ذلك قولهم للدم : الجدية (٨٨) والبصيرة : فالدم من الدمية لفظا ومعنى وذلك أن الدمية إنما هي للعين والبصر - وإذا شوهدت فكان ما عى صورته مشاهد بها وغير غائب مع حضورها . فهي تصف حال ما بعد عنك - وهذا هو الغرض في هذه الصورة المرسومة للمشاهدة .

وتلك عندهم حال الدم ، ألا ترى أن الرمية إذا غابت عن الرامي استدل عليها بدمها فأتبعه حتى يؤديه إليها . ويؤكد ذلك لك قولهم فيه : (- البصيرة) وذلك أنها إذا أبصرت أدت الى الرمي الجريح - وكذلك أيضا قالوا : (الجدية) لأنه يجدى على الطالب الرمية ما ينبغي منها ، ولو لم ير الدم لم يستدل عليها

(٨٦) غسل الذئب غسلا وغسلا : أعنق وأسرع والغسل في السير الخب .

(٨٧) ذؤب الرجل سؤذئب : خبث - ومما يروي عن سيبويه أنه كان ذات يوم في حلقة ، فهبت ريح أطارت الورق ، فقال لبعض جلسائه أنظر أي ريح هي ؟ وكان على منارة المسجد تمثال فرس من صقر - فخرج الرجل فنظر التمثال ثم قال : ما يثبت الفرس على شيء . فقال سيبويه : العرب تقول في مثل هذا : تذاؤبت الريح : أي فعلت فعل الذئب ليختل : فيتهم الناظر أنه عدة ذئاب ، (طبقات اللغويين والنحويين للزبيدي ص ٦٨) .

(٨٨) في اللسان (مادة جدا) الجدية من الدم مالمصق بالجند ، والبصيرة : ما كان على الأرض . وقال اللحياني : الجدية : الدم السائل - وأما البصيرة فما لم يسل - وأجدى الجريح : سالت منه جدية . .

ولا عرف موضعها قال: (فصل في الله عليه وسلم) (كل ما أصبكت ودع ما
أنميت) (٨٩) .

وهذا مذهب في هذه اللغة طريف ، غريب الخفيف ، وهو فقها ، وجامع معانيها ،
وضام نشرها - وقد هممت غير دفعة أن أنشيء في ذلك كتابا أنقص فيه أكثرها
والوقت يضيق دونه ، ولعله لم يخرج لما أقضه ألف ورقة إلا على اختصار وإيماء
(ليست تلك دعوة إلى دراسة هذا الباب وتتبّع البحث في هذا المجال) .

وكان أبو علي رحمه الله يستحسن هذا الموضوع جدا ، وينبه عليه ، ويسر
بما يحضره خاطره منه .

وهذا باب إنما يجمع بين بعضه وبعض من طريق المعاني مجردة من
الألفاظ ، وليس كالاشتقاق الذي هو من لفظ واحد ، فكان بعضه منبهة على بعض
وهذا إنما يعتنق فيه للفكر المعاني غير منبهته عليهما الألفاظ - فهو أشرف
الصنعتين ، وأعلى المأخذين فتفطن له ، وتأن لجمعه ، فانه يؤنقك ويضئ عليك ،
ويبسط ما تجعد من خاطرك ، ويريك من حكم الباري - عز اسمه - ما تدف
تحت - وتسلم لعظم الصنعة فيه وما أودعته أحضانه ونواحيه .

بدأ ابن جنى حديثه بتحليل نماذج من ظاهرة الترادف وما يتصل بها ، ومن
خلالها تعرض تعرضا سريعا لظاهرة المشترك اللفظي كما أنه عرج في سرعة وخفة
على ظاهرة التضاد ، وكان في كل لفظة من لفئاته يعطى بعدا جديدا نحن اليوم في
حاجة إلى متابعتها لا سيما بعد أن تباعد العهد بيننا وبين الناطقين الأولين
للعربية وبعد أن تغيرت البيئة الاجتماعية وحضاريا تغيرا بعيدا وتغيرت معها
المدلولات وأخذت الدلالات أبعادها المتطورة نحو التغير واستقرت بعض النماذج
وارتبطت بمفاهيم جديدة مستقلة عما انبثقت عنه .

وإذا كان ابن جنى يرى أن هذا هو فقه اللغة .. ، وأنه هم غير دفعة أن

(٨٩) أصميت : ما أصبته فمات بين يديك . - وأنميت : ما أضبته وغاب
عنك ثم مات .

(٩٠) النشر : المنتشر : المتفرق .

يفشى فيه كتابا يقتضاه فيه غير أن وقته كان يضيق حوتج ، وأنه يرى أن هذا الكتاب لو كان قد خرج لمعه ما كان قد أتممه أو كفاء الف ورقة للأعلى اختصار وإيماء ٠٠٠ / ٠٠٠ وإذا كان ابن جنى يذكر أن أبا على الفارسي كان يستحسن هذا الموضوع جدا ، وينبذ عليه ويسر بما يحضره خاطره منه فكيف لا نقف نحن أمام هذا البحث على أهميته تلك وكيف لا تستوعبه وتفهم أبعاده ٠٠ لاسيما وأن ابن جنى يرى أن هذا الباب وباب الاشتقاق (٩١) متكاملان غير أن هذا الباب عنده أهم من صاحبه أو هو على حد قوله : أشرف الصنعتين ، وأعلى المأخذين - وفوق هذا وذلك فإن ابن جنى يحضنا على أن « نتفطن له » . فالأفكار تعتنق فيه المعاني غير منبته عليها الألفاظ .

ومن عجب أن هذا الباب لم يتفطن له أحد من الباحثين على الرغم من أهميته غير أن الدكتور مازن المبارك جعله في كتابه ضمن النصوص اللغوية التي اختارها من كتابي الخصائص والمزهر ولكنه أخذ يغض من عمل ابن جنى في هذا الباب في مواضع متعددة من تعليقاته في حواشيه فهو مثلا يقول :

« ولسنا ندري هل ركب ابن جنى متن الشط لاثبات رأيه ولو أدى به ذلك إلى جعل الفارسي عربيا » .

وذلك راجع بالطبع إلى أن منهج ابن جنى في هذا الباب لم يكن يتفق مع منهج الدراسات اللغوية الحديثة التي كانت سائدة آنذاك (٩٢) وقد جعل بعض المحدثين من علمائنا أقوال الغربيين مبادئ منزلة (٩٣) .

وهذا ما دفع الدكتور إبراهيم أنيس إلى أن يغفل النظر فيه أو التعليق

(٩١) المتصود الاشتقاق بنوعيه الاشتقاق الأصغر والاشتقاق الأكبر .

(٩٢) كتابه : النصوص اللغوية دار الفكر . حاشية (٤) ص ٣٣ .

وانظر كذلك ص ٣٤ حاشية (٢) وحاشية (٣) - وص ٣٥ حاشية (٣) وص

٣٧ حاشية (١) وص ٣٨ حاشية (٣) ٠٠٠ / ٠٠٠

(٩٣) تغيرت مناهج الدراسات اللغوية ولم يعد المنهج الوصفي هو كل

المناهج ، فأخذت المدارس اللغوية الغربية اليوم يعارض بعضها بعضا وتعددت مناهجها .

عليه من العلم بأن فيه كل الانحيازات التي يطلبها وتعرض لها في توضيح ذلك
إن الدكتور ابن أحميم لنيس يقول منذ .

« ولا يترتب على هذا أن يتصور نوعاً من الارتباط بين حروف الفعل (أدرك)
وحروف الفعل فيهم لأن لكل منهما نفس الدلالة ، وهو ما لا يقبله اللغوي الحديث
كما يترتب على هذا أن ننكر من اللغة تلك المسات من الكلمات التي اشتربت
لفظاً واختلفت معانيها اختلافاً بينا (٩٥) .

وفي الباب الذي بين أيدينا يرد ابن جني على مثل ما أثاره الدكتور أنيس
من اعتراضات في هذا الصدد .

ويهمنا أن نلفت فيما قاله ابن جني إلى عدة نقاط منها :

— • أن ابن جني يتحدث عن صيغ وأوزان صرفية عامة .

— وهذا بالإضافة إلى أن حديثه جاء عن بنيات شكلية ومعناه أن هذه
البنيات تستغرق كل ما يصلح أن يتضمنه النموذج الذي يتحدث عنه وما يتصل
به من دلالات . . . تصرفنا النظر عن الزمر الصوتية الذي يتخرج تحت
تلك البنية الشكلية غير أنها هنا تجمع ما هو خاص بصفة واحدة .

شعيلة

طبيمة

ضريبة

غريزة

نقبة

سليقة

— • أضف إلى ما سبق أن علماء اللغة المحدثين يرون أن من أهم جوانب

(٩٥) اقرأ هذا الرأي في كتابه من أسرار اللغة ص ٤٦ .

اللغة جانب التبليغ وينظرون في عملية التبليغ (Destination) إلى ضرورة وجود اتفاق بين التبليغ واللغة .

وإن الإنسان بفضل تكوينه الفيزيولوجي ، وتجاربه الماضية ، ومذكراته الحسية والعقلية يجعل عملية التبليغ دائما على مرحلتين هما :

١ - وضع الصياغة (Codage)

٢ - كشف الصياغة (Dé codage)

وإن لكل لغة من اللغات نظام (Système) من الرموز المتعارف عليها ، ولذا لا بد من صحة الرموز أي اعتبار جانب المسابقة أو المطابقة أو المقاربة ... (أي وجوب الصدق في الخير ... بمعنى المطابقة والربط بين الحسى والمعنوى ويقوم ابن جنى بتوضيح مثل هذا في عذا الباب) .

مع ملاحظة أن المتكلم والمخاطب يتبادلان الأدوار ما بين استماع وتكلم أو إرسال واستقبال (٩٧) .

أنه إذا وجد في بيئة ما بين جماعة من المتكلمين (شيء) ما - وتطلب هذا الشيء رمزا لغويا - والخلق (متكلم) رمزا على هذا الشيء - وتلقته جماعة المتكلمين بالقبول فإن الرمز يعود إلى مرسله بالقول ، كما أنه يعود إلى مصدره (إلى الشيء) بالقبول أيضا أي تتم عملية الصياغة . وكشف الصياغة طبقا لنظام الرموز المتعارف عليها : وذلك على النحو الآتي :



(٩٧) وكل متكلم قادر على القيام بالعمليتين الإرسال والتلقى في الوقت نفسه ، فإنا أنكلم واستمع كلامي وألاحظ أثره الذي يمكن أن يحدثه في السامعين - أي ما يمكن أن يسمى بالأثر الرجعي أو رد الفعل (Rétro action).

والخلاصة أن العدة تقوم على خمسة أمور :

١ - مصدر Source ٢ - منتهى Destination ٣ - جهاز إرسال Transmitter

٤ - ممر Canal ٥ - جهاز التقاط Récepteur

مع لاحظة أن الإدراك يحصل عن طريق الحواس ، وأن الشيء الذي نذكره تد ينقطع عند انقطاعنا عن ادراكه .^{١٠٠} وبفهم من عمل ابن جني الربط بين هذه الامور الخمسة في تسلسل بارع مبعثة معاشته اللغة وأبنائها وفهمة الجيد لأعمائها وأغوارها وهذا من المباحث الهامة التي تشغل بال المتخصصين فقد ربط الفيلسوف الانجليزي جون لوك John Locke مشكلة المعرفة بقضايا اللغة حيث يقول : أننا اذا أردنا أن نفهم طبيعة التفكير والمعرفة فلا بد قبل ذلك من أن نفهم طبيعة اللغة التي بها نفكر ونوصل أفكارنا إلى الغير . والكلمات اشارات اصطلاح عليها ولكنها لاتنوب عن الأشياء بصورة مباشرة ولكنها تنوب عن الانكار القائمة مقام الأشياء - فالكلمة تنوب عن الفكرة ، والفكرة تنوب عن الشيء (٩٩) وقد أوضح ابن جني هذا البعد اللغوي الخاص بالعربية مع تفقه تأم وعرضه من خلال فهمه في اطار ، وضع من خلاله منهج التفكير والتطبيق معا رابطا بنية اللغة ببنية الفكر وبنية الوجود معا من خلال تعامل العربي مع المدركات الحسية التي يعايشها واذا كانت بنية Structure اللغة قائمة على بنية الوجود من جهة وعلى بنية الفكر من جهة أخرى فمعناه أن بنية اللغة قائمة على بنية الوجود وعلى بنية الفكر البشرى معا / . . . وهذا يمثل المثلث المعروف لدى الدارسين في هذا المجال . . . ولكن على ألا نفهم أن مجموع ما في اللغة من كلمات لا يحصى مجموع ما في الكون من موجودات لأن هذا لا يمكن أن يكون .

كما أن ما نحسه بين الكلمات والمدلولات إنما هو أمر اعتمد على التجربة اليومية فعلية التعرف على الدال والمدلول في كل لحظة من لحظات الاستعمال اللغوي تقرب بينهما عى حين أنه ليس هناك مطابقة بين الاسم والمسمى أو بين

(٩٨) ١٩٣٣ / ١٧٠٤ في الجزء الثالث من كتابية المقالة

(٩٩) انظر : محاضرات في علم النفس اللغوي د. حنفي بن عيسى -
واقرا : الفصل الثاني اللغة ومشكلة المعرفة . . من ص ٣١ وما بعدها .

الدال والمحلول ومعنى ذلك أن كل ما قبل بعيد عن الرمزية الصوتية وإن كانت هناك محاولة ليجاد المطابقة بين الدال والمحلول من وجهة نظر الخاطفين باللغة - فإن بنية اللغة لا تطابق بنية الوجود ، كما أن بنية اللغة لا تطابق الخبرة الذاتية أو التجربة وهذا أمر واضح أمام المتخصصين فكثيرا ما تكون الكلمات بعيدة عن المحسوس أو عاجزة عن التعبير عنه - أو عما في الذهن . . . والأمثلة على ذلك كثيرة في اللغة ومما ذكره ابن جنى ومعناه أن الرمزية الصوتية شيء مرفوض لعدم إمكانه .

• وإن دراسة هذا الموضوع تؤكد ذلك .

• وأن نظرية ابن جنى فيما نحن بصدده بعيدة عنه هي الأخرى .

وابن جنى في دراسته هذه أسبق وأعمق من العائم النمساوى وبولر الذي يقول : أن الكلام دليل على الحالة العقلية للمتكلم ورمز للرسالة ، وتنبيهه للسامع فابن جنى من خلال دراسته العملية التطبيقية لهذا الباب أرسى دعائم هذا المبدأ وأكدته .

• وإذا كان ستيفن أولمان يرى أن من وظائف الكلام الأساسية : أنه معبر ، وموصل ومؤثر فقد قدم ابن جنى من خلال دراسته لهذا الباب هذا المبدأ أيضا على دعائم نظرية تؤكد لها الدراسة التطبيقية العملية .

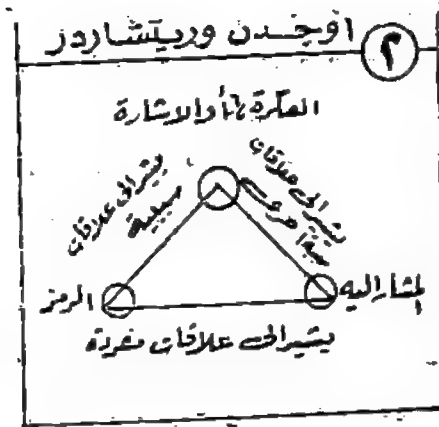
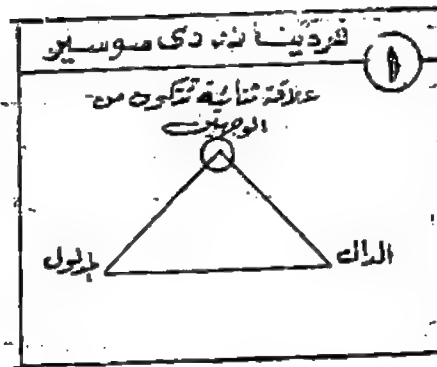
• وإذا وضعنا أمامنا تحليل الأستاذين « أوجدن » ، وريتشاردز في كتابيهما معنى المعنى (١٠٠) والذي يمثل مثلثهما المشهور - حيث يذهبان الى وجود عوامل ثلاثة تتضمنها أية علاقة رمزية وذلك على نحو ما سبق أو أوضحنا في الحديث عما قدمه ابن جنى من خلال بابيه هذا فاننا نلمح في أعمال ابن جنى هذه العوامل الثلاثة وهي على نحو ما أوضحناه :

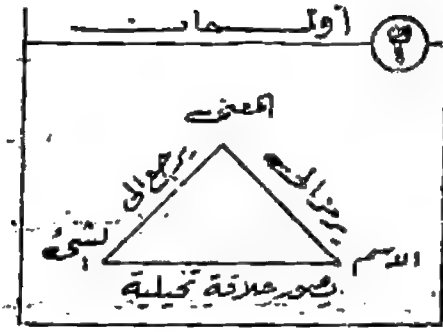
١ - الرمز نفسه .

٢ - المحتوى العقلى الذى يحضر فى ذهن السامع حين يسمع الكلمة ؟ وهذا المحتوى قد يكون صورة بصرية أو حتى مجرد عملية من عمليات الربط الذهنى -

وهذا ما تشبهه القائلون بالفكرة "أو الزبط الذهني" Reference وهذا كله دار
من حوله تتخلل أين تجنى في الأمثلة السابقة.

٣ - الشيء نفسه الذي يرتبط ذهنيا بشيء آخر - وهذا الشيء قد يسميه
المرتبط ذهنيا أو Reference وتتضح العلاقة بين هذه المصطلحات الثلاثة على
على النحو الآتي :





معنى ذلك أن تعدد الرموز - التي وضعت للشيء - الواحد - تميل على عدم فرض رمز صوتي معين لشيء معين - وأن الثقل يقع أن يتحرك من رمز صوتي إلى آخر دون أن يجذ في ذلك حرجاً أو غشاضة - الضريبة والفريضة التحيزة - مع ادخال عنصر الزمن وطبيعة المتكلمين - هذه النقاط التي تناولها ابن جني في تحليله هي ما تكرر من حولها دراسات اللغويين اليوم على نحو ما هو واضح :

ومدار البحث في علم اللغة هو الكلمة - أو الدال Le Signifiant ويقوم الدال أو الكلمة أو الاسم مقام الشيء أو المثلول Le Signifié - أو المسمى .

وتتصف الكلمة التي هي مدار التخاطب بأمرين وهما :

- ١ - التعسف ؛ والتحرك . أي اعتباطية الحدث اللغوي وقابليته للتطور . .

والمقصود بالتعسف هو تعسف العلاقة بين الدال والمثلول أي أن العلاقة علاقة اعتباطية ، ولكنها مع ذلك صارت مستقرة في عرف الجماعة اللغوية ، مع قابليتها للتطور أو التغيير أو إحلال غيرها بجوارها أو محلها أو تنحيتها عن بعض صفاتها

ويمكن القول بأن للكلمات تمر في حياتها بأربع مراحل :

● - مرحلة الوضع .

● - مرحلة التقبل .

● - مرحلة التداول والشيوع .

● - مرحلة الاضمحلال عندما يحدث التخلي عن بعض الكلمات أو احلال غيرها معها أو مطها أو تطوير جانب من جوانبها سواء من الناحية الشكلية أو الدلالية - وإذا كان كل هذا يحدث وهو ما أشار اليه ابن جنى بطريقة تجريبية تحليلية وأقره المحدثون فإن هي المناسبة عند ابن جنى .

وفي ضوء تحليل ابن جنى لما سبق يتضح لنا مايشير اليه فرديناندى سوسير من مبدأى التمسف أو الاعتباطية والتحرك حيث يقول : « أن العلامة اللغوية تختص بأمرين أساسيين وبالتحديد هما نكون قد وضعنا الاسس التى تقوم عليها الدراسات اللغوية » ، (١٠١) - وهذان المبدأان موجودان في تراثنا ولشارت اليهما دراسات عديدة وقد أوضحنا ذلك .

فمبادئ الدراسات اللغوية الحديثة مسطرة في كتب السلف من علمائنا وينهل علماء الغرب منها ما شاعوا - وليس ببعيد أن الدراسات الحديثة استفادت بلا حدود من تراث سلفنا . فقد درس علماؤنا كل مايتصل بالأداء اللغوى وأوقوه حقه من التعمق ووسعوا مجال البحث فيه .

ويتم الأداء اللغوى على خطوات حتى يحقق الغرض منه وهو الاتصال بين أفراد المجتمع وذلك على النحو الآتى :

١ - خطوة حركية عضوية وهى مجموعة الحركات التى تتقوم بها أعضاء النطق فيصدر الرمز الصوتى الذى يعبر عن الفكرة أو الصورة الذهنية عند المتكلم .

٢ - خطوة عضوية حسية وهى عملية احساس السامع باللغة المنطوقة وما يصحبها من حركة - او اشارة وتقوم بهذه العملية الاذن والعين وأعصاب الحس الموصلة منها الى المخ .

٣ - خطوة حسية عقلية تقوم على الادراك الحسى للغة المنطوقة او عملية تفسير الـرهوز الصوتية التى وصلت الى المخ Interpretative Process ونلاحظ الخطوات الثلاث فى تحليل ابن جنى .

ويفهم من عمل ابن جنى أنه اعتبر التعمق فى فهم هذه الخطوات الثلاث ولا سيما الخطوة الثالثة وما يتصل بها من تحليل هى فئة اللغة « فائتاتى والتلطف فى جميع هذه الأشياء وضمها وملاءمة ذات بينها هو خاص اللغة وسرها »

فاللغة وسيلة الاتصال والتخام بين الافراد وهى من أهم العناصر التى يتكون منها النظام الاجتماعى وانتهى تتحكم فى السلوك اللغوى وغير اللغوى لافراد المجتمع . لذا فهى جديرة بأن تدرس فى دقة يتفقه فيها ما هو خاص بنا - وذلك يتم عن طريق دراسة الكلمات وتتبع حركتها وهذا ما دعا له ابن جنى دعوة صريحة .

فمن طريق الكلمة تثار الفكرة وهذه الفكرة تأتى من الأشياء التى يدركها الفرد عن طريق حواسه سواء كانت لشيء محسوس Concrete أو لشيء مجرد Abstract وهذا ما حاول ابن جنى أن يربطنا به وأن يتعمقه فى تحليله من خلال تقديمه هذا الباب ، وتتكون الفكرة Idea عند الانسان عن طريق ما يراه أو ما يدركه بحاسة البصر أو بغيرها من الحواس ، واللفظ هو الذى يساعد على تكوين الصور الذهنية باستخدامها فى تسمية العناصر المختلفة التى يحلل اليها المدرك الحسى وفى تركيبها أيضا ويتضح هذا بجلاء من العملية التى جال بنا ابن جنى فيها خلال تتبعه اختلاف الاصول والبيانى وتلاقيها حول المعانى فان اللفظ هو المحور الذى دار عنيه التحليل .

فلسوك اللغوى (Verbal Behaviour) شقان :

- ما يختص بالمتحدث أى بعملية النطق بالكلام .
- ما يختص بالمخاطب أى بعملية السمع والفهم - وكلاهما متعاوان ويتبادلان الدور وكذلك النطق والادراك أمران متحدان ووجهان لشيء واحد .

وقد عنى علماء النفس حديثاً بتأكيد الفرق بين الفكرة التى تدل عليها الكلمة (معنى الكلمة) ومجرد الصورة التخيلية (Image) لحلول الكلمة - فالصورة التخيلية المثارة هى فى الواقع ليست الا جزءاً فقط من المعنى الذى يقوم فى ذهن الفرد عندما يفكر فى محلول الكلمة التى أحدثت هذه الاثارة - ودارت من حولها كثير من الدراسات تولاهما متخصصون .

والصورة الذهنية (Evoked Image) جزء صغير مما يحدث عندما يفكر الإنسان أو عندما تثير كلمة معنى فى ذهنه - وذلك لانه يحدث فى الـذهن مستويات مختلفة لادراك أنواع من الكلمات ما بين محسوسات ومجردات - وخلال مرحلة التجريد تعمل قوانين لغوية متعددة منبأ مايتصل بالمقاربه والمشابهة .
وبالنسبة للادراك فهو يبدأ بمرحلة التجريد التى يمكن فيها ادراك الماثلة والمشابهة فى خصائص معينة ومن هذه المرحلة تقوم القوانين اللغوية المختلفة بأداء دورها .

ثم تحدث مرحلة التعميم Generalization وفيها يصل الفرد الى معنى عام مشترك بين أفراد الكل وهذا المدرك الكلى يقسم من الناحية النفسية الى نوعين :

- عام وهو الذى يشمل محلولة جميع الأفراد
 - وخاص وهو المعنى الذى يختص بفرد بذاته أو شئ بذاته .
- ومرحلة ادراك المعانى مرحلة أعلى وتأخذ مستويات .
- وتتكون عندها أفكارنا عن أسماء المعانى Abstract Ideas مثل الطول والتصر والخوف والغضب وأسماء الصفات مثل الاسود والطويل والقصير والبعيد : وهذا يوضح تفسير ابن جنى بالتدرج من المحسوسات الى المعنويات الى المجردات وتذكر أسماء المعانى عن طريق ادراك الصفات المشتقة منها اولاً أو التى هى خاصة من خصائص أسماء الذات (١٠٢) .
- Concrete Objects

(١٠٢) أقرأ علم اللغة النفسى د . عبد المجيد سيد أحمد منصور من الفصل السابع موضوع اللغة فى الدراسات النفسية ص ٩٧ / ١٢٩ .

فى علم النحو والصرف تقسم الاسماء الى ذات كشجرة ودابة واسم معنى كعلم وعدل وسلام .

والواقع أن ما قام به ابن جنى في هذا الباب أمره مجهد فمتتبع العلاقات على هذا النحو وتكوين فكرة عنها أمرها أدق فالصفة ملاصقة عادة لشيء، المدرك أما العلاقة فهي تحتاج الى انتقال الانتباه من شيء الى شيء وهذا الانتقال هو الآخر في حاجة الى أدراك مبنئ على أسس وهو ماسماء ابن جنى فقه اللغة العربية - والعلاقات ليست شيئاً محسوساً يدرك مستقلاً وإنما هي مجرد صلة بين شيئين أو أشياء ومن الممكن أن يستحضر الفرد في ذهنه صورة لمعنى ما دون حاجة الى تصور الموصوف ولكنه من الصعب التفكير في العلاقة بين شيئين تفكيراً مجرداً عن هذين الشيئين اللذين تربط بينهما هذه العلاقة - فعمل ابن جنى هنا عمل خالق جدير بعناية الدارسين - والحاجة العلمية له ماسة فمن خلاله يمكن إعادة تصور العلاقة التي تمت بين الدال والمحلول والتي عن طريقها تم المخزون اللغوي في العقل العربي وهذا يضع يد الباحث على نقطة لها أهميتها في الدراسة اللغوية العامة وهي مرحلة تطور الفكر اللغوي من المحسوس الى المعقول والعكس وتكوين الفكرة عن العلاقات يحتاج الى نفس الخطوات التي تتبع في تكوين أى معنى من المعانى الكلية - أى يحتاج الى الملاحظة لادراك التشابه وعدم التشابه ثم التجريد والتعميم أما التسمية فليس لها ترتيب خاص فقد تأتي مع الملاحظة وهذا ما وضعه ابن جنى عليه فقد أنقل بنا من تسمية لأخرى مع وجود علاقة ذات جانبين أحدهما خاص بالمتضمن والآخر خاص بالصيغة والشكل وبينهما معا تحاور وتطور ، وظل ابن جنى يفتقل بنا من تسمية الى تسمية مع ربط بين المسميات وتتبع الحركة الذهنية والمخزون العقلي وفق منهج له حدوده وخطواته ويرى بعض علماء النفس أن الكلمة تدل على :

١ - الفكرة التي تمد المتكلم أى المدلول الذاتى .

ب - الشيء المحسوس الواقعى فى الخارج أى عنى المدلول الواقعى الموضوعى

انذى يشير دائما الى مقابل خارجى فى الحياة الواقعية ، والمعنى الخارجى يحدد دائرة الكلمة المستعملة ويعرف بأنه المعنى المتفق عليه .

ويحدد بعض العلماء أربعة عناصر أساسية تكون معنى الكلمة هي :

١ - العنصر الأول : المدلول عليه Sense وهو الشيء المقابل للكلمة
في عالم الواقع سواء كان ماديا أو معنويا .

٢ - العنصر الثاني : الناحية الانفعالية : وتمثل شعور المتكلم نحو هذا
الشيء عندما يتذكر الكلمة الدالة على هذا الشيء وعندما يتعامل مع هذا الشيء
وهذا العنصر وثيق ومؤثر فعال في العنصر الثالث .

٣ - العنصر الثالث : النغم Tone فعندما يتكلم الفرد يعطي الكلمة

نغمة خاصة - وهذا ما نحسه في نطق كثير من الكلمات عندما تختلف حالات نطق
الكلمة الواحدة تبعا للحالات والمواقف المختلفة .

٤ - العنصر الرابع : القصد Intention

فتد يقول الانسان شيئا وهو يقصد شيئا آخر وقد يقصد ضده فليس المتصور
نطق الصبيح فحسب وانما المهم المتصور بها وفي ضوء هذا نستطيع ان نضع أمام
أنفسنا تلك النماذج المتعددة التي تعرض لها ابن جنى بالتحليل العملي وتتبع
حركة الفكر وانتقاله من صيغة لاخرى حيث تتلاقى المعاني على اختلاف الاصول
والمباني وعن العنصر الرابط بين المعنى والمعنى وعن درو العنصر الشكلي في
الربط مع استحضار العناصر الأربعة الأساسية في تكوين معنى الكلمة .

النموذج الأول من النماذج التي عرضها ابن جنى في هذا الباب عن ظاهرة
الترادف يقول عنه انك تجد للمعنى الواحد اسماء كثيرة ، فتبحث عن أصل كل
اسم منها فتجده مفضى المعنى الى معنى صاحبه ... / ...

ثم يعطى صيغا وبنيات شكلية يفضى مدلول كل واحدة منها الى مدلول
صاحبيتها .. فمثلا كلمة (خلق) على وزن (فعل) بضم الفاء والميم كثيرة
منه (فعيلة) في هذا الموضوع وذلك على النحو الآتي :

خلق بضم الخاء واللام = خليقة = فعيلة

طبيعة = فعيلة

نحيته = فعيلة

غريزة = فعيلة

نقيية = فعيلة

ضريبة = فعيلة

نحية = فعيلة

سجية = فعيلة

طريقة = فعيلة

سجحة = فعيلة

سليقة = فعيلة

سرجية = فعيلة

ثم يقول ابن جني : « هذه كلها صفات تؤذن بالمشابهة والمقاربة »
فالمشابهة والمقاربة بين مخلوقات هذه الصيغ جعلت كل واحدة تفضي المعنى الى
معنى صاحبها ... فالعلاقة ذات جانبين علاقة مشابهة في الصيغة -
واتصال في المعنى .

ومعنى قوله بمفهومنا أن عملية التبليغ Destination في هذه
البيئة اللغوية - أوجدت اتفاقا بين التبليغ واللغة - فمن واقع البيئة
والتجارب والمدرجات الحسية والعقلية تم اختيار الصيغة (Codage)
المناسبة للمضمون - ثم تعقب ذلك بمرحلة كشف الصياغة (Décodage)
وتم ذلك وفق نظام الرموز المتعارف عليها بين جماعة المتكلمين فدمجت
العناصر الاربعة : المدلول عليه - والناحية الانفعالية والنغم ومن مظاهره
الصيغة وعنصر القصد فالعلاقة جاءت اصطلاحية - ولكننا
أخذت مراحلها في عرف الجماعة اللغوية ما بين مرحلة : وضع - ومرحلة
تقبل - ومرحلة شيوع وتداول . ثم استقر ذلك نتيجة لعملية حسيّة

عقلية قامت على الإدراك الحسى للغة المخطوطة وعلى عملية تفسير الرموز
Interpretative Process الصوتية التى وصلت إلخ .

وتقبلها المتكلمون باللغة فمن الأشياء والحركات التى يتعامل معها الفرد فى
هذه البيئة عن طريق حواسه يأتى بمحسوسات Concrete ويجعلها
مجردات (Abstract) يساعده على ذلك اللفظ الذى اختاره والصيغة
الشكلية التى ضمنها ما أراد .

ومن مرحلة التجريد يرتقى الى مرحلة أعلى وهى المرحلة التى يدرك فيها
الماثلة والمثابفة حيث ينتهى منها الى المعنى العام المشترك بين أفراد
المجموعة أو الكل .

والعلاقات أو الصلات الموجودة بين هذه الأشياء المثابفة تساعد الفرد
على أن يستحضر فى ذهنه صورة المعنى العام فتأتى أفراده تبعاً - وهذا
ما ساعد العربى فى بيئته الامية على الطلاقة وزرابة اللسان وفصاحته
فعندما يستدعى الموقف من العربى أن يتكلم خطيباً أو شاعراً تأتىه
الكلمات نتيجة لعلاقة المثابفة والمقاربة فى تداع فى بيئة تفاعرت بطلاقة
اللسان وفصاحته . وهو غاية ما يعتز به العربى ، فاذا وضعنا أمامنا
الأمثلة التى أوضح بها ابن جنى نموذج الأول واستحضرنا ما يقوله علماء
علم النفس اللغوى أن الكلمة تدل على الفكرة التى عند المتكلم وتدل على الشيء
المحسوس الواقعى فى الخارج أى أن المعنى النفسى له مقابل خارجى فى
الحياة الواقعية - والمقابل الخارجى يحدد دائرة الكلمة المستعملة - نوجدنا
ما يقوله ابن جنى هو تطبيق عملى لهذا المفهوم - فابن جنى يقول :-
خلق الانسان هو فعل من خلقت الشيء أى ملسته والصخرة الخلقاء أى اللساء
والخلقة فعيلة منه .

والطبيعة من طبعت الشيء أى قررت على أمر ثبت عليه ومنه طبع الدرهم
والدينار

والنحيته من نحت الشيء أى ملسته .

فالنحيته كالخلقة هذا من نحت وهذا من خلق .

والغريزة هى فيلة من غرزت تغريزة بالأكله طبعت الدرهم وغرزته بالآلة
التي تثبت عليه الصورة .

والنقيية فعيلة من ثقتت الشيء وهو نحو من الغريزة .
والضربية فعيلة من ضربت لأن الطبع لابد معه من الضرب لتثبت الصورة -
والنحية فعيلة من نحزت أى دقتت ومنه المنحاز الهاون .
والسجية فعيلة من سجا اذا سكن لأن خلق الانسان أمر قد سكن اليه
واستقر عليه .

والطريقة فعيلة من طرقت أى وطأت وذلت وهو معنى ضربته
وثقبتة وعرزته ونحته كليا رياضيات وتدريب .
والسجيرة فعيلة من سجع خلقه وذلك أن الطبيعة قد قرت واطمأنت نسجت
وتذلت .

وسرجية فعيلة وسرجوحة فعולה من لفظ السرج والراكب يزيل
اعتلال السرج ومياهه ويعدله فهو تقويم .

ثم يعقب ابن جنى تحليلة بقوله الآتى :

« فهو بالمعنى عائد الى النحيته والخلقة لأن هذه كلها صفات تؤذن بالمشابيه
والمقاربة » .

فابن جنى يتحدث فى مجال الدراسات النفسية اللغوية التحليلية
وفقا لقوانين معروفة فى هذا المجال ومدركة لنا اليوم وإن لم ينص هو عليها .
ثم يقول ابن جنى
« والمرن مصدر كالطف ، والكذب

والفعل منه مرن على الشيء اذا ألفه فلان له ،

ثم يضيف مؤكدا ما نراه : وهو عندى من مارن الانف لما لان منه مهر
أيضا عائد الى أصل الباب .

ألا ترى ان :

الخلقة ، والنحيته ، والطبيعة ، والسجية ، وجميع هذه المعانى
التي تقدمت تؤذن بالالف والملاينة ، والاصحاب ، والمتابعة .

فعملية تفسير الرموز الصوتية عند ابن جنى بناها على خطوات قامت
على الادراك الحسى للغة المنطوقة مع ادخال العناصر التي يتكون منها

النظام الاجتماعى والتى تتحكم فى السلوك اللغوى وغير اللغوى لافراد المجتمع فيقول المرن كالحلف مصدر ويقول هو عندى من مرن الانف وان كله يعود الى اصل الباب فالخليقة والنحيته - تؤذن بالملاينة ويوضح رأيه بقوله :

والسليقة = فعيلة ، والسليق ما تحاث من صغار الشجر ، فاذا تحاث لان وزالت شدته ، والحت كالنحت - وهما فى غاية القرب .

فمناصر البيئة لها دورها فى وضع الصياغة أى الاشياء الموجودة فى البيئة ثم تقوم الصيغة أو الدال مقام الشئ، أو المدلول فينشأ المحتوى العقلى أو الفكرة أو الدلالة أو ما يعرف بالربط الذهنى ثم يربط بين العناصر الأربعة وأما قوله : « كريم النجار - والنجر = أى الاصل

والنجر والنحت - والحت والضرب ، والدق ، والنحر ، والطبع ، والخلق والغرز ، والسلق ، كله التمرين على الشئ ، وتليين القوى ليصحب وينجذب،

فانظر مدى مايراه ابن جنى من تفاعل بين العناصر الأربعة على نحو ماهر - أو كما تخيلها اوجدن وريتشاردز فالعلاقة الرمزية فى مفهوم ابن جنى تضمنت الرمز الصوتى أو الصيغة والشئ نفسه التى قامت العلاقة بينهما علاقة نيابية والمحتوى العقلى وعلاقته بهما علاقة دلالة وتعلم . ثم ينتهى حديثه عن هذا النموذج بتعقيبه الآتى :

« فاعجب للطف صنع البارئ سبحانه فى أن طبع الناس على هذا وأمكنهم من ترتيبه وتنزيله وهداهم للتواضع عليه وتقديره » (١) .

فهو تحليل يقوم به العقل البشرى دون أن يدرى بتفصيلاته فاذا كان ابن جنى يقول ان الله هداهم للتواضع على هذا وتقديره فأين هى المناسبة الطبيعية التى يقول بها ابن جنى اليس وراء فكر ابن جنى ما هو أعظم منها

بكثير مما يجهد فيه المتخصصون أنفسهم ويضع ابن جنى يدنا عليه في
يسر وسهولة -

ثم هو يقول :

• كما أن الخليفة من خلق ، والسجية من سجو ، والطبيعة من طبع ،
والنحيته من نحت ، والغريزة من غرز ، والسليقة من سلق ، والضريبة من
ضرب ، والسجحة من سجع ، والسرجوجة من سرج ، والتجار من نجر ،
والمرن من مرن ، فالاصول مختلفة ، والامثلة متعادية والمعاني من ذينك
متلاقية ، •

أي فالاصول مختلفة لاختلاف الاشياء المأخوذة عنها والامثلة متقاربة
لأن الرموز الصوتية تؤدي وظائف متقاربة والمعاني متلاقية أي الربط
الذهني Referent أو المحتوى العقلي الذي يحضر في ذهن السامع حين
يسمع الكلمة أو الرمز الصوتي •

ونعرض متونا أخرى مثل بيا جلال الدين السيوطي
وآخر من مثل بهم - هو الامام أبو منصور اسماعيل الثعالبي في كتابه
فقه اللغة وسر العربية - ونرجع الى الموضوع الذي ذكره السيوطي فنجد
الآتي :

الفصل التاسع والعشرون :

• يناسبه في ترتيب النقاب ، •

إذا أدنفت المرأة نقابها الى عينيها فتلك الوصوصة •

فاذا أنزلته دون ذلك الى الحجر فهو النقاب •

فاذا كان على طرف الأنف فهو اللفام •

فاذا كان على طرف الشفة فهو اللثام (١) •

(١) ص ١٩ فقه اللغة وسر العربية للامام أبي منصور اسماعيل الثعالبي
النيسابوري ٤٢٩ هـ / ١٠٣٨ م •

وذكر أنه عن الفراء - ولم يذكر الثعالبي أكثر مما جاء عن الفراء ، معنى ذلك أن الثعالبي يروى اللغة بأمانة كما استعملها أبناؤها وأن هذا هو مصدره فيما يرويه وما زاد على ذلك مما ذكره السيوطي لم يقل به الثعالبي ولم يقل به الفراء وهو يمثل وجهة نظر السيوطي - والكلمات التي أماننا لا تمثل المناسبة الطبيعية بين اللفظ والمعنى :

الوصوة

النقاب

اللغام

اللثام .

نكل كلمة تشير الى دلالة خاصة بها فاذا تقاربت كلمة اللثام من الاثام في النطق والمعنى فهذا هو قانون التقارب وهو ما سماه ابن جنى تصاقب اللفظ لتصاقب المعنى ولكن بقيت انشاء والفاء قونيمين يتغير بموجب كل واحد منهما المعنى ولكن كيف تجيء المناسبة وقد تباعدت حروف الوصوة عنهما وكذلك حروف النقاب .

من يتصفح كتاب الثعالبي يجد أنه كان حريصا على أن يقدم مجموعات من مفردات اللغة العربية تكشف عن سر العربية وسر الناطقين بها - وقد كان هدفه من وراء ذلك تيسير حفظ اللغة العربية والاثام بمفرداتها ومعرفة الفروق بينها ولا سيما بين أبناء الأمم الأخرى الداخلين في الاسلام والذين هم حريصون على تعلم العربية وعاء القرآن الكريم .

ان الثعالبي وغيره من علماء العربية يستخدمون قوانين علمية تتصل بقوى الادراك عند الانسان - وهذا يكشف عن فهمهم روح اللغة بسبب الماهم بها ومعرفة أسرارها - والبيئة البدوية الأمية تعتمد على الذاكرة الحادة الحافظة اللاتظة فهي تربط الأشياء بعضها ببعض فيسبيل التداعي - وتعتمد على التقارب والتتابع والتشابه ٠٠٠ / ٠٠٠ فوجد الثعالبي من أسرار العربية وأبنائها ما يتناسب مع الداخلين فيها من غير أبنائها في عصور ازدهارها الأولى ٠٠ فقدمها وفق قوانين يكشف أبعادها المتخصصون .

وجاء بعد الفصل السابق مباشرة : الفصل الثلاثون تحت عنوان •
« في هيئات الدفع والقود والجر » (عن الأئمة) أى أن هذا هو مصدره فتجد
رواه أئمة اللغة العربية) :

- قاده اذا جرّه الى امامه •
- ساقه : اذا دفعه من ورائه •
- جذبه : اذا جرّه الى نفسه •
- سحبته : اذا جرّه على الارض •
- دعه : اذا دفعه بعنف •
- بهزه ونخره وزبئه اذا دفعه بشدة وجفاء •
- لببه : اذا جمع عليه ثوبه عند صدره وقبض عليه بحدة •
- عنته : اذا ألقى في عنقه شيئاً وأخذ يقوده بعنف شديد •
- نهزه : اذا زجره بغلظ •
- طرده : اذا نفاه بشخط •
- صده : اذا منعه برفق •

• زخهوصكه ولكمه : اذا دفعه وهو يضربه (١) •
صار الأمر من الوضوح بحيث أنه لم يعد في حاجة الى توضيح غير أننا
نقول اذا كانت الكلمات الثلاث : بهزه - ونخره - وزبئه تؤدى نفس المعنى
فأين هي المناسبة هل هناك ما يرجح استعمال واحدة على الأخرى ؟ أليست هذه
على هذه الهيئة فأين هي المناسبة بين اللفظ وما يدل عليه •

• واذا كان الفصل كما يتحدث عن معنى عام واحد وتعددت مفرداته وتنوعت
على هذه الهيئة فأين هي المناسبة بين اللفظ وما يدل عليه •

• ويأتى بعد السابق مباشرة الفصل الحادى والثلاثون وبه دم
استشهد السيوطى : وعنوانه : في ضروب ضرب الأعضاء :

(١) فقه اللغة (السابق) ص ١٩٥ / ١٩٦ •

الضرب بالراحة على مقدم الرأس صقع ، وعلى القفا صفع ، وعلى الوجه صك
 (وبه نطق القرآن) وعلى الأذن ببسط الكف لطم - وبقيض الكف لكم - وبكلتا
 اليدين لدم وبالأصبع وخز - وعلى الصدر والبطن بالركبة زين - وبالرجل
 - وعلى الجنت بالأصبع وخز - وعلى الصدر والبطن بالركبة زين - وبالرجل
 ركل ورفس - وعلى الضرع كسع - وعلى العجز بالكف نخس - وبالرجل
 صفن (١) •

ليست الصك واللکم استعملت كل واحدة منهما بمعنى مخالف لما
 استعمل في الباب السابق مباشرة فإين هي المناسبة الطبيعية ، لم يجيء أكثر
 من ذلك عند الثعالبي •

فاذا ذهبنا نبحث عن هدف الثعالبي من تجميع هذه القائمة من ضروب
 ضرب الأعضاء في كتابة فقه اللغة وسر العربية وجدنا الجواب من العنوانين
 عنوان الكتاب وعنوان الفصل فقه اللغة وسر العربية : ضروب ضرب الأعضاء:

ان للناطقين بالعربية طبيعة سيكلوجية فرضتها عليهم بيئتهم الأمية
 وطلاقتهم في العربية التي حرصوا عليها •

وجعلتهم يحرصون على تقارب الالفاظ وتقارب المعانى حتى تستدعى المعانى
 بعضها بعضا فلا يتلجج المتكلم ولا يتلعثم الخطيب وتأتى القوافى للشاعر في
 سهولة نتيجة لهذا - وقد كان من أهم صناعة العربي الكلام وبه افتخر •

يتحقق هذا مما أماننا :

| | | | |
|-----|------|----------|-----------|
| صقع | الطم | وهز ولهز | رفس - ركل |
| صفع | لكم | وكز ولكز | كسع |
| صك | لدم | وخز | نخس |
| صفن | | زين | |

كلمات متقاربة يدعو بعضها بعضا •

واذا اثبتت الدراسة أن بين الوهر واللهز - وبين الوكز واللكز تطور صوتي

حدث نتيجة للإبدال فهذا أيضا يخضع لقانون التطور الصوتي ولكن يحتاج إلى دراسة وتحكم به بعد أن تثبته الدراسة ويؤكدده البحث - فقد يكون تطورا تاريخيا أو تطورا نتيجة للخطأ في السماع أو نتيجة للبيئات المختلفة والقبائل المتباعدة - إلى آخره .

وتطالع عنده على سبيل التمثيل الفصل الحادى عشر وعنوانه في ترتيب

أوصاف البخيل

- رجل بخيل : ثم مسيك اذا كان شديد الامساك (عن أبى زيد)
 ثم لحز : اذا كان ضيق النفس شديد البخل (عن أبى عمرو)
 ثم شحيح : اذا كان مع شدة بخله حريصا (عن الأصمعى)
 ثم فاحش : اذا كان متشجدا في بخله (عن أبى عبيدة)
 ثم حلز : اذا كان في نهاية البخل (عن ابن الأعرابى) (١)

جمع طائفة من الكلمات التى جمعها غرض واحد وتتفاوت في حالات الاستعمال وصحيحة في روايتها عن أئمة اللغة وقدمها صحيحة سهلة الاستعمال .

بخيل

لحز

شحيح

فاحش

حلز

كلمات متباعدة وهذا أيضا يسير وفقا لقانون تتم به عملية الإدراك .
 وقد فهم الثعالبى من معاشته للغة أن هذا يساعد في تعلم البلاغة وهذا الطريق إلى الفصاحة فكانت النتيجة أنه قدم مؤلفه : « سحر البلاغة وسر البراعة » ونعرض نماذج منه بعد هذه النماذج التى نعرضها من كتابه فقه اللغة وسر العربية وما تنطوى عليه من خصائص وكلها وفق توانين توصل إليها المحدثون ويكشف عن بعضها الآتى :

(١) السابق ص ١٤٢ .

الباب الأول : في الكليات ، وهي ما أطلق أئمة اللغة في تفسيره لفظه كل . .
ونأخذ الفصل الأول تمثيلا له :

، فيما نطق به القرآن من ذلك وجاء تفسيره عن ثقات الأئمة ، .

كل ما علاك فأظلك فهو سماء - كل أرض مستوية فهي صعيد ، كل حاجز
بين الشيئين فهو موبق - كل بناء مربع فهو كعبة - كل بناء عال فهو صرح -
كل شيء دب على وجه الأرض فهو دابة - كل ما غاب عن العيون وكان محصلا في
القلوب فهو غيب - كل ما يستحيا من كشفه فهو عورة - كل ما امتير عليه من
الابل والخيول والحمير فهو غير - كل ما يستعار من قدوم أو سفرة أو قدر أو
قصعة فهو ماعون - كل حرام تبيح يلزم منه العار كثمن الكلب فهو سحت -
كل شيء من متاع الدنيا فهو عرض ، كل أمر لا يكون موافقا لثقت فهو فاحشة
- كل شيء قصير عاقبته إلى الهلاك فهو تيلكة كل ما هيجت به النار اذا
اوقدتها فهو حطب - كل نازلة شديدة بالانسان فهي قارعة ، كل ما كان على
ساق من نبات الأرض فهو شجر - كل شيء من النخل سوى العجوة فهو
اللين (واحده لينه) كل يستأن عليه حائط فهو حديقة (والجمع حدائق) كل
ما يصيد من السباع والطير فهو حارجة (والجمع حوارج) .

جمع هذا الباب أشياء متعددة يستعمل لها لفظ واحد كل ما علاك فأظلك
فهو سماء سقف الخيمة سماء - سقف البيت سماء سقف البيت الذي صنع
من خشب والذي صنع من جريد والذي صنع من غاب والسقف المسلح - كله
سماء - والمظلة سماء لفظ واحد يستعمل لأشياء متعددة أين هي المناسبة
وهكذا بقية الأمثلة ٠٠٠ / ٠٠٠ أن كل ما في العربية من أسرار جاء وفق
قوانين تطلبها الطبيعة البدوية والبيئة الأمية والاعتماد على الذاكرة الحافظة
رغبة في الطلاقة وفصاحة اللسان وازدانة القول يكفيك أن تقرأ هذا ولو مرة -
ومنها تعرف خاصة من خصائص العربية تعينك على استمالتها في طلاقة
وفصاحة ٠٠٠ هل مثل هذا جاء غفو الخاطر ؟ أليس هذا خاضعا لقانون خاص
بالادراك ويمثل خاصة من خصائص العربية . .

أليس هذا من فقه اللغة العربية • ومن هنا فقد سمي الثعالبي كتابه :
غقه اللغة وسر العربية - هل جاءت التسمية عفوا •
أعمال اللغويين القدماء في حاجة الى وقفة متأنية تتعمق من خلالها أعمالهم •

١ الباب الثاني - في التنزيل والتمثيل - والفصل الأول منه - في طبقات
الناس وذكر الحيوانات وأحوالها وما يتصل بها - (عن الأئمة) وهذا أول
ما جاء فيه كتمثيل عليه :

الأسباط في ولد اسحق بمنزلة القبائل في ولد اسماعيل •

أرداف الملوك في انجاهلية بمنزلة الوزراء في الاسلام الردافة كالوزارة -
قال لبيد :

وشهدت أنجبه الإفاقة عاليا كعبي وأرداف الملوك شهود

الأقيال لحمير كالبطارق للروم •

المراهق من الغلمان بمنزلة المعصر من الجواري •
والكاعب منهن بمنزلة الحزور منهن -

القارح من الخيل بمنزلة البازل من الابل -
الكهل من الرجال بمنزلة النصف من النساء
الطرف من الخيل بمنزلة اكريم من الرجال

البذخ من أولاد الضأن مثل العتود من أولاد المعز •

ألا يعتمد هذا على المقابلة الشيء وما يقابله (بضدها تتميز
الاشياء) الا يخضع هذا لقانون ؟ لم تتحد الألفاظ وقد اتحدت الدلالات أليس
الهدف من بيان هذا توضيح السر الذي اعتمد عليه العربي في حفظ لغته •

ونسأل لماذا لم تتحد الألفاظ وقد اتحدت الدلالات أو تتاربت : الاسباط في
ولد اسحق بمنزلة القبائل في ولد اسماعيل •

أرداف الملوك في الجاهلية بمنزلة الوزراء في الاسلام - الردافة تساو
الوزارة ... الى آخره ...

اذن أين هي المناسبة الطبيعية بين الألفاظ والمعاني . .

اتترك ما هو جدير بالدرس والبحث ومتعلق بما لا نفع فيه ولا رجاء من

ورائه .

الباب الثالث : في أشياء تختلف أسماؤها وأوصافها باختلاف أحوالها :

الفصل الأول - فيما روى عن أبي عبيدة :

لا يقال كأس إلا إذا كان فيها شراب ، وإلا فهي زجاجة - ولا يقال مائدة
إلا إذا كان عليها طعام وإلا فهي خوان ، ولا يقال كوز إلا إذا كانت له عروة وإلا
فهو كوب ولا يقال ظم إلا إذا كان مبريا وإلا فهو أنبوبة - ولا يقال خاتم إلا
إذا كان فيه فص وإلا فهو فتحة ولا يقال فرور إلا إذا كان عليه صوف وإلا فهو
جُد ولا يقال ربطة إلا إذا لم تكن لفقين وإلا فهي ملاء ولا يقال أريكة إلا إذا
كانت عليها حجلة وإلا فهو سرير - ولا يقال لطيمة إلا إذا كان طيب وإلا فهي
عير

أليس الشيء هو الشيء لماذا اختلف الاسم في كل حالة عن الأخرى .

لماذا لم تتقارب الألفاظ . . كأس - زجاجة - مائدة - خوان . . إلى آخره

أين تقارب الألفاظ لتقارب المعاني هنا .

هل القاعدة أختلت .

هل اختلف أبنائها واختلفت أخلاقهم وعاداتهم - لا . . أنها اعتباطية
الحدث اللغوي والمسألة في حاجة إلى وقفة وإلى دراسة لأنها خصائص وأسرار في
العربية تسير على قوانين يجب الإلمام بها والكشف عن أبعادها - والمادة
مجموعة .

الباب الرابع - في أوائل الأشياء وأواخرها :

الفصل الأول في سياقة الأوائل (١) .

الصباح أول النهار - الغسق أول الليل - التوسمى أول المطر ، اليباض
أول النبات - اللعاع أول الزرع (وهذا عن الليث) .

السابق ص ١٧ .

اللباء أول اللبث - السلاف أول العصير ، الباكورة أول الفاكهة ، البكر
أول الولد - الطليعة أول الجيش - النهل أول الشرب - النشوة أول السكر -
الوخط أول الشيب - النعاس أول النوم •

الصبح
الغسق
الوسمى
البارض
التعاع
اللباء
السلاف
الباكورة
الطليعة
البكر
النهل
الوخط
النشوة
النعاس •

اليست هذه كلها أوائل

لم تباعدت الكلمات كل هذا التباعد على حين يجمع بينها كلها معنى واحد
وأن كان من جانب واحد •• فماين هي المناسبة الطبيعية بين اللفظ والمعنى ؟
ألا يوجب ذلك وجود أى تقارب ؟

فضلا عن أنها اعتباطية الحدث اللغوى - ألا يوجب ذلك نوعا من -
الحراسة يكشف من خلالها عن سيكولوجية اللغة العربية وطبيعة أبنائها وعن
القوانين الخاصة بالادراك الذهنى وكيف سخر العربى بفطرته هذه القوانين
فى خدمة لغته مما جعلها تتمتع بخصائص جعلها الله سبحانه وتعالى من أجلها
وعاء لكتابه الكريم •

الباب الخامس - في صغار الأشياء وكبارها وعظامها وضعخامها :

يفصل الأول في تفسير الصغار :

الحصا : صغار الحجارة - الفسيل صغار الأسجر - الآشاء صغار الذخل -
الفرش صغار الإبل - (وقد نطق به القرآن) النقصد صغار الغنم - الجنان
صغار النعام (عن الأصمعي) .

الحيلق صغار المعز - البهم صغار اولاد الضان والمعز - الدردق صغار
الناس والابل - (عن الليث عن الخليل) الحشرات صغار دواب الأرض -
الذخل صغار الطير - الفوغاء صغار الجراد - الذر صغار النمل - الزغب صغار
ريش الطير - الققطط : صغار المطر - (عن الأصمعي)

الوقش والوقص : صغار الحطب التي تشيع بها النار - (عن أبي تراب
اللمم : صغار الذنوب (وقد نطق به القرآن) الضغابيس : صغار الثناء
(وفي الخبر : أعدى اليه ضغابيس فقبلها وأكلها - بنات الأرض : الأنبار
الصغار عن ثعلب عن ابن الأعرابي . (١)

مثل السابق هذه كلها صغار :

| | | | |
|--------|---------|--------|--------------|
| الحصا | الحيلق | الزغب | الوقش والوقص |
| الفسيل | البهم | الققطط | اللمم |
| الآشاء | الدردق | | الضغابيس |
| الفرش | الحشرات | | |
| النقصد | الذخل | | |
| الجنان | الفوغاء | | |
| | الذر | | |

ليست كلها تدخل على صغار لماذا تباعدت كلماتها كل هذا التباعد

أدرك علماء العربية الأوائل وهم يجمعون اللغة هذا التقارب وهذا التباعد

وما عليه العربية من أسرار مختلفة فلفتت أنظارهم ظواهر لغوية متنوعة .
تتصل بالعربية فسجلوها ودرسوها وقدموها نظريات متنوعة في المجال
النظري - ونماذج تطبيقية في المجال العلمي ليسهل حفظ العربية والاحاطة
بها ليسهل فهم القرآن ومعرفة ما جاء فيه فتنبين دلائل عظمته واعجازه ٠٠/٠٠

لذا وجدنا كثيرين من غير أبناء العرب يبرعون في العربية براءة العرب -
ويحيطون بأسرارها - وما ذلك كله الانتيجة لدراسة واعية كشفت عما ينطوي
عليه العقل العربي واللغة العربية من أسرار ، أليست هذه وفق قوانين ، الا
توجب على الدارس المحدث أن يقف أمامها وأن يكتشف أبعادها وأن تخرج
في هذا المجال دراسات لها طابعها العلمي الجاد المميز ؟ !

يؤكد ذلك ماصنعه الثعالبي وتقدمه في كتابه سحر البلاغة وسر البراعة .
فقد قدم الثعالبي في كتابه هذا نماذج للاستعمال اللغوي في مجالات الحياة
المتنوعة يحفظها أبناء غير العرب فينطقون باللغة انطلاقاً ابتداءً ؟

ونضرب مثلاً مما جاء في هذا الكتاب - تحت عنوان : « استحكام الشيب
وبلوغ الشيخوخة » - (١) الشيب زبدة مخصتها الأيام - وفضة شبكتها
التجارب - في الشيب استحكام الوقار ، وتناهي الجلال وميسم التجربة .
وشاهد الحنكة ، الشيب مقدمة الهرم ، والمؤذن بالخرف ، والقائد الى الموت -
الشيب رسول المنية - الشيب عنوان الفساد - الشيب ساحل الحياة ،
الشيب سفينة تقترب من الساحل ، صفا فلان على طول العمر صفاء القبر
على مثقب الحجر ، من عرف الستين انكر نفسه ، فلان تناهت به الايام تحليماً
وتهذيباً ، وتناهت به السن تحكيمياً وتجريباً ، قد وعظ الشيب بوخطه
وخبطه ، والسن بنابه وسيطه ، قد تضاعفت وفود عمره ، وأخذت الايام
من جسمه ، وجد مس الكبر ، ولحقه ضعف الشيخوخة ، ساء عليه أثر علو
السن ، واعتراض الوهن ، فلان من ذوى الاسنان العالية ، والصحية للايام
الخالية .

(١) سحر البلاغة وسر البراعة للثعالبي - ص ٣٥

(٢) السابق ص ٣٥

ومثال آخر :

جاء بعد السابق مباشرة تحت عنوان : في الهرم ومشاركة الفناء جاء

فيه الآتى :

هم هرم قد أخذ الزمان من عقله - كما أخذ من عمره ثلثة الدهر ظلم الاناء -
تركه كذى الغارب المنكوب - حنالقوسه الكبير ، هريق ماء شبابه ، استثنى
أديمة ، كسر الزمان جناحه - نقض الدهر مرته ، طوى مانثر منه ، قيده
الكبر - رسف رسفان المقيد - مجتث الجثة كأنه عثة - ثقلت عليه الحركة ،
واختلفت اليه رسل النية - ماهو الا شمس العصر ، على القصر ، أركانه قد
وهت - ومحته قد تناهت هل بعد الغاية مفزلة ؟ أو بعد الشيب سوى الموت
مرحلة ، ما الذى يرجى ممن كان مثله فى تقاصر الخطى - وتخاذل القوى - وتدانى
الحدى ، والتوجه الى الدار الأخرى ؟ أبعد حقة العظم - ورقة الجلد وضعف
الجسم ، وتخاذل الأعضاء ، وتفاوت الاعتدل والقرب من الزوال ؟ - ان
لذى بقى منه نماء ترقبة المنون بمرصد ، وشلثة هى هامة اليوم أوغد ،
قد خلق عمره ، وانطوى عيشه ، وبلغ ساحل الحياة ، ووقف على ثنية
الوداع ، وأشرف على دار المقام .

- وقد جاء فى نهاية هذا المبحث قوله : آخر كتاب أحوال الانسان من
لدى صغره الى كبره والله الحمد .

وهذا ثمرة فهم الثعالبى لسيكلوجية اللغة العربية ولسيكلوجية الناطقين
بها .

ومن يحفظ كتابه هذا يكون بليغا فى العربية بارعا فيها وفى مجالات
استعمالاتها المتعددة وتلك القوانين لم يتوصل لها اللغويون المحدثون الا
قريبا ولا استبعد أنهم استفادوها من تراثنا .

وقد قسم هذا الكتاب أقساما وابوابا ومباحث وفصولا - وهذا آخر
كتاب أحوال الانسان من لدى صغره الى كبره والله الحمد - وبعده جاء كتاب
الطعام والشراب - وهكذا بقية الاقسام تتناول شئون الحياة وشئون الانسان
ومجموع كل مايتصل بها من تعبيرات تسهل على من يريد التحقن أن يكون
طلعا الخ ..

وقد كانت حياة البدوى تستثيرها مجموعة كلمات ٠٠٠ / ٠٠٠ فقد ارتبطت حياتهم بما يثيره تداعى الكلمات من معان ٠٠٠ فالخطيب ينطلق بنسق من الكلمات فى بناء لغوى محكم فيتم الصلح بين المتخاصمين ٠٠ أو يحضهم على مكارم الأخلاق فيستجيبون ٠٠٠ أو يستثير فيهم الحمية والنخوة - أو يسيرهم الى الحرب ٠٠ / ٠٠ وهكذا .

وهذا كله يخضع لقوانين علمية يحيط بأبعادها علماء علم النفس اللغوى ٠٠ ويطبقونها على مختلف المجتمعات . والبيئات ٠٠ / ٠٠

فمن المعلوم لدى النفسيين أن لتداعى الأفكار تأثيرا فى الانفعال والتفكير والارادة ٠٠ / ٠٠ وأن لتداعى الافكار تأثيره ، فى الحياة الانفعالية ٠٠ وتأثيره فى الحياة العقلية ٠٠ وتأثيره فى الارادة (١) .

وأن الصور المقترنة بعضها ببعض تؤلف مجموعات خاصة فإذا استرجعت احدى الصور استرجعت معها جميع الصور الأخرى التى تؤلف معها كلا لايتجزأ

ويرجع علماء النفس ذلك الى أنه لا يوجد فى النفس عنصر شعورى مستقل عن غيره من العناصر بل العناصر الشعورية داخلة بعضها فى بعض - وتتألف من اتصالها وتداخلها مجموعات نفسية منشقة الاجزاء (٢)

وهذا يخضع لما يعرف فى الدراسة النفسية بقانون إعادة التكامل أو
Loi de réintégration ٠٠٠ عودة المجموع الشعورى

ومما يراه علماء النفس أن تداعى الأفكار يخضع للانتباه الإرادى لأن الصور النفسية العفوية لا تتبع نظاما مطردا بل يتسلسل بعضها وراء بعض من غير هدف ثابت فإذا سيرها الانتباه الإرادى اتبعت غاية معينة وأعانت النفس على التفكير .

(١) اقرأ ذلك مفصلا فى علم النفس لجميل صليبا ص ٤٢٨ / ٤٢٩ .

(٢) السابق ص ٤٢٩ -

فالتداعي يبعث المعانى ، والفكر يتصرف فيها وينظمها ..
وقد أجرى العلماء تجارب متعددة لمعرفة حقيقة التداعي ، واعتمدوا في
تجاربهم على مآثره الالفاظ من تداع : ..

وهناك تجارب تداعي حر ..

وتجارب تداعي مقيد ..

وقد كان المجرب يلقى على الشخص كلمة من الكلمات ويطلب منه أن
يجيب عنها بكلمة تخطر على باله وهذا هو التداعي الحر ..

وفي حالة التداعي الحر عندما يتلفظ المجرب أمام الشخص بكلمة
ويطلب منه أن يذكر الكلمات أو الكلمة التي تخطر بباله .. أو يطلب منه
الاستسلام الى خواطره .. تناسب الخواطر انسياجا حرا مستمدة امتداد
حركتها من الأصل .. / .. وهذا ماتخضع له المجموعات السابقة عند
الشمالي في كتابيه .

ويستطيع المجرب بعد ذلك أن يضيف الألفاظ التي حصل عليها فيجد
منها مجموعات متشابهة ترجع رابطتها في كثير من الاحيان الى قوانين التداعي
الاساسية وهذا ما اعتمد عليه العربى في باديته .

وما توصل اليه علماء العربية الاوائل .. وقدموا ما يعين عليه في
مصنفاتهم مما يخدم حفظ العربية وتعلمها .. ويمد المتكلم بالعربية في مجال
حديثه بثراء لغوى معينة على صنع ما يشاء من فواصل - أو قوافي أو أوزان
متخيرة .. وغير ذلك مع طلاقة اعتزبها العربى وتفاخر .

أما بخصوص التداعي المقيد فان المجرب يتلفظ أمام الشخص بكلمة
معينة ويطلب منه أن يجيب عنها بكلمة موافقة لقاعدة يصنعها .

وهذه أيضا يمكن الاستفادة منها في تعلم اللغة العربية وحفظها مما
يتلاءم مع مانحن عليه الآن من تطور لاسيما وأن للاهتمام اثره في التفكير
وفي التأمل .. وأن طبيعة الحياة اختلفت وطبيعة الاستعمال اللغوى تنوعت .
والعربية صالحة لكل العصور والبيئات زمانيا ومكانيا وفكريا واجتماعيا ،
وثقافيا وهكذا

فما يراه علماء النفس ان التداعي يختلف باختلاف الحالات وأنه تابع لقانون الاهتمام ..

وخلاصة هذا القانون :

لاتصطنع حالة نفسية ولا ترجع على غيرها من الحالات الممكنة الا اذا كانت متناسبة مع الاهتمام الحاضر - فكما أن الاهتمام وفاعلية النفس يؤثران في التداعي .. كذلك يؤثر الاهتمام في الحياة العضوية وفي حياة التفكير والتأمل .. ، وفي التفكير الخلقائى ..

وعوامل الاهتمام ثلاثة هي :

● الشدة ..

● والنزعات الغريزية والميول المكتسبة ..

● والمشاغل الحاضرة ، وهذا يمكن ان يستفاد منه وفق دراسة مخطط لها على أسس ذات أهداف مرسومة .. وعلى سبيل التمثيل ففي أثناء الحديث أو القراءة فاننا لانفكر الا في معنى العبارة وما يتصل بها .. أو الحوار - الى آخره كما اننا لاندرك من معاني الالفاظ الا مايناسب سياق الكلام نندرك من معاني اللفظ مايناسب الموقف ومشاغل الفكر ونهمل ما يخالف ذلك من معانيه وقد تتعدد المعاني نحو ما هو معروف في المشترك اللفظي وغيره .

وكل هذه الحالات استفاد منها العربى وتنبه علماء العربية الأوائل لقوانينها وان لم ينصوا عليها صراحة ... ولا سيما مايتصل بالتداعي ..

- سواء تداعى الأفكار الحادثة معا : وذلك عندما تجتمع عدة حالات يتكون منها كلا واحدا وعندما تبعث احداها تجذب اليها غيرها، من أمثالها المتئمة لها ...

- أما التداعي المتتالى : وهو استدعاء حالة أخرى مخالفة عنها واستدعاء ثانية لثالثة ... وهكذا بحيث يتألف من الجموع سلسلة متصلة الحلقات ... ولا تتوقف هذه السلسلة عن الجريان .. / .. وكل هذا

يجب أن ينسخر في دراسة يستفاد منه بما يتواءم مع طبيعة العصر وفق
تخطيط ودراسة يجب أن يلزم بها المتخصصون أنفسهم .

ويتضح للدارس الاستفادة التامة من قوانين التداعي الثلاثة وقد استفاد
منها العربى بالفطرة واللغوى القديم وهى :

(١) قانون الاقتران : وذلك عندما يتم ارتباط اقترانى بين حالتين فاذا خطرت
احدهما بالبال اقترنت بها الثانية .. وهكذا

(٢) وقانون المشابهة : وقد وضحته أمثلة كثيرة مما مر فالأحوال المتشابهة
وكذلك الأشياء المتشابهة ومثلها الكلمات وغيرها ..
يدعو بعضها بعضا

(٣) وقانون التضاد : فالأشياء المتضادة أو المتباينة وكذلك الكلمات وغيرها
يدعو بعضها بعضا ...

وقد يرجع للتضاد اما الى المشابهة أو الى الاقتران

كما أن المشابهة ترجع الى الاقتران
وكل هذه القوانين تمت الاستفادة منها بطريقة نظرية عفوية أما الآن ونحن
في عصر العلم فيجب الاستفادة وفق دراسة وتخطيط مع تسخير بقية القوانين
والاستفادة منها في العمليات الذهنية المختلفة .

وان عملية الاسترجاع Recall نفسها هى الأخرى تخضع
لقوانين وقدم العلماء فى ذلك نظريات : (٢)

فهناك نظرية العناصر التى قدمها ثورنديك
وملخصها أن انتقال اثر التدريب يحدث بين موقف وموقف آخر على أساس
ما يوجد من عناصر متماثلة فى الموقفين ... وكلما زادت هذه العناصر زاد انتقال
اثر التعلم ... وكلما قلت قل هذا الانتقال

(١) أنظر سيكلوجية التعليم ونظريات التعلم ص ١٨٠

(٢) السابق ٢٠٧

وهناك كذلك نظرية الأنماط المتماثلة التي فسرها أصحاب مدرسة الجشطالت سبب انتقال التعلم بين موقف وموقف ولو لم تكن المكونات واحدة. وذلك إذا حدث تشابه بين النمطين أو الصيغتين الكليتين ٠٠٠. ويسند هذا الرأي إلى انتقال أثر التدريب وفقا لنظرية تشابه الأنماط .

وان اكتساب البنيات المعرفية Acquisition of Cognitive Structures
مثل اكتساب العادات Acquisition of habits خاضع لقوانين
يدرك الباحث بسهولة أن العربي استفاد منها بفطرته وأن علماء العربية
القدماء توصلوا إلى معرفتها وأن لم ينصو عليها فقد استفادوا منها وأثرها
في مصنفاتهم :

ومن أمثلة ذلك :

قانون العناصر الأساسية : Law of Prepotency

ومفاده أن الفرد قادر على أن ينتقى العنصر الهام في الموقف وأن يوجه
استجابته إليه . . وهنا تكمن القدرة على معالجة أجزاء الموقف الهامة

وكذلك قانون الاستجابة بالمماثلة Law of Assimilation or Analogy
ومفاده أن الإنسان يستجيب للمواقف الجديدة على أساس خبرته في
المواقف المماثلة .

وكذلك قانون نقل الارتباط Law of Associative Shifting

وقانون الانتماء Law of Belongingness فإذا انتمت الاستجابة
إلى الموقف سهل تعلم الارتباط وتكون الآثار اللاحقة للارتباط أقوى تأثيرا
إذا انتمت إلى الارتباط الذي تقوية ففي مجال المفردات الكلمة تبحث
عما يرتبط بها مثلا البديل عن المبدل منه - الصفة عن الموصوف -
المبتدأ عن الخبر - الجار عن المجرور . . .

وكذلك قانون التجمع ومفاده أنه يسهل على الارتباطات أن تسلك الاتجاه
الذي تكونت فيه أو سلكته من قبل

ومثله قانون التعرف Recognition فالعناصر التي يتعرف عليها الانسان في موقف يسهل عليه التعرف عليها وادراكها نتيجة لخبراته السابقة

وكذلك قانون اليسر : فيسر الاستجابة تسهيل تكوين الارتباطات - ويمكن ضبط تكوين الارتباطات ضبطا علميا متى أمكن تمييز الموقف والتعرف عليه

ويقارن تورنديك بين الحالات العقلية وبين التعود البسيط فمثلا اذا قلنا كلمة لشخص واستجاب لها بكلمة مباشرة فقد ينظر الى هذه على أنها عادة بسيطة أما اذا استجاب لها بكلمة غير مباشرة فقد تدل هذه الاستجابة على حالة عقلية خاصة ..

وتميل تجارب تورنديك حول هذه النقطة الى أن تبين أن الغالبية من الارتباطات التي نحصل عليها عن طريق التداعي الطليق تبدو صادرة عن حالات عقلية .

ولا يكفي في تفسيرها أن تقول ارتباطات بين مثير واستجابة ..
وعكذا نخلص من العرض التحليلي التطبيقي لاعمال علماء العربية القدماء بحقائق من أهمها :

انهم كانوا روادا وان مباحثهم اصطفت بالعمق والاصالة وان اللغة بالنسبة لهم كانت كالهواء الذي يتنسون والماء الذي يشربون فقد جرت في دمائهم وتمثلوها في عقولهم وعروقتهم وانهم فقهوها كاعمق ما يكون فقه اللغة وبنوا على فقههم لها نظريات هي اليوم من احدث ماوصل اليه اللغويون وكل ما قدموا من اعمال يكمن وراء كل عمل بعد اظاهرة لغوية يمثل نظرية تكشف عن خاصة من خصائص العربية وتسهم في اثراء علم اللغة من ناحية اخرى - ولا سيما ما جاء في كتاب الخصائص لابن جني فقد خبيء داخل صفحات هذا الكتاب كنوز من المعرفة اللغوية الرائدة والتي ستبقى لبنا الريادة والاصالة والسبق في كل عصور التقدم العلمي اللغوي لذا نكرر الدعوة اثني سطرتها في خاتمة هذا الكتاب وهي الدعوة الى الدراسة المتأنية لما أشتمل عليه كتاب الخصائص لابن جني وكذلك دراسة غيره من النفائس اللغوية التي انتجها العقل الواعي المخلص من اسلاف هذه الامة ، والحمد لله رب العالمين -

الختام

أمران اثنان صفوة ما انتهى اليه هذا البحث و خلاصته

أولهما : نظريات لغوية وحقائق علمية عند أسلافنا كشف عنها من خلال.
معايشة التراث ومعارفاته :

وثانيهما : ما يقدمه من توصيات ويراه من مقترحات ..

وأما بخصوص الأمر الأول ، فإن أبرز الحقائق العلمية ماكشف عنه
أسلافنا من نظريات لغوية وتوصلوا اليه من حقائق علمية هي اليوم عند
الغربيين من أحدث ما انتهى اليه الدرس اللغوي في هذا الصدد ..

ومن ذلك على سبيل التمثيل :

● نظرية الفونيم Phoneme فان أصول هذه النظرية وأسسها في
تراثنا وهي فيه ذات أبعاد ومراحل ومستويات لم يتوصل الغربيون حتى
اليوم اليها بل أن البحث قد توقف بهم عند المرحلة الأولى منها فقط ، وهي
تلك المرحلة التي تختص بدراسة الوحدة اللغوية الصوتية الصغرى التي
يتغير بموجب تغيرها معنى الكلمة عن بقية معانى الكلمات الأخرى التي اشتركت
معها في كل مكونات البنية واختلفت في هذه الوحدة الصغرى فقط ... حقا
قد توصلت الدراسة اليوم الى تفريعات لها من العمق والدقة ماجعل النظرية
تقوم على أسس ومبادئ تشهد بعمق الفكر اللغوي الحديث وحصافته .

وان عدم توصل الدراسات اللغوية الحديثة الى بقية المراحل والمستويات
الخاصة بهذه النظريات على نحو ما هو وجود عند أسلافنا في التراث راجع
الى انبثاق هذه النظرية عن اللغة العربية وارتباطها بخصائصها .. على
نحو ما ظهر ذلك من دراسة باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعانى من كتاب
الخصائص لابن جنى ، فقد تبين منه أن هذه النظرية عند ابن جنى ذات
مراحل ومستويات .

المرحلة الأولى : هي مرحلة الوحدة الصوتية الصغرى Unit التي بموجب تغيرها يتغير معنى الكلمة عن معنى غيرها من الكلمات التي اتحدت معها في كل المكونات وهي التي سبقت الإشارة إليها . . . وقد تأنى هذه الوحدة المفردة في البداية وقد تكون في الوسط وقد يكون موقعها في النهاية فيتغير بموجب تغيرها المعنى . .

وعند هذا المستوى أمدت خصائص العربية ابن جنى بنظرات استناد منها بقوانين متنوعة على جانب كبير من الأهمية أفرزتها دراسته المتمعة في العربية وإن لم يذكر اسم هذه القوانين صراحة أو ينص عليها . .

ومن هذه القوانين على سبيل التمثيل قانون التشابه Law of Similarity وقانون التقارب Law of Proximity وقانون التبعية Law of Belongingness فتوظيف هذه القوانين في العربية عند هذا المستوى من مستويات تلك انظرية يكشف عن سيكلوجية الناطقين بالعربية وعبقورية العربية في استجاباتها لهذه السيكلوجية . . / وهذا ما كشفت عنه دراسة ابن جنى في فهم تام للغة ومعايشة كاملة لها .

وأمدت خصائص العربية هذه النظرية بمرحلة ثانية تختص بدراسة وحدتين صوتيتين يتغير بموجب تغيرهما معنى الكلمة عن بقية الكلمات التي اتحدت معها في وحدة واحدة من وحدات البنية واختلفت في هاتين الوحدتين على أن يكون بين هاتين الوحدتين المعنيتين المختلفتين تقارب في الخصائص الصوتية أو المخرج أو الصفات أو غير ذلك مما تودى بناء عليه القوانين السابقة دورها الوظيفي في التقريب بين دلالات تلك الكلمات وهو ما سماه ابن جنى « تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني » - وكذلك عند المرحلة الثالثة حيث تؤدي هذه القوانين وظائفها ويظل التقارب بين الحروف في الخصائص والصفات الصوتية أو في المخرج يقرب بينها في الدلالات على الرغم من كون الوحدات الصوتية الصغرى كلها وحدات مختلفة للمعنى - وتعد هذه من خصائص العربية المميزة لها لذا لم تصل الدراسات اللغوية عند الغربيين في هذه النظرية الى هذه المراحل . . وقد يحدث أن تتوصل لها في يوم ما وعندها يظل للدراسة اللغوية العربية دورها الريادي

كما قدم باب السلب عند ابن جنى بعدا خاصا باللغة العربية داخل هذه النظرية أيضا « نظرية الفونيم » لم تتوصل له الدراسة لدى المحدثين حتى الآن

وخلاصته ان زيادة تطرا على الكلمة فتكسبها معنى مضادا لما عليه معانى أصل المادة ٠٠ وقد تكون هذه الزيادة (الوحدة الصوتية الزائدة) حرفا أو تضعيفا أو حركة قصيرة قد تطول مثلا ٠٠٠ / ٠٠٠ فيتحول المعنى بوحدة من هذه مثلا الى المعنى المضاد - وأطلق على هذه اسم ظاهرة السلب من قبل أن السلب معنى حادث على اثبات الأصل الذى هو الايجاب - ويعلل لذلك بقوله ، « فلما كان السلب معنى زائدا حادثا لاق به من الفعل ما كان ذا زيادة من حيث كانت الزيادة حادثة طارئة على الأصل الذى هو الفاء والعين واللام - فالسلب تحدثه عنده وحدات لغوية تزداد على الكلمة فتكسبها معنى مضادا . فتلاقت هذه الوظيفة مع وظيفة الفونيم - فكما أن وظيفة الفونيم التمييز بين الكلمات وإعطاؤها فيما للغوية مختلفة أهمها القيمة الدلالية وقد تكون لها قيمة صرفية أو نحوية - فان وظيفة السلب اعطاء قيمة دلالية للكلمة - وهي قيمة الضدية .

فهذا الباب عند ابن جنى لصيق بنظرية الفونيم لأن الذى تححثه أنواع من الوحدات اللغوية الصغرى على اختلاف أنواعها ما بين حرف أو صوت أو زيادة فى الكمية بتضعيف الصحيح أو اطالة حركة (العلة) أو صفات صوتية اخرى ٠٠ / ٠٠

ومن خلال دراسة ابن جنى لهذا الباب وضع بين أيدينا منهجا وقدم نماذج تحتدى فى الدرس اللغوى فضلا عن أنه كشف خاصة من خصائص اللغة تسهم فى النظرية اللغوية العامة ٠٠ / ٠٠

أما عند باب تلاقى المعانى على اختلاف الاصول والمباني فقد قدم ابن جنى فى وعى علمى نظريات تثبت استفادته من معاشة البيئة اللغوية زمانيا ومكانيا فى احاطة واعية بسكولوجية العربية والمتحدثين بها ٠٠ / ٠٠ فمن خلال ظاهرة الترادف ومايتصل بها أعطى فى نظرات بارعة أبعادا

جديدة نحن اليوم في حاجة الى متابعتها لاسيما وقد تباعد العهد بيننا وبين الناطقين الأولين للغة العربية وتغيرت البيئة اجتماعيا وحضاريا وتغيرت معها الدولات وارتبطت بمفاهيم جديدة مستقلة عما انبثقت عنه ..

ويرى ابن جنى أن هذا الباب وباب الاشتقاق عنده (الصغير والكبير) متكاملان. غير أن هذا الباب اهم من صاحبه وهو على حد عبارته اشرف الصنعتين وأعلى المآخذين .

وقد اتضح من خلال دراسة هذا الباب عذد ابن جنى أنه تتبع في وعى وبصيرة مرحلة وضع الصياغة ومرحلة الكشف عنها واعتبر ان هذا العمل وما يتصل به هو فقه اللغة ويجب أن تستخدمه الباحثين من أجله وان الكشف عن جانب المشابهة والمطابقة من خلال الرمز الصوتى الخاص بالنظام اللغوى هو من أهم مايجب أن يشغل بال اللغوى ... / ...

فقد تتبع في هذا الباب عملية وضع الصياغة والكشف عنها طبقا لنظام الرموز المتعارف عليها في اللغة العربية .. وعرضه من خلال فهمه التام لتعامل العربى مع الحركات الحسية والمنوية التى يعايشها .. وهكذا استطاع أن يبين في وعى كيف أن بنية اللغة تقوم على بنية الوجود المحيط بها وعلى بنية الفكر البشرى المستعمل لها ..

وتستوعب نظريته في هذا مايراه المحذثون من نظريات خاصة بالحالة العقلية للكلام ووظائفه من حيث الرمز والمحتوى العقلى والشيء نفسه مع مايتصل بذلك من مراحل وينبثق عنها سواء مرحلة الوضع أو النقل أو التداول أو التسبوع أو الاضمحلال أو التطور ... الخ .

وعلى الادراك الحى للغة المنطوقة ... أو على تفسير الرموز الصوتية ... ويتضح عند ابن جنى أن الكلمة تدل على الفكرة أى على الحلول النفسى الذاتى وعلى الشيء المحسوس الواقعى فى الخارج وأن المعنى الداخلى يشير الى مقابل خارجى فى الحياة الواقعية وأن المعنى الخارجى يحدد دائرة الكلمة المستعملة

ويفهم من عمل ابن جنى أنه يميز بين العناصر المكونة للمعنى سواء عنصر المدلول وهو المقابل للكلمة في عالم الواقع ماديا كان أو معنويا - وكذلك عنصر الانفعال الوجداني وهو شعور المتكلم نحو الشيء وكذلك العنصر المنبثق عن السابقين ... وعنصر القصد ... الخ .

ومن عباراته أن الاصول مختلفة والامثلة متقاربة والمعاني من ذينك متلاقية .. فالاصول مختلفة باختلاف الاشياء المتأخوذة عنها - والامثلة متقاربة لأن رموزها الصوتية تؤدي وظائف متحدة أو متقاربة والمعاني متلاقية عن طريق الربط الذهني والمحتوى العقلي .. / ..

أما مايتصل بنظرية ابن جنى وراء الاشتقاق بنوعية (الصغير والكبير) فإن ابن جنى يعرض من خلال هذا الباب كشافا ويقدم منهاجا يحدد أبعاد الاشتقاق ووظيفته سواء على مستوى الصيغ أو مستوى الدلالة وبين أمكانية الاستفادة منه وأبعاد منفعته - ويقول عنه أنه يرفدك عند الحاجة - وأنك تستطيع أن تسترفده في بعض الحاجة اليه فيعينك ويأخذ بيدك قورا فكرة الاشتقاق عند ابن جنى نظرية منبثقة من الأخرى عن خصائص العربية ولايقف عند الحد الذي يعرفه اللغويون المحدثون بالايتمولوجي Etymology ووظيفته في ذلك .

كما أن ابن جنى سبق المحدثين وهو بصدد دراسة هذا الباب عندما استخدم الاحصاء فجعل الاحصاء من أركان دراسة الظواهر اللغوية فيبين أن الحكم على الظاهرة اللغوية يكون من خلال تتبعها وعمل الاحصائية اللازمة بها وبيان ثمرة دراستها ..

كما بينت أيضا أن العربية تنفرد بخصائص بين اللغات - ومن هنا وجب على الدارسين اللغويين المحدثين ألا يكتفوا بتطبيق النظريات اللغوية الحديثة على العربية وإنما يجب التعمق فيما تنفرد به العربية من خصائص داخل هذه النظريات

وقدم ابن جنى كذلك في ضوء البحث التحليلي التطبيقي الذي عرض له القسم الثاني من هذا الكتاب نظرية لغوية عامة وقد اعانه على صياغتها والتمثيل لها ورسم حدودها الطبيعية التصريفية الاعرابية للغة العربية وذلك

من خلال باب في امساس الالفاظ اشباه المعانى - وباب في قوة اللفظ لقوة المعنى .
- فقد تم نظرية البنيات الشكلية التى تنطوى على دلالات معنوية وقد احتدى ابن جنى سمت ماحده الخليل وسيبويه فى ذلك ومنهاج مامثلا فاجبرز الدور
الوظيفى الذى يمكن أن تؤديه البنيات الشكلية القابلة لان تصب اى مادة لغوية داخلها فتتشكل على هيئتها - فمثلا المصادر الرباعية المضعفة توضع فى
اى مادة داخل بنيتها تنيد تكرير مادة البنية - كما أن وزن الفعل فى المصادر والصفات كقالب شكلى معين تصب داخلة المادة فتفيد السرعة - فهو يعطيك
صيغا شكلية قابلة لأن تستجيب لآى أصل وليست وفقا على أصل واحد لمادة واحدة . .
وقدم فى ضوء هذه النظرية عشرة نماذج للغة العربية فى باب امساس الالفاظ اشباه المعانى وبذلك أوضح معالم منهج ورسم طريقا يحتذى فى البحث العلمى له نماذجه وأمثلته منها مايتصل بالصناعة أى التصريف واشتقاق الصيغ ومنها مايتصل بالدلالة والمعنى - وميز الطريقتين الصناعة وطريق المعنى - وترك
منهجا واضح المعالم أو على حد عبارته « فهذا طريق المثل واحتياطاتهم فيها بالصناعة ودلالاتهم على الارادة والبغية » .

وفي باب قوة اللفظ لقوة المعنى ابرز بعدا آخر من ابعاد هذه النظرية واعطى امثلة لنماذج أخرى متعددة داخل أنواع أخرى من الصيغ الشكلية التي يتغير بموجبها معنى أى مادة توضع بداخلها - وتشير عبارته الآتية الى أحد أبعاد هذا الباب وان لم تغن عما جاء بخصوصه من دراسة وتحليل يقول : فاذا كانت الاوزان أدلة المعانى ثم زيد فيها شيء او جبت القسمة له زيادة المعنى به ، وكذلك أن انحرف به عن سمته وهديته كان ذلك دليلا على حادث متجدد له وأكثر ذلك أن يكون ماحدث له زائدا فيه لامتقضا منه -

ويعتبرا ابن جنى رائدا في القوائب اللغوية العامة والبنيات الشكلية التي تستجيب لها الدلالة وتتغير بمقتضاها المعانى - من خلال صيغ صرفية ذات أوزان صالحة لأن تستجيب لها تتضمنه من معان .

ويعتمد ابن حتى مايعرف اليوم في علم اللغة باسم نظرية **La morphonologie** ou **la morpho-phonologie** ومكنت العربية بطبيعتها التصريفية الاعرابية على صياغتها والتمثيل لها واعطاء للنماذج المتعددة لكل بعد من أبعادها .

ومن خلال النماذج التطبيقية التحليلية التى جاءت من كتاب فقه اللغة للثعالبي كشفت عن نظريات لغوية تعليمية ، اى أسهمت فى الفظرية التعليمية اللغوية وكشفت عن قوانين علمية يستفيد منها المتخصصون اليوم فى هذا المجال ..

وثبت كذلك أن استخدام كلمة فقه اللغة عند علماء العربية على نحو ما جاء فى التراث على قلتها لها دلالة عميقة ذات طابع تنظيرى لا يقدم عليه الا من وصل الى مرحلة أعلى من مرحلة حفظ اللغة أو جمعها أو التأليف فيها .

أنها أعلى مرحلة فى الدراسة اللغوية أنها المرحلة التى يثبث فيها اللغوى بأن لديه المقدرة على أن يغوص فى أعماق اللغة وفيما هو أبعد ليقدم نظريات تكشف عن أغوار وابعاد عميقة فى اللغة غير بادية للمتخصص العادى - أو يقدم نظريات تسهل امتلاك زمام اللغة ومعرفة دخالها واسرارها على نحو ما يتضح ذلك من النص الذى جاء من خلاله عبارة فقه اللغة عند ابن جنى ، ومن كتاب الصاحبى فى فقه اللغة لابن فارس ، ومن كتاب فقه اللغة وسر العربية للثعالبي ، وتلك هى الكتب التى تعرضت لهذا المصطلح وكشفت عن دلالاته لديها ...

وخرجت هذه الحقائق من خلال البناء الذى جاء عليه الكتاب على النحو القائم حيث قدم القسم الاول من الكتاب العرض العام للقضية الرمزية وما اتصل بها فقد عرض عرضا عاما لطبيعة العلاقة بين الدال والمحلول منذ عصر اليونان وما اتصل به - ثم عرض بعد ذلك للقضية فى الفكر الغربى المحدث ومساراتها وما انتهت اليه ثم عرض القضية بعد ذلك فى الفكر العربى الاسلامى فى القديم والحديث وناقش من خلال هذا العرض ما عن لنا من قضايا وما أثير بخصوصها من آراء على المستوى اللغوى والفلسفى .

وانتهى الى مقترحات وتوصيات من أهمها :

- وجوب اتباع المناهج العلمية فى الدراسة فقد قدم علماؤنا الأوائل أعمالهم من خلال مناهج علمية تسير على أسس صحيحة ضمنت لهم الوصول الى حقائق ونتائج خلدت عبر الزمن ومن أسف أننا مازلنا نجد كثيرين من المحثين بيننا لا يتبعون المناهج العلمية فيجب على بعض المعاصرين من

علمائنا البعد عن الجانب العاطفي والتخفيف من حدة الانفعال في مجال البحث العلمي فانه بالرغم من الانطباع الذي يتركه مثل هذا على القارئ والذي بسببه تصنع هيبة الباحث ووقت القارئ وجهده فانه يضيع بسببه كذلك الطريق الصحيح في البحث ووقتوه الحقائق على الباحث نفسه .. وتجعلنا نظهر أمام الآخرين في صورة المعصوبين المتعصبين وأخطر ما في ذلك كله أننا نضيع جهد السلف وهذا هو غاية مايرجوه اعداؤنا .

- ومن أهم مانوصى به دراسة ماجاء في كتاب الخصائص لابن جنى دراسة واعية متأنية يبذل في سبيلها الجهد والوقت فالذى اشتمل عليه هذا السفر الجليل يرخص في سبيلة كل جهد ومال ووقت فقد خبئت فيه كنوز من النظريات اللغوية تكفل لنا التقدم في هذا الحقل لعدة أجيال وتحفظ لنا الريارة وأن مافيهها من عمق وأصالة يصنع أسسا متينة لاقامة دراسة لغوية تخدم علم اللغة العام وعلم اللغة النفسى وعلم فلسفة اللغة فهذا السفر منبع أصيل للدراسة اللغوية الحديثة ولانظريات تضمن لنا الريارة في مجال التقدم العلمى ..

وفوق كل هذا فانه من خلال نظريات هذا الكتاب يتم الربط الوثيق بمناابع اللغة العربية وبيئتها الأولى وخصائصها المميزة التى من خلالها تتكشف عبقرية اللغة العربية التى تكشف عن عظمة الاعجاز اللغوى فى القرآن الكريم وهو مايهون في سبيلة كل غال ..

ونوصى كذلك بدراسة ماجاء في كتاب فقه اللغة وسر العربية للثعالبي واستنباط كل مااحتوى عليه من نظريات تعليمية وحقائق علمية والاستفادة من المادة التى اشتمل عليها وتسخيرها ليتم النفع بها وتقديمها في ثوب مفيد نافع لأجيال الامة الحاضرة والقابلة -

وكذلك الاستفادة بما جاء في كتاب الصاحبى في فقه اللغة لابن فارس فقد اشتمل هذا الكتاب على نظريات لغوية ذات نفع وأهمية وأبناء الامة وأجيالها في المستقبل في حاجة لها ولان يقدم لهم في ثوب يسهل عليهم تناولها

والاستفادة منها فما أحرانا الى أن نهتم بتثقيف أبناء أمتنا الثقافة الأصيلة
التي تعينهم على مواجهة تلك التيارات الثقافية المختلفة الوافدة عليهم
والعاصفة بهم من كل جانب ..

ونوصي بالاضافة لما سبق باحياء تراث ابن فارس ولاسيما كتابه
مقاييس اللغة ومجمل اللغة فما أحوجنا الى دراسات لغوية تتام حول كل
واحد منهما نحى من خلالها في العربية أعظم ما اشتملت عليه ونقدم النفع
لنا ولها ونحى في الامة تراثها ونعمق في ابنائها الاصاله وندجلهم على ذكر
دائم بكنوز العربية وعاء القرآن فيعم النفع وتنعم الصلة ويروج الاستعمال
اللغوى الاصيل وتفتح معانى القرآن في النفوس والاذهان فيصلح آخر
الامة بما صلح أولها -

ولله الحمد في الأولى والآخر وهو حسبى

عليه توكلت واليه أنيب

من مراجع الكتاب ومصادره

أولاً : المراجع العربية : -

- ١ - إبراهيم أديس (الدكتور) •
 - من اسرار اللغة - مكتبة الانجلو المصرية •
 - في اللهجات العربية - مكتبة الانجلو المصرية •
 - دلالة الألفاظ •
 - الأصوات النغوية - مكتبة الانجلو المصرية •
- ٢ - ابن الأثير (ضياء الدين محمود بن محمد عبد الكريم الشيباني) : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر • تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد • مطبعة البابي الحلبي مصر ١٣٥٨ هـ •
- ٣ - ابن جنى (أبو الفتح عثمان)
 - الخصائص (ثلاثة أجزاء تحقيق محمد علي النجار دار الكتب المصرية ١٩٥٢ / ١٩٥٧ ط ٢ دار الهدى للطباعة والنشر بيروت - لبنان •
 - سر صناعة الإعراب : تحقيق مصطفى السقا - ومحمد الزفزاف وإبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ط ١ دار نشر إدارة الثقافة العامة بوزارة المعارف - دائرة أحياء التراث القديم - مصطفى البابي الحلبي بمصر ح ١ / ١٣٧٤ هـ ١٩٥٤ م •
 - الاحتساب في تبين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها تحقيق : علي النجدي ناصف ، د • عبد الفتاح شلبي • المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة ١٣٩٨ •
- ٤ - ابن قارس (أبو الحسن أحمد : ت ٣٩٥ هـ) •

- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها (بيروت لبنان ١٩٦٤ م).
- مجمل اللغة - دراسة وتحقيق : زهير عبد الحسن سلطان (ط ١ - بيروت - ١٩٨٣) .

- مقاييس اللغة - تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون - ط دار الكتب العربية (عيسى الحلي ١٣٨٦ هـ) .

- مجمل اللغة - دراسة وتحقيق : زهير عبد الحسن سلطان (١ - بيروت - ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) .

- ٥ - ابن دريد (محمد بن الحسن) .
- جمهرة اللغة .

- ٦ - ابن سيده (أبو الحسن علي بن اسماعيل) .
- المحكم في اللغة - المطبعة الاميرية بالقاهرة -
- المخصص ط بولاق ١٣١٦ هـ / ١٣٢١ هـ .

- ٧ - أبو بشر عمرو عثمان بن قنبر (سيبويه) ت ١٨٠ هـ تقريباً .
- الكتاب - تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون .
- ٨ - أبو طاهر محمد بن حيدر البغدادي المتوفى سنة ٥١٧ هـ : قانون البلاغة - في نقد النثر والشعر تحقيق د . محسن عجيل مؤسسة الرسالة .

- ٩ - ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري) .
- لسان العرب .

- التنبيه والايضاح - المعروف بحواشي ابن بري على الصحاح الاصل
- الخامس من أصول اللسان - نشر مطبوعات مجمع اللغة العربية - طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٠ - تحقيق الاستاذ مصطفى حجازي - ومراجعة الاستاذ علي النجدي ناصف .

- ١٠ - ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن محمد) المقدمة تحقيق د . علي عبد الواحد وافي ط ١ لجنة البيان العربي ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م .

١١ - ابن مجاهد .

- كتاب السبعة في القسرات - تحقيق . د . شوقي ضيف نشر دار المعارف بمصر ١٩٧٢ .

١٢ - ابن هاشم (أبو محمد عبد الله بن يوسف الأنصاري) .

- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب - الطبعة الاولى .
- طبعة ثانية - حققه فيها وفصله وضبط غرائبه - الأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد - جزاءن - القاهرة .

١٣ - أبو الحسن الهنائي - ت ٣١٠ هـ .

- المنجد في اللغة . أقدم معجم شامل للمشتراك اللفظي - تحقيق د . أحمد مختار عمر - ود . صاحي عبد الباقي .

١٤ - ابن الجزري (شمس الدين محمد بن محمد) .

- النشر في القراءات العشر - المكتبة التجارية .

١٥ - أبو الحيان التوحيدي .

- الامتاع والمؤانسة .
- المقابسات .

١٦ - أبو هائل العسكري : الفروق في اللغة - دار الآفاق الجديدة بيروت ط ٤
١٤٠٠ / ١٩٨٠ م

١٧ - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف - الخوارزمي

- كتاب مفاتيح العلوم - تحقيق فان فولتن بريل ١٩٨٥ م .

١٨ - أبو منصور عبد الله بن محمد بن اسماعيل (الشعلي) .

- فقه اللغة وأسرار العربية - ط الطبعة بمصر ١٣١٨ هـ .

– فقه اللغة وسر العربية للإمام أبى منصور اسماعيل النيسابورى ٤٢٩ هـ
تحقيق مصطفى السقا ، و ابراهيم الابيارى وعبد الحفيظ شلبي ط ١٣٩٢ هـ
١٩٧٣ م .

– فقه اللغة العربية للإمام أبى منصور اسماعيل النيسابورى ٤٢٩ هـ
/ ١٠٣٨ م غير محدد الناشر ولا سنة النشر .

– سحر البلاغة وسر البراعة .

٣٠ – أبو منصور وهوب بن أحمد (الجواليقى) .

– المغرب من الكلام الاعجمى – طبع دار الكتب المصرية – الاستاذ أحمد
محمد شاكر .

٢١ – أبو الطيب الثغوى ، عبد الواحد بن على الحلبي : الاضداد فى كلام العرب
تحقيق د . عزة حسن . دمشق مطبوعات الجمع العلمى العربى ١٣٨٣ هـ
/ ١٩٦٣ م .

٢٢ – أبو القاسم محمود (الزمخشري) .

– أساس البلاغة – طبعة دار الكتب المصرية – القاهرة ١٣٤١ هـ .

٢٣ – ١٠١ . أيفانز – بريتشارد : الأنثروبولوجية الاجتماعية – علم الانسان
الاجتماعى . ترجمة . د . أحمد أبو زيد الخشاب – منشأة المعارف
الاسكندرية ١٩٦٠ .

٢٤ – الأزهرى – محمد بن أحمد بن الأزهرى .

– تهذيب اللغة .

٢٥ – أحمد أبو زيد (الدكتور) البناء الاجتماعى – محفل لدراسة المجتمع –
الجزء الأول (المفاهيمات) المدار القومية ١٩٦٥ .

٢٦ – أحمد الخشاب (الدكتور) : التفكير الاجتماعى . دراسات تكاملية فى
النظرية الاجتماعية – النهضة المصرية ١٩٧٠ .

دراسات انثروبولوجية - وأنتوجرافية - الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٥٩

٢٧ - أحمد مختار عمر (الدكتور) •

- أسس علم اللغة لماريو بياي - ترجمة •

٢٨ - أحمد فارس الشدياق : سر الليال في القلب والابدال - المطبعة السلطانية

- الأستانة ١٢٨٤ هـ •

- الساق على الساق فيما هو الفارياق ، المكتبة التجارية : مطبعة الفنون

الوطنية - مصر •

٢٩ - الأصمعي (عبد الملك بن قريب) •

- رسائله في طوائف خاصة من الألفاظ والمعاني - مطبعة الاستقامة

بالقاهرة ١٩٤٥ م •

٣٠ - البغدادي - عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٣٠ - ١٠٩٣) •

- خزنة الأدب - تحقيق الاستاذ عبد السلام محمد هارون •

٣١ - الاسكافي (محمد بن عبد الله) •

- مبادئ اللغة •

٣٢ - التهانوي - محمد علي بن علي •

- كشاف اصطلاحات الفنون •

٣٣ - الزبيدي - السيد محمد ورتضى الأحمديني •

- تاج العروس في شرح القاموس سنة ١٣٠٧ هـ المطبعة الخيرية •

٣٤ - الجوهري اسماعيل بن حماد •

- الصحاح - تاج اللغة وصحاح العربية ••

٣٥ - حنفى بن عيسى (الدكتور) محاضرات فى علم النفس اللغوى - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر •

٣٦ - الخفاجى شهاب الدين أحمد بن محمد •
- شفاء الخليل فيما ورد فى كلام العرب من الخليل •

٣٧ - الخليل بن أحمد (الخليل) •
- العين •

الجزء الأول حققه وقدم له الدكتور عبد الله درويش •
- الأجزاء الثانى والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع تحقيق
د. مهدي المخزومي ، ود. إبراهيم السامرائي •

٣٨ - أنور محمد الشرفاوى (الدكتور) سيكلوجية التعلم •• أبحاث ودراسات
دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة ١٩٧٨ م •

٣٩ - السيوطى جلال الدين عبد الرحمن •
- الاتقان فى علوم القرآن - مطبعة حجازى بالقاهرة ١٩٦٨ •
- الاقتراح فى أصول النحو •
- مع الهوامع مع شرح جمع الجوامع فى علم العربية •
- المزهرة فى علوم اللغة وأنواعها - تحقيق أحمد جاد المولى وآخرين -
دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٥٨ •

٤٠ - العسكرى أبو هلال بن عبد الله بن سهل •
- المعجم فى بقية الأشياء •
- الصناعتين ، تعليق محمد أمين الخانجى ط ٢ طبعة محمد على صبيح •

٤١ - الفيروز بادى •
- القاموس المحيط •

٤٣ - المبرد - أبو العباس محمد بن يزيد •

المقتضب - تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة •

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٣ / ١٩٦٨ م •

٤٤ - البدرأوى زهران (الدكتور) •

- مقدمة في علوم اللغة - نشر دار المعارف بمصر ١٩٨١ •

- عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني المفتن في العربية ونحوها دار المعارف بمصر •

- من مصنفات الثروة اللفظية - كتاب الفاظ الاشباه والنظائر لعبد

الرحمن بن عيسى الهذلي - نسخة عبد الرحمن الانباري - ط ٢ نشر دار

المعارف بمصر حققه وعلق عليه وقدم له •

٤٥ - البستاني - المعلم بطرس •

- محيط المحيط - جزآن - بيروت ١٨٦٧ / ١٨٧٠ م

٤٦ - تمام حسان (الدكتور) •

- اللغة العربية معناها ومبناها •

- اللغة في المجتمع تأليف • م • م - لويس ترجمة د • تمام حسان •

مراجعة د • ابراهيم أنيس - دار احياء الكتب المصرية عيسى البابي الحلبي

وشركاه ١٩٥٩ م •

٤٧ - حسن شحاتة سفيان (الدكتور) :

الموجز في تاريخ الحضارة والثقافة • مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩ م •

٤٨ - حسن عون (الدكتور) •

- اللغة والنحو - دراسات تاريخية وتحليلية ومقارنة ط اولى سنة

١٩٥٢ •

٤٩ - حسن ظاظا (الدكتور) •

- اللسان والانسان - الاسكندرية مطبعة المصرى ١٩٧١ م •

- كلام العرب - من قضايا اللغة العربية ١٩٧١ م •

٥٠ - جهيل صلبيا (الدكتور) : علم النفس - دار الكتاب اللبنانى بيروت -

دار الكتاب المصرى القاهرة •

٥١ - حسين نصار (الدكتور) •

- المعجم العربى نشاته وتطوره جزاءن - مكتبة مصر •

- معجم تيمور - اعداده وتحقيقه - الهيئة المصرية العامة للكتاب •

٥٢ - جابر عبد الحميد جابر (الدكتور)

- سيكلوجية التعلم - ونظريات التعليم - دار النهضة العربية - القاهرة

١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م •

٥٣ - صالح الشماخ (الدكتور) :

- ارتقاء اللغة عند الطفل من الميلاد الى السادسة تقديم د. يوسف مراد

- دار المعارف بمصر •

٥٤ - رمضان عبد التواب (الدكتور) •

- اللغات السامية - ترجمه عن الألمانية - تخطيط عام للمستشرقين الألمانى

الكبير زيودور نوادكة - دار النهضة العربية بالقاهرة •

- فصول فى فقه اللغة العربية •

٥٥ - يوهان فك (Johan Fuck)

- العربية - دراسات فى اللغة (اللّجات والاساليب) •

- ترجمة دكتور رمضان عبد التواب •

٥٦ - رمزية الغريب (الدكتور) : التعلم دراسة نفسية - تفسيرية - توجيهية

الانجلو المصرية •

٥٧ - صبحى الصالح (الدكتور) •

- دراسات فى فقه اللغة •

٥٨ - عبد الحميد الدواخلى - محمد القصاص (الدكتور) •
اللغة - تأليف فنديرس - القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٠
ترجماء وقدماء له - (مطبعة لجنة البيان)

٥٩ - عبد الرحمن أيوب (الدكتور) •
أصوات اللغة ط أولى - ١٩٦٣ - مطبعة دار التأليف على بن يعقوب
بالمالية بمصر •

- اللغة بين الفرد والمجتمع - تأليف أوتويسبرسن - ترجمة يتصرف وعلق
عليه - مكتبة الأنجلو المصرية •

٦٠ - عائشة عبد الرحمن (الدكتورة بنت المشاطى) •
- لغتنا والحياة - دار المعارف بمصر •

٦١ - ستيورات هـ هوكس - و - هوارديت - وجهيس ديزة : سيكلوجية
التعلم - دار ماكجروهيل للنشر - السعودية - الرياض •

٦٢ - عبد الصبور شاهين (الدكتور)
القراءات القرآنية - في ضوء علم اللغة الحديث - دار الكاتب العربى
- بالقاهرة دراسات لغوية ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م
- في التطور اللغوى - المطبعة العالمية بالقاهرة
- في علم اللغة العام - مطبعة المدنى العباسية -

٦٣ - عبد السميع محمد أحمد (الدكتور)
المعاجم العربية دراسة تحليلية

٦٤ - عبد الكريم مجاهد (الدكتور) : الدلالة اللغوية عند العرب -
دار الضياء - الاردن

٦٥ - عبد الوهاب حمودة (الاستاذ)
القراءات واللهجات - ط أولى مكتبة النهضة المصرية ١٣٦٨ هـ -
١٩٤٨ م

٦٦ - علي محمد هزید (الدكتور) : علم اللغة العام - في الفكر الغربي
١٩٧٨ م

٦٧ - عبده الراجحي (الدكتور) فقه اللغة - في الكتب العربية •

٦٨ - علي عبد الواحد وافي (الدكتور) •

- علم اللغة • دار نهضة مصر ط ٧ فقه اللغة - دار نهضة مصر ط ٧ •

٦٩ - عبد العزيز شرف (الدكتور)

- الاعلام ولغة الحضارة - كتابك دار المعارف •

٧٠ - عبد القاهر الأجراني (الشيخ الامام)

دلائل الاعجاز

أسرار البلاغة

٧١ - عبد المجيد سيد أحمد منصور (الدكتور) : علم اللغة النفسى -

جامعة الملك سعود - الرياض

٧٢ - فاطمة مدجوب (الدكتور)

- دراسات في علم اللغة - القاهرة - دار النهضة العربية ١٩٧٦ م

٧٣ - كمال بشر (الدكتور)

الاصوات - علم اللغة العام - القسم الثانى

قضايا لغوية

دراسات في علم اللغة قسم أول

دراسات في علم اللغة القسم الثانى

دور الكلمة في اللغة

ترجمه وقدم له وعلق عليه

٧٤ - محمد أحمد أبو الفرج (الدكتور)

مقدمة لدراسة فقه اللغة ط أولى بيروت ١٩٦٦

٧٥ - محمد الانطاكي (الأستاذ)

- الوجيز في فقه اللغة ط ٣ مكتبة دار الشرق بيروت

٧٦ - محمد المبارك (الاستاذ)

فقه اللغة وخصائص العربية - دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية
وعرض لمنهج العربية الاصيل في التجديد والتوليد دار الثلم بيروت
١٩٦٨ م

٧٧ - محمود السمران (الدكتور)

اللغة والمجتمع - رأى ومنهج

علم اللغة مقدمة للقارئ العربي - دار المعارف بمصر ١٩٦٢

٧٨ - محمود محمود عالي : أئمة النجاة في التاريخ

٧٩ - محمود فهمي حجازي (الدكتور)

علم اللغة العربية - مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات
السامية وكالة المطبوعات - الكويت ١٩٧٣

مدخل الى علم اللغة - القاهرة - دار الثقافة للطباعة والنشر
١٩٧٨ م

٨٠ - مصطفى مندور (الدكتور)

اللغة بين العقل والمفارقة - منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٧٤

٨١ - لندا • ل دافيدوف : مدخل علم النفس ط ٢ دار ماكجوهيل للنشر -
السعودية - الرياض

٨٢ - نوال محمد عطية (الدكتورة) علم النفس اللغوى ط ١ ١٣٩٥ /
١٩٧٥ - مكتبة الانجلو المصرية

٨٣ - نايف خرما (الدكتور) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة
الكويت - المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب سلسلة عالم
المعرفة (٩) ، ١٣٩٨ م / ١٩٧٨ م

٨٤ - عثمان أمين (الدكتور) •

- فى اللغة والفكر - مع البحوث والدراسات العربية ١٩٦٧ •

الدوريات

مجلة فصول فى أعدادها المختلفة

مجلة مجمع اللغة العربية فى أعدادها المختلفة

مجلة معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى فى أعدادها المختلفة

دائرة المعارف الإسلامية

- Arles E. Osgood — George J. Suel — Percy H. Tannenbaum;
The Measurement of Meaning — University of Illinois Press —
Urbana, Chicago and London.
- G., Homans : Structural, Functional and Psychological theories
(in) N.J. Demerath III & R.P. (ed) system change and conflict,
London 1968
- G. W. Turner; Stylistics (A Pelican Book)
- Language and Culture — Edited by Patrick Gleason — Naney
Wakefield San Francisco State College.
- Bloomfield; Leonard; Language,
- J.R. Firth; Papers in Linguistics, Oxford University Press, 1957.
- J.L. Austin; How to do things with words — The William James
Lectures delivered at Harvard University in 1955.
- Ferdinand De Saussure; Course in General Linguistics Intro-
duction by Jonathan Culler
- Philosophies of Language in Eighteenth — Century France —
by Pierre Juliard — 1970 Mouton The Hague — Paris
- Plato; The Dialogues of Plato, translated by Benjamin Jowett,
Encyclopedia Britannica U.S.A. 1952
- Otto Jespersen; Language its nature, Development & Origin.
- John B. Carroll; The Study of Language, Harvard University
Press, 1959.
- Historical Linguistics; Theodora Bynon

- ① Fromkin . Rodman; An Introduction to Language
- ② H.A. Gleason; An Introduction to Descriptive Linguistics :
- ③ R.H. Robins ; A Short History of Linguistics
- ④ Peter Herriot ; An introduction to the Psychology of Language
- ⑤ Wilga M. Rivers; The Psychologist and the Foreign — Language teacher — The University of Chicago Press — Chicago & London
- ⑥ Philip S. Dale; Language Development Structure and Function.
- ⑦ Stephen Ullmann; Semantics An introduction to the Science of meaning
- ⑧ Stephen Ullmann; The Principles of Semantics, Basil Blackwell, Oxford, 1975.
- ⑨ David Crystal; Linguistics (A Pelican Original)
- ⑩ Edward Sapir; Language. An introduction to the Study of Speech
- ⑪ Edward T. Hall; The Silent Language. An Anthropologist reveals how we communicate by our manners and behavior.
A Doubleday Anchor Book.
- ⑫ The use and misuse of language — Edited by S. I. Hayakawa — Selected essays from Ets : A Review of General Semantics Previously Published in «Language, Meaning and Maturity», and our language and our world.
- ⑬ Margaret Schlauch; The Gift of Tongues, George Allen & Unwin. Ltd. London 1943.

- Richard Trench; On the Study of Words, J.M. Dent & Sons. Ltd — London 1930.
- Whitney — William — ; The Life and Growth of Language, Henry Kiny & Co. London — 1975.
- W.S. Allen; The Linguistic Study of Language. Cambridge University Press 1957



فهرس المحتوى

| الصفحة | الموضوع |
|---|---|
| ٣ | التمهيد |
| ٩ | المقدمة |
| ١٥ | القسم الأول |
| ١٥ | العرض العام للقضية |
| الفصل الأول : قضية العلاقة بين الدال والمدلول | |
| ١٧ | طبيعة العلاقة بين الكلمة وما ترمز اليه |
| ١٩ | القضية منذ عصر اليونان |
| ٢٠ | محاورة قراطيلس لأفلاطون |
| ٢٣ | خلاصة رأى أرسطو فى القضية الذى هو رأى أفلاطون |
| الفصل الثانى : | |
| ٢٧ | القضية فى الفكر الغربى المحدث |
| ٢٧ | (أ) المسار الأول : فى الفكر اللغوى الفلسفى |
| ٣٠ | (ب) فى الفكر اللغوى الخالص |
| ٣٠ | القضية من وجهة نظر رائد علم اللغة الحديث فردينانددى سوسير |
| ٤٣ | القضية من وجهة نظر اللغوى الأمريكى المحدث بلو مفيلا |
| ٥١ | وتعليقه على محاورة قراطيلس |
| ٥٤ | التقاء الفكر الغربى المحدث مع آراء علماء العربية القدماء |
| ٥٤ | واحتمال استفادته منهم |
| ٥٤ | القضية من وجهة نظر ستيفن اولمان |
| ٥٤ | القضية من وجهة نظر أتو يسبرسن |
| ٦٦ | خلاصة القضية فى الفكر الغربى المحدث |
| ٦٦ | لمجال الآخر : مجال منشأ اللغة |
| ٦٧ | نظرية أن اللغة وحى وإلهام من الله - الرد على أصحاب |
| ٦٩ | هذه النظرية |
| ٧١ | نظرية التواطؤ والاختراع |
| ٧٢ | الرد على أصحاب هذه النظرية |
| ٧٥ | نظرية أن نشأة اللغة ترجع الى غريزة خاصة زود بها جميع |
| ٧٥ | أفراد النوع |
| ٧٥ | نظرية التطور التعريضى |
| ٧٥ | موقف لينتقز |

| | | |
|----|--------------|-------|
| ٧٧ | Pow Wow | نظرية |
| ٧٩ | Pooh-Pooh | نظرية |
| ٨١ | Ding Dong | نظرية |
| ٨١ | The yo-he-ho | نظرية |

الفصل الثالث

| | |
|-----|---|
| ٨٣ | القضية في الفكر العربي الاسلامي |
| ٨٣ | (ا) القضية في الفكر العربي الاسلامي القديم |
| ٨٧ | (ب) القضية في الفكر العربي الاسلامي المحدث |
| ٨٧ | الدكتور ابراهيم أنيس وموقفه من القضية |
| | عرض باب الاشتقاق الاكبر عند ابن جنى ومناقشة ما جاء |
| | عند الدكتور ابراهيم أنيس بخصوصه في ضوء الدرس |
| ٩٥ | التحليلي التطبيقي |
| ١٠٧ | الدكتور صبحي الصالح وموقفه من القضية |
| ١١١ | ابن جنى ورايه في نشأة اللغة ونظريته في ذلك |
| | مناقشة رأى الدكتور صبحي الصالح في هذه القضية |
| ١١١ | وما انبثق عنها |
| ١١٨ | مناقشة رأى الدكتور محمد المبارك في القضية |
| ١٢١ | عرض رأى الاستاذ محمد الانطاكي في القضية |
| ١٢٦ | عرض رأى الدكتور عبد الكريم مجاهد في القضية |
| | رأى الدكتور عبد السلام المسدي في قضية الرمزية الصوتية |
| ١٣٦ | عند ابن جنى |
| ١٤٠ | القسم الثاني |
| ١٤٠ | الجانب التحليلي التطبيقي |
| | عرض باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني في ضوء |
| | الدرس التحليلي التطبيقي وما انبثق عنه من نظريات - |
| ١٤٣ | وقوانين خاصة به - قانون التشابه |
| ١٤٣ | قانون التقارب |
| ١٤٣ | قانون التبعية |
| | النصوص التي جاءت في كتاب السيوطي وبنى عليها |
| | الدكتور صبحي الصالح رايه في ضوء الدرس التحليلي |
| | التطبيقي وما انبثق عنها من نظريات لغوية وقوانين |
| ١٦٥ | خاصة بها |
| | عرض ما جاء في المقاييس لابن فارس مما يستشهد به |
| ١٧١ | الدكتور صبحي الصالح في ضوء الدرس التحليلي التطبيقي |

| | |
|-----|---|
| ١٧٤ | عرض ما جاء في المجلد لابن فارس مما استشهد به الدكتور صبحي الصالح في ضوء الدرس التحليلي التطبيقي |
| ١٩٧ | عرض ما استشهد به الأستاذ محمد المبارك في ضوء الدرس التحليلي التطبيقي |
| ٢٠٣ | عرض باب في أساس اللفاظ اشباه المعاني في ضوء الدرس التحليلي التطبيقي وما انبثق عن ذلك من نظريات وقوانين لغوية تبرز خصائص العربية |
| ٢١٥ | عرض باب في قوة اللفظ لقوة المعنى في ضوء الدرس التحليلي التطبيقي وما انبثق عن ذلك من نظريات وقوانين خاصة بها |
| ٢٢١ | عرض باب في السلب لابن جني في ضوء الدرس التحليلي التطبيقي وما انبثق عنه من نظريات |
| ٢٢٩ | عرض باب في تلاقي المعاني على اختلاف الاصول والمباني وما انبثق عن ذلك من نظريات لغوية ومبادئ وقوانين متصلة بها |
| ٢٦٥ | عرض متون من كتاب الثعالب وما انبثق عن ذلك من نظريات ومبادئ وقوانين خاصة بها |
| ٢٦٥ | ترتيب النصاب |
| ٢٦٧ | في ضروب ضرب الاعضاء |
| ٢٦٩ | في أوصاف البخل |
| ٢٧٢ | في أشياء تختلف أسماؤها وأوصافها باختلاف أحوالها |
| ٢٧٢ | فيما روى عن أبي عبيدة |
| ٢٧٢ | في أوائل الأشياء وأواخرها |
| ٢٧٢ | في سياقة الأوائل |
| ٢٧٤ | في صفات الأشياء وكبارها وعظامها وضخامها |
| ٢٧٤ | في تفسير الصغار |
| ٢٧٥ | من سحر البلاغة وسر البراعة للثعالبى |
| ٢٧٥ | — استحكام الشيب وبلوغ الشيخوخة |
| ٢٧٦ | — في الهرم ومشارفة الفناء |
| | — عوامل الاهتمام |
| ٢٧٩ | تداعى الأفكار الحادثة معا |
| ٢٧٩ | التداعى المتتالى |
| ٢٨٠ | قانون الاقتران |
| ٢٨٠ | قانون المشابهة |
| ٢٨٠ | قانون التضاد |
| ٢٨١ | خطرية الانماط المتماثلة |
| ٢٨١ | قانون العناصر السائدة |

| | |
|-----|---------------|
| ٢٨١ | قانون التجميع |
| ٢٨٢ | قانون التعرف |
| ٢٨٢ | قانون اليسر |
| ٢٨٣ | الختامة |
| ٢٩٣ | فهرس المراجع |
| ٣٠٩ | فهرس المحتوى |

رقم الإيداع ٢٧٥٤ / ٩٣

الترقيم الدولى 9 - 3987 - 02 - 977 - I.S.B.N.

٢ / ٩٢ / ٤٢

طبع بمطابع دار روتا برنت للطباعة